الانحـــــدار
(حكايات وقصص قصيرة)

محمد المنصور الشقحاء

في البدء:

يضم هذا الإصدار قصص

١ ـ مجموعة الانحدار ، الصادرة عام ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م عن نادي الطائف الأدبي
٢ ـ مجموعة الرجل الذي مات وهو ينتظر ، الصادرة عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر
٣ ـ مجموعة الطيب ، الصادرة عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م عن وكالة الصحافة العربية للنشر
٤ ـ مجموعة الحملة ، الصادرة عام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م عن نادي جازان الأدبي
٥ ـ مجموعة الغياب ، الصادرة عام ٢٠٠٥م ضمن سلسلة أصوات معاصرة
٦ ـ مجموعة المحطة الأخيرة ، الصادرة عام ٢٠٠٨م عن دار الفارابي

النـهر

وأخاف أن أخسر. لقد غدت التضحية عظيمة، إنما الشعور بالنهاية أعظم، على أن ابحث عن البديل وحتى لا يكون التردد موقف حسم ينهي التطلع. قفز من مكانه حيث يقبع بين رفاقه داخل إحدى صالات المعسكر أمام خارطة للوطن السليب تحدد معالم القدس ورام الله وقلقيلة المبادة، الخطوط الحمراء والسوداء والعلامات المميزة لكل موقع تتوهج مثل ثريا علقت في فضاء لا حدود له.

- أقوم بهذه المهمة

حدق فيه الرجل الذي يقف أمام الخارطة ثم حرك العصا الطويلة التي يستعين بها في تحديد المواقع المطلوب اجتيازها للوصول إلى الهدف وهو احد البوابات الأولى لمدخل المفاعل النووي في الصحراء.

توقفت الكلمات في داخله، عاد الحوار الذي كان يتفاعل في أعماقه منذ بداية الدرس الجديد الذي أستوعبه من خلال ما يقوم من شواهد وهمية.

- سوف يكون الأمر سهلا بعد اجتياز النهر

- إذا اجتزت النهر

وهنا تذكر أنه لا يوجد نهر إنما سياج من الأسلاك الشائكة والحواجز الرملية المرتفعة التي عبرها يتم اكتشاف كل تسلل، النهر يقبع في الجهة الشرقية من الحدود إذا عليه التسلل إلى الأردن ومن هناك يكون العبور لم تخرج الكلمات من داخله هذه المرة إنما عاد إلى مكانه بين نظرات زملائه الدهشة ثم جلس وكأن الأمر لا يعنيه.

عاد إلى عالمه الوهمي. مكونا معادلة حسابية رهيبة بين الخوف والانتصار، لا يدري متى قدم إلى المخيم وكيف انخرط في المقاومة الشعبية، كل مخزونه من الماضي؛ انه طالب في إحدى كليات جامعة وارسو يقرأ الأدب. يبحث عن أسباب الخوف من الخسارة في الشعر اللاتيني ولماذا كانت الإلياذة تتحدث عن الانتقام كما تؤكد حرب طروادة، بخلاف الشهنامة التي تتحدث عن الحقد والكراهية أو الأودية ورحلة الغضب لاسترداد الزوجة وكيف اندثرت هذه الجحافل من الشعوب ومتى يتحول العالم كما تقول النظريات الجغرافية إلى دائرة واحدة من الأرض كلما اختفت قطعة من الأطراف البعيدة. تكون امتداد يوازيها في منطقة الشرق الأوسط.

انتهت المحاضرة وأخذ البعض طريقه إلى باب الصالة في ضجيج وأحاديث متناثرة. وأخذ يتابع الجمع السادر، وإحداهن تقترب من المحاضر وتمسك به تتحدث إليه، تحرك كفها إلى رقبته وتطوقها بكفيها يتدلى لسان المحاضر يمتد إلى الأرض يزحف باتجاهه مد كفه جسه بأطراف اصابعه. تنبه المقاعد فارغة وصمت اسود يشمل المكان اللسان يتقلص غادر مقعده واتجه إلى الباب المشرع.

الساحة التي انتصبت فيها سارية العلم شبه فارغة لانشغال الجميع بما بين أيديهم من مهام وفي دواخلهم من أمان، اتخذ طريق البوابة اجتاز رجل الأمن المدجج بالسلاح، لم يلحظ أن هناك من يتعقبه الطريق الطويل إلى درعه يمتد أمام ناظره، ووهج الظهيرة يحتضن المكان ووقع خطواته على الإسفلت تشاركه الحديث.

السيارات تمرق الواحدة تلو الأخرى. وحافلات الركاب تحاول لفت انتباهه بمنبهاتها ومرق أمامه شهاب ناري، تصلب في مكانه ثم انحرف يمينا واختفى خلف جذع شجرة هرمة، يعرف انه بعد خطوات يستقر مقهى يرتاده سائقوا عربات الأجرة وسيارات الشحن.

- أهلا

الصوت يعرفه. أخذ يقدح زناد فكره قبل أن يلتفت نحو مصدر الصوت، ذاكرته لا تسعفه التفت كان المحاضر وثلاثة من رفاقه دب في داخله إحساس خوف شعر بالغربة، سحب احد المقاعد وجلس معهم اخرج علبة السجائر أشعل احدهم السيجارة.
أخذته خطواته إلى زاوية الحمامات وجد عند المدخل رجل وامرأة زرعت ابتسامة صغيرة على وجهها وغادرت المكان، اقترب الرجل منه وتبادلا النظرات دخل احد الحمامات الرجل يقف على الباب تبادلا الملابس بارح المكان بسرعة المرأة تهم بركوب عربة جيب صغيرة لوحت بكفها وهي تدير المحرك، ما أن استقر على المقعد حتى كانت كفها تربت على كتفه ضاغطة عليه.
طلبت منه مرافقتها والسيارة تقترب من الحدود أوراقه قبلته على خده فاسترخت كفه على فخذها تجاوزت ردة فعله. وهي تقترب من بوابة العبور صدرها البارز يقفز من فتحة الفستان، ختم الموظف الجواز تحركت العربة وعاد الاطمئنان.
ـ وصلنا
قالت ذلك بهدوء شعر أن مهمتها انتهت أخذ يلملم بعض الخوف ليقول شيء مد كفه انتظر حركتها رفع كفه إلى وجهها لامس خدها انحرفت بالسيارة إلى حقل مهجور تناثرت أشجاره أخرجت لفافة من خلف مقعدها.
ـ خارطة للطريق ونقود
ـ وأنت
ـ مهمتي انتهت
اقترب منها طوقها بذراعيه دفن وجهه في شعرها جسدها يرتعش لم تقاوم اندفاعه زهورها تتفتح وحروفها تتناثر، غادر العربة صامتا واختفى بين المنحنيات شعر بالجوع نشر الخارطة التي لا يوجد بها سوى خط واحد بدأ من النقطة التي ترجل عندها، كل شيء واضح.
ـ هاهو المطعم
حدث نفسه بصوت مسموع كأنه يرشد أخر
اقتربت خطواته من مدخل المطعم تذكر أنه لا يعرف اسمه فأخرج جواز السفر من جيبه. اختار طاولة بقرب النافذة شعر بالأمان. اخرج من اللفافة حافظة النقود لدفع الحساب جحظت عينا النادل وهو يكتشف ضخامة الأوراق النقدية.
غادر المكان ..النهر أمامه فقد وصل إلى نهاية الخط المرسوم عليها، جلس على حافة النهر..يتابع حركة الطيور وأشباحا تتحرك زادتها العتمة وحشه، رطوبة الجو منحته خدرا لذيذ تذكر معه مرافقته فغرس أصابعه في الرمل. دوى طلق ناري أخترق صدره فتح فمه ..انساب الدم أصابعه تتقلص وكفه يحتضن حفنة من الرمل، انكفأ على وجهه الأشباح تختفي وخرير المياه يتلاشى..يتعفر وجهه الأبيض المبتسم بالتراب والدم المنساب يتشربه الرمل.

البكاء

استقر أخيرا. لم يعد الأمر يحتاج إلى احتراق، وقد اتضحت الرؤيا وأصبحت النتائج غير مجدية رغم كل المراجعات، الشارع المضاء يمتد في بله وتيه، وهو يحتضن السابلة من العربات والناس وكائنات أخرى لم يستقر أحد حتى الآن على أسماء لها.
- أتراك انتظرت كثيرا
- أتدركين الزمن في أعماق المنتظر
- إذا تأخرت
- لا ادري إنما تفحصيني ..هل ما زلت في حجمي الطبيعي
اتجه الاثنان إلى بوابة المكتبة المشرعة. لا يوجد مرتادون حتى هذه اللحظة اختار كل واحد منهما مسار يبحث عبره عن مطلبه بين الكتب المعروضة، حسب التخصصات الموزعة.
أخذ يتابعها عن بعد محاولا رصد خطواتها ودراسة ارتعاش أطرافها وهي تتجول في خجل وحياء بين الكتب تحت انظاره.
وانطلقت صفارة الإنذار معلنة أن في الأجواء طائرات مغيرة..تصبب عرقا وتلفت حوله، أخذ يبحث عنها بين أكوام الكتب ثم اندفع خارجا إلى الشارع؛ الحركة كما هي، السابلة، السيارات، الأبواق المزعجة والشمس الساطعة.
أسترد أنفاسه أخرج منديلا من جيب ثوبه وأخذ يمسح العرق عن جبينه، هدأت أنفاسه وعاد إلى المكتبة.
- أين أنت
كانت جالسة على المقعد المحاذي لطاولة المسئول عن المكتبة، رفع بكفه المنديل لمسح جبينه وتصلبت نظرته على المنديل الذي أصبح احمر يقطر دما..حدق في المنديل فاغر فاه، اقترب من كوة ضوء مدققا فاحصا يده التي تمسك بالمنديل ملطخة بالدماء .
لا يوجد جرح. امسك بطرف انفه وأدخل أصابع يده حتى سقف الحلق وأخرجها تراجع إلى الخلف حتى حاذى المقعد الأخر المنتصب أمام طاولة مدير المكتبة جلس وقد سرى في أطرافه برود عجيب. لم يعد هنا احد سواه.
- أنت ماذا حدث
- .....
- أتوقفت فيك الحياة
وتحركت من مكانها وهي تلمح المسئول عن المكتبة يقترب مغادرة المكتبة، تلفتت خلفها فلم تجده وعادت سريعا هجمت عليه بكلتا يديها ضاغطة على كتفيه في مداعبة خشنه للقيام ، تهاوى أمام الموقف الجديد.
الطنين يلف المكان ولا أحد الساعة مازالت عقاربها على العاشرة صباحا ..الموعد التاسعة ساعة الصفر حسب الاتفاق.
صالحة:
ارتديت ملابسي استعدادا للذهاب..خرجت من غرفتي وإذا بأمي تجلس في الصالة ..اخذت إداري ارتباكي الساعة الثامنة
- أين خالد
- خرج
جلست على الأرض بجوار أمي
- والسائق
- قبضت عليه الشرطة
مرة ثالثة تأملت الساعة ..أسرعت إلى الهاتف طال الحديث وارتفع أذان الظهر.

عمر:
أخذني الحماس فأنهيت إجراء الأوراق التي بين يدي، الثامنة والنصف كنت أغادر المكتب وفي التاسعة تماما كنت انتظرها تحت لوحة المكتبة التي لم تشرع بابها٠
زادت حركة الطريق والمكتبة والمحلات التجارية تشرع أبوابها ٠٠واحد ٠٠اثنان٠٠ثلاثة ٠٠تجاوزت عقارب الساعة العاشرة انكفاء على مقود السيارة ابكي٠

الانحدار

علمت مؤخرا بأنني ممنوع من الكتابة، اكتشفت هذا من همس حضور المناسبات الاجتماعية التي تقوم بعض الصحف بعمل لقاءات أو ندوات حولها من باب الالتحام بالجهات المعنية بالتطور الإنمائي فتغيب مشاركتي ويتجاوز تعليقاتي من خلال مطبخ النشر٠
أخذت افكر بقسوة في الانتصاب العدواني الذي مارسه شيء في داخلي دون مراعاة للظرف الذي أمر به والإرهاق الفكري الذي أعانيه بسبب عوامل عده منها العزلة والانحدار نحو الهاوية وحيدا متخليا عن كل المواقع التي استطعت مع الزمن ربحها٠
لم أجد بعد هذه المرحلة أفضل من كلمة الربح لأن هذه الكلمة هي الوصف الحقيقي لكل المكتسبات التي خلقتها وحتى تكون المعادلة صحيحة، لابد من الخسارة وها أنا اركض في طريق الهاوية وكل ما أخشاه أن أرباحي تنتهي وبالتالي أفقد رأس المال وأشهر إفلاسي كما هو وارد في سوق الاقتصاد٠
انتظرت كثيرا هذه اللحظة التي أقف فيها مستقبلا الضيوف٠ الأضواء تملأ المكان كما أنها تضيء داخلي بقوة، انه زواج ابنتي المكسب الأول الحقيقي في حياتي وبرغم الضياء اشعر إنني بحاجة إلى البكاء، وأخذت ابحث عن مكان منفرد حتى أحقق رغبتي في البكاء جميع الزوايا والغرف تعج بالزوار والمشاركين في المناسبة٠
أنها تقف وحيدة٠ ٠دب هاجس أخر في داخلي وعدت إلى الحركة وقد أجلت رغبتي في البكاء، في داخلي نقطة داكنة أشعر بحرقتها وحجم مساحتها٠ العيون تتابع خطواتي تبحث عن الأشياء المربكة والناقصة في صوتي وفي اكتمال أدوات الحفل، وأنا افتح كوة للريح الطيبة لتعبر كواليس أعماقي المعتمة المتوقفة عن الأشرئباب والتجاوز ٠ أنها النهاية الحتمية٠
ـ حامد٠ ٠حامد
الصوت قريب أتذكره٠ إنما من يكون وقد تجاوزت عقدي الخامس، الشيب يملأ راسي ودمعة مازالت منذ عقد تستقر في مقلتي٠
ـ حامد٠ ٠حامد
الصوت يقترب أكثر٠ انه يرفض كل الهواجس ويحقق الانتماء وطيب رائحة الوطن، الشارع المترب، بيوت الطين، وشآبيب المطر والأسقف الواطئة وقد أخذت تنز بالماء معبرة عن فرحها بالشتاء٠
ـ حامد
ـ نعم
ـ مبارك ٠ ٠زواج سماح
ـ سماح
الصوت يصل يأخذني بقوة إلى الزمن القديم الذي رفضته بتصرف أحمق ذات يوم، كنت اركض حتى تعثرت وقد تقطعت أنفاسي لأفيق على صوت سماح٠ ٠ التي انتقلت معي إلى العالم الحر في هروب سحق وجودي، لتصبح وقد غدت شابة / أفنان / وامرأة مكتملة ناجحة في عملها٠
الصوت يزداد معرفة وقوة٠كان المطر ينهمر وسقف الغرفة ينز بالماء، دوائر الزمن تدور في رأسي وانهرت في مكاني ونقر الدفوف والغناء تشتعل في الداخل، وشبح الماضي المتناهي طولا يغادر المكان حاجبا الضوء المنتشر في كل زاوية٠

(٢)
طريق الانحدار عميق أطول من كل المعادلات الحقيقية٠ يخيم الهدوء عليه وكل الأشياء التي أتجاوزها ثابتة، شخوص آخرون توقف بهم السير في أماكن متباعدة، حتى الآن المؤشرات

افضل٠٠انه الوطن، أخذت اكتب الكلمة بأشكال متعددة وأقلام متفرقة وأحبار مختلفة، ثم أخذت ارسم حروف الكلمة كما يتم نطقها واو٠٠طاء٠٠نون٠٠واو ٠٠طاء٠٠نون، ومع كل حرف أجتاز مسافة اكبر ويتكون في داخلي طاقة أكبر٠
- حامد ٠٠هل أكملت دراسة قضية الأستاذ فاضل
- قربت أنجز تدوين ملاحظاتي
- لقد تأخرت
- إنها ملاحظة ديوان المراقبة العامة
كان مدير الإدارة التي انتمي إليها يستعجلني بمضاعفة الجهد لإنهاء دراسة أوراق قضية احد اقاربه٠
- الأستاذ حامد
- أهلا
- فاضل عبد الدايم
قفزت من مقعدي واقفا كمن لدغته افعى٠ ترددت في مد يدي نحو الكف الممدودة، هناك قوة تتعامل في داخلي فأخذت أتفرس في الوجه المنتصب أمامي وأخيرا صافحته مرحبا ودعوته للجلوس وواصلت كتابة ملاحظاتي ٠
- لو سمحت كرت العائلة
أخذت أطابق الأرقام والأسماء ٠٠سماح زوجه٠٠ سماح ابنة سعد٠٠٠سمر ٠٠واكتمل عدد الأسماء ومطابقة البيانات
- هل الكرت جديد
- نعم وهنا بين الأوراق صور من الكروت القديمة
ثم وقفت وأنا أمد كفي
- سوف يتم صرف باقي الاستحقاق بعد يومين
نهض وغادر الغرفة ٠٠وعدت للأوراق ٠٠اخذت ادقق في الأسماء المكررة ولما انتهيت سلمت الملف للمراسل لتوصيله لمكتب المدير العام لتوقيع أمر اعتماد الصرف٠
- تفضل أوصلك
تزامن خروجي من المكتب مع تحرك عربة فاضل الفاخرة وآنا اتجه لعربتي الواقفة في فناء مبنى الدائرة، أرعبني الصوت، قررت أن أعود للمكتب، كانت تجلس في المقعد المجاور ، شيء يدعوني لتلبية الدعوة، ابتسامتها الصغيرة تكبر ٠٠أخذت أتراجع ٠٠خطوة ٠٠خطوتين، ابتلعني المبنى وأخذت جدرانه تسحق جسدي٠

(٣)

الزمن كان قويا ٠٠قويا اكبر من عشق المكان٠ شعرت فيه بالإرهاب، عندما قررت الزواج جاء الاختيار وجاء الانفصال/ هربت إلى خارج الحدود لعلي أجد الهدوء الذي فقدته٠
وتوقف الزمن٠ لم يعد الرفيق الحتمي الذي يسير كمرافق فعدت وقد غطى الشعر الأبيض رأسي، أنهم يدفعون الإنسان إلى الموت، حتى الأصدقاء٠٠كلهم عفن٠٠كلهم عفن
- أبي خير
- أبدا أنها ذكريات النزوح٠٠ والوطن
سوف يكون لنا بيت
- أجل ٠٠أجل
- وسوف نواصل
حطت الطائرة في المطار٠ لم يكن هنا أحد في صالة القادمين المكتظة بالمستقبلين٠٠المكان ضيق العيون تلاحق المتحركين ارتبكت خطواتي ومع ملاحقة سائقي سيارات الأجرة أخذت استنشق الهواء الرطب٠

اختلطت الصور٠٠تتراكم الرؤى، الهاجس٠٠أكبر٠٠أكبر ، واعتدت السكون القاتل، مشاركاتي تسحل على أبواب الصحف وان استشهد الكتاب بأفكاري٠٠هاهم جميعا في حفل زفاف افنان٠

سوف اجلس وحيدا في الدار٠ ولكن الصوت القادم من الماضي سماح؛ وأخذت أتذكر الخطى الوئيدة، والجمع ينسحب بقيت جالسا على احد مقاعد صالة الاستقبال حتى أحقق رغبتي المؤجلة في البكاء٠

الرقية

توقف عن التفكير وأخذ يقلب ما بين يديه من أوراق مهمة .
- كانت هنا البارحة
تلفت حوله أخذ يغير من جلسته بين وقت وأخر
قال بصوت مرتفع
- ياترى أين اختفت
تأمل الجدران المحيطة به وأثاث الغرفة، توقع أن يقول له وهمه ..انها هنا، حرك يده اليمنى الم في داخله يدعوه إلى تحريكها بشكل آلي.
انفجر الموقف لم يعد لديه بصيص أمل في العثور على الصورة التي كل صباح يقدم لها التحية وفي المساء يقبلها وهو يغادر مكتبه.
أنها كائن حي. تمنطق الحياة ويزرع البهجة في داخله، تغرقه في دوامة من العمل الجاد والارتياح النفسي الكامل.
كل ما يتذكر أن ظرفا غامضا جمعه بصاحبتها فغدت زوجته، وكذلك ظرفا غامضا دفع صاحبتها إلى هجره وطلب الانفصال. ولم يتأخر في تحقيق رغبتها لشعوره بأن الأمر سوف يصل إلى مرحلة يفقد فيها ذاته، وبالتالي يفقد الاحترام الذي تكنه له.
ولم يتبقى منها سوى هذه الصورة التي يجدها حجاب يحول بينه وبين نسيان وجوده؛ وحرز يقيه من المصائب والوقوع في الخطاء.
نهض من مقعده بعد أن بعثر الأوراق التي فوق المكتب وخرج لا يلوي على شيء وهو يهمهم
- إنهم ينتظرون حضوري
الطريق طويل والحديث يحتاج إلى اعداد. توقف أمام حاجز تفتيش للشرطة، لم يتبق سوى عربتين ويجتاز الموقع، فتح زجاج الباب المحاذي له، تابع بنظره الرجال المدججين بالسلاح
- أنهم ليسوا من رجال السير
توقف وسط الحاجز طوق العربة أربعة افراد. قدم لأولهم هويته بينما فتح الآخرون أبوب العربة فاحصين داخلها، انزل كفيه عن مقود العربة وضعها على فخذيه وقد طأطأ رأسه لحبس الخوف وحجز القلق حتى لا يفقده الموقف كيانه الإنساني، وإذا بشيء صلب يطعنه في جانب رأسه وصوت أجش يخترق عالمه المختفي.
- وهذه من تكون
رفع رأسه متفحصا مؤخرة البندقية التي احتكت برأسه. تذكر عصا المدرس الغليظة التي يلكزه بها هو ورفاقه في الفصل عندما يطلب منه أن يقرأ الدرس أو يعيده لما يمارس في الفصل من درس ليتأكد من متابعتهم.
تنبه وحدق في صاحب الصوت الواقف بمحاذاته. ارتبك وتأخر في الرد وهنا مد الرجل يده داخل العربة وسحب الصورة من تبلوه العربة وبصوت خافت
- أنها صديقة
كان يتوقع انتهاء التوقف وحالة التفتيش عند هذه المرحلة. غير أن الأمر تطور دخل العربة احدهم شاهرا مسدسه بينما صادر صاحب الصوت الخشن الصورة، لا يدري أين يتجه وكل ما تبادله مع مرافقه إشارات تدله على الاتجاه الذي يسير فيه حتى دخل سياجا من الأسلاك الشائكة ومرتفعات الرمل.
ترجل من العربة . أمام خيمة تبدل لونها بسبب الشمس طلب منه مرافقه الوقوف، أوصله تفكيره إلى الشعور بانعدام الاهتمام بما يدور في داخل الخيمة فأخذ يتلفت في سكون مستبينا المكان.

ولم يحس بأن احدهم خرج من الخيمة تأمله قليلا ثم صوب نحو رأسه مسدسا يحمله وأطلق عيارا واحدا، التفت على أثره عنوة وقد انبس الدم من صدغه، كانت الصورة تقف بجواره بكل عنفوانها ، ثم انكب على وجهه،

القطار

منذ زمن طويل تسرب قرف لا أدري مصدره إلى داخلي٠ معلنا رفض الكتابة عن انسحاقي فسحل ما تبقى من وجودي فوق شوارع مدينتنا حتى لا أستمر في الرفض الصامت لكل ممارسة غبية٠
أستقل القطار المتجه إلى الشرق٠ بؤبؤ عيني اليمنى في محاولة تمويه لخرق الصمت، فإذا برجال وإناث يحملون معاول حرث الأرض ويرتدون خوذات الحرب يعترضون سبيله، وقد تهشم جزء من الخط الحديدي وجرى إشعال النار في حطام أشياء لم أستطع تمييزها، إنما أدركت أنها مكونات خاصة جرى نهبها٠
شروع الحزن إلى داخلي اجتاح كل مقاومة للانبثاق٠ وبالتالي حرم علي التطلع إليها، سوى حلم يرافقني عندما امشي وحيدا أو حين أختلي بهمومي في ركن مهجور من المقهى الذي اهرب إليه كل ليلة٠
- أين أنت يارجل٠٠!
أمر غريب السؤال٠ فانا موجود وجود هذا المكان لا أحد يستطيع تجاوزي؛ هذا ما واجهني وأنا أدخل أحد المحلات التجارية، إذ نهض صاحب المحل وأخذ يرحب بي وعندما لم اشتر شيء قدم لي هدية زدت تخاذلا٠
- ابحث عن شيء تحت ملابسك
- وماذا تريد
- اعرف لون سروالك الصغير
استلقت على قفاها وهي تقهقه بهستيريا احبها٠ فقدتها منذ إلف عام ٠٠تذكرت الدم الذي تمدد في شوارعنا ابتداء من مدخل القرية الذي لم يصمد مقاوموه في وجه جنود الاحتلال، وهم يقتحمون كل شيء يطلقون الرصاص في كل اتجاه٠
حتى نفقت الأبقار والحمير وأخذ الدجاج يهرب هنا وهناك في بحث مستميت عن كن أمن، والحمام يشكل مجموعات تهاجر سماء قريتنا كما هاجر شبابها منذ الاحتلال الرهيب وتركنا الجميع، لم يعد هنا غير إطلال ونحن الاثنان٠
كنت اجلس على عتبة باب دارنا الذي تهدمت شرفاته٠ ومريم تجلس خلف إحدى الطاولات بمدخل المقهى الصغير الذي ورثته بعد مقتل والدها في الهجوم الأول للغزاة٠
كان همي الأول معرفة لون ملابسها الداخلية٠ فقد لمحتها ذات ظهيرة تقوم بفرد بعض قطع القماش الصغيرة على حبل الغسيل فوق سطح دارهم من نافذة غرفتي منذ ثلاثين عاما، فأسرعت إلى الشارع واتجهت إلى الدار التي تقطنها مع أسرتها ولم اهتم بنداء والدها الذي يشرف على طلبات زبائن المقهى الذي يشغل الدور الأرضي من المبنى مع محل لبيع الفول والحمص٠
أعرف طريق السطح٠ توقفت عن الغناء عندما وجدتني أمامها وأنزلت إزارها على ساقيها وذراعيها، اقتربت من سلة الغسيل وأخذت أساعدها كنت اختار الملابس الصغيرة ذات اللون المميز سرى ضحكها في جسمي كما شرارة لهب، فاستفزها ملوحا ببعض القطع الصغيرة قبل تمديده على الحبل وتطاردني عبر السطح ٠
- ماذا جاء بك
- لمحتك من نافذة غرفتي
- اعلم
- شيء دفعني
- إلى أين

- إلى هنا
كنا متجاورين نجلس على مقعد خشبي ٠ بعد فراغ سلة الملابس وتبلل ثيابنا، كانت ترتعش، والعرق يتصبب من جبينها فأخذت امسحه بكفي وقد أسندت ظهرها ورأسها إلى الجدار المنتصب خلفنا، صدرها يرتفع وينخفض شعر رأسها القصير يندس تحت غطاء شفاف، أنزلت كفي فوق عينيها المغمضتين ثم فوق شفتيها وواصلت حتى هصرت صدرها٠
كثيرة هي الأشياء المختفية في حياتنا٠ كان عام ١٩٤٦م مرحلة انفصال حقيقي لجميع الأسر، لم يتبقى سوى الجذور التي تنتصب فوقها قامات تجردت من الغصون وتشقق عنها من عوامل الطبيعة اللحاء٠ ما عدى اسر تعد على أصابع اليد الواحدة ما زالت لها فروع مثمرة لم تتأثر حتى من عام ١٩٥٦م ولكن نزفت الدم عام ١٩٦٧م ٠
- مريم في هذا المقعد كان والدك يجلسني
- وقدم الشاي مجانا
- تعرفين
- كان يقول لنا
- إنما والدتك اينها
- نزحت مع أبناء عمها
كل شيء مهدم تملاء المكان عفنا٠ قررت الهجرة بعد أن بدل الاحتلال معالم القرية
- لماذا لا نتغذى
- وعمال المنجرة
- غيابك لا يؤثر في جدهم
الفرح الذي توقعته وأنا اجلس لم اجده٠ سافرت عشرين عاما ولما عدت كانت موجودة، ها نحن الآن اثنان وحيدان كل ما حولنا بقايا ذاكرة، كانت تتحرك وحديثها يتواصل قررت مشاركتها الحركة قادني صوتها جاء ظهرها للباب مكونات جسدها تدفعني لقراءة تفاصيله وتخمين لون سروالها الصغير، شعرت بلفح أنفاسي التفتت ضاحكة طوقتها بذراعي تقابلنا في قبلة تأجل تنفيذها أربعين عام٠
الرواد يتقاطرون٠ لم أكن أتوقع أن هنا زبائن ورواد فهذا الجزء القديم من القرية مهجور، شعرت بالغربة ومريم تختفي واحدهم يتسلل إلى الداخل طال الترقب ليخرج ثم يتسلل أخر لم يطل مكوثه عاد وتطل مريم التف حولها الجميع٠
- أعرفكم ياجماعة على رفيق الطفولة مازن اسرته جيراننا
انفرجت الوجوه التي لم تتجاوز رقم عشرة، مددت كفي التي هرب منها الدم مصافحا وغادرت المكان٠
لم اعد أذكر ماذا حدث٠ دوى انفجار هائل التفت فزعا وواصلت الطريق، عربات العدو تطوق المكان يصلني أزيز الرصاص خطواتي ثابتة واحد٠ ٠اثنان٠ ٠واحد٠ ٠اثنان، دخلت المنجرة التي ورثتها مع إخوتي عن أبي حشرت جسدي خلف المكتب وطلبت من صبي المقهى الذي اقترب لما وجدني شايا وأرجيلة٠
توقفت عربة الشرطة أمام باب المنجرة٠ ترجل منها الشرطي دخل المقهى ثم عاد وتجاوزني دخل ورشة المنجرة وخرج وهو يمسك بعامل تجاوزني الاثنان وركبا العربة التي غادرت الشارع بصوتها المميز٠
أخرجت من جيب القميص منديل قماش لونه احمر٠ مسحت به وجهي وزجاج النظارة ولما أعدته إلى مكانه،أخذت اصدر صوتا كصوت القطار تركت مقعدي غادرت المنجرة متخذا مسار سيارة الشرطة غير مبالي بنظرات من اجتازهم٠

العشاء

أتوقف أحيانا على مفترق طريقين، الأول يؤدي إلى منزلنا القديم، حيث يسكن جدي وأسرة والدتي، والأخر إلى منزلنا الكبير المحاط بحديقة واسعة، سائق العربة التي أزاحم فيها إخوتي يتحدث إلى أحد أبناء جلدته وكأن أمرنا لا يعنيه.
لقد دب في تعاطف أنثى ، بعد أن لمحت احدي زميلاتي بأنه جميل الطلعة فلم أتجاوز هذا الشعور إلى البوح وأخي يحل مشكلتي أحيانا بمرافقته عند الخروج.
- لقد تقدم أحدهم طالبا يدك
كان أبي هو المبادر بالكلام ونحن نتحلق حول التلفزيون نتابع مسلسل السهرة العربي.
- كل ما أعرفه انه ابن صديق أثق فيه
اعرف أن الكلمتين الأخيرة من عندياته لمعرفتي الكاملة بأسلوبه المجامل والذي أثر في الأسرة.
- شعرت بالفرح..وحزنت لأنه سوف ينفصل من شجرة العائلة غصنا مورق
كنت اشغل نفسي بمراجعة الأوراق التي طلب مني تدقيقها قبل أن يعتمدها كشراء ومصروفات لمواصلة الإنتاج في الشركة التي نملك، استمراره في الحديث وصمت أمي ونظرات من يجلس معنا من إخوتي الصغار جعلني ألتفت نحوه ثم اقتربت منه.
- وماذا
- لم يتبقى غير رأيك
- ومن هو المتقدم
- رضاك من رضاي
- وأمي
- لا تعرف
- لماذا
- اليوم فقط فكرت في الأمر بجد
- والآن
- الأمر بيدك ويد أخيك خالد
اقتربت من امي.وأخذت أتذكر أشياء غابت عن ذهني، لماذا أمي لا تشاركنا حياتنا. .لماذا دورها دائم متأخر وكأنها من الأشياء التي في الإمكان الاستغناء عنه،ونحن نحس في نفس الوقت حجتنا لها.
أشغلني هاجس والدتي. لماذا أمي بعيدة ولم ندرك كأسرة ذلك حتى الآن، اخذ والدي الملف واتجه إلى غرفة النوم شعرت برغبة أن التحم بها واسند رأسي على كتفها وأنا مترددة إذا بخالد يدخل ويقبل رأس أمي ثم تمدد تاركا رأسه ينام على فخذها، يتابع معنا التمثيلية التي انتهت حلقتها فنهضت أمي كما هي عادتها إلى المطبخ.
- أمي ابقي في مكانك سوف أجهز أنا العشاء
- أنت
كان خالد الذي لم يرفع رأسه عن حضنها
- نعم
دفعت بسكينة رأس خالد مقربة إحدى المخدات. قاومها وأبقى رأسه في مكانه
- سوف ينقل مباراة في الدوري الايطالي
قالت أمي بصوتها الهامس
- ومالي

- سوف تتفرجين معي
شعرت أن في داخلنا أمر لا أدري كيف توصلنا إليه في هذه الساعة. تكوم إخوتي حول والدتي ودخلت المطبخ أعد العشاء، وصوت طلال مداح يصلني في إحدى أغنياته الجميلة ذات الإيقاع الراقص.
زل الطرب ياموجع الطار بالكف
فأخذت اردد معه الكلمات في عالم لا ينتمي إلى الحاضر.وخرجت من المطبخ وأنا أغني، لأفاجأ بنظرات الجميع ترمقني. كان الجميع ينصت لغنائي، وأمي تتحدث على غير عادتها، وكفها تعبث بشعر أختي التوءم ورأس خالد ما زال في مكانه بينما الصغار منصتين لكلمات أمي التي لا أدري مصدرها وغاب مبتداها بسبب وجودي في المطبخ
دقات قلبي ترتفع صداها يملأ المكان وهالة من النور تطوقنا، كل شيء يشع..ستائر النوافذ..جهاز التلفزيون ..الجدران ..المخدات ..حتى فراش الغرفة أصبح بساطا سحريا امتطى الهواء ونحن فوقه.
تجلت صورة السائق . وقد لطخ الدم وجهه وأصابع يديه، غادرت الغرفة ركضا تقافز إخوتي من حول والدتي صرخ خالد في مناديا ولحق بي هو وأمي ، فتحت باب غرفة النوم كان أبي يجلس خلف مكتبه مواصلا عمله جاءت بسمته الصغيرة المعتادة، ترك كل شيء وجلس بقرب والدتي.
المذيع يعلن ابتداء المباراة. رائحة شيء يحترق.تركت مكاني متجهة إلى المطبخ. الجميع يصرخ في احتجاج جماعي..العشاء احترق..العشاء احترق، وقد تلاشت المفترقات واختفت علامات الطريق.

المعاق

سألني لماذا دائما تأتي متأخرا.
انه يسحقني بكلماته التي أدرك أن مصدرها السكر. ومع ذلك فضلت الصمت وأنا أرشف قطرات بقيت في قعر كأسي.
الغثيان يرتفع إلى أعلى. ونبع الكلمات يتفاعل في داخلي، وأنا انتظر انخراطه في البكاء كما هي عادته عندما تكون جلسة مثل هذه.
أخذ يتفحصني ثم قال
- لا أدري كيف أنت قانع بحياتك
- ...
- غير من وضعك قبل أن يغتالك الزمن
- ...
- الجميع يركضون وأنت تمشي بخطوات سلحفاة
ركزت نظراتي في كأسي الفارغة. وبقايا فقاعات ملتصقة بجدرانه، وقطعا بلورية تمتز في قعره.
قلت
- وهل أركض.. لقد حاولت مرة.. فكان الطريق شاقا
قال
- شاق في نظر المتسول
توجهت إلى الحمام. أفرغت ما في جوفي ثم حدقت في المرآة الاحتقان ظاهر على وجهي، ما زال كأسي فارغا كما تركته حبات الثلج البلورية ذابت.
مددت كفي إلى إناء المكسرات. مد كفه إلى القنينة وسكب بعض مابها في كأسي، تذكرت ماذا كنا منذ عشرة اعوام.
ونحن نتجول في الأسواق بحثا عن امرأة نتمتع بها. كنا نجد أناسا يؤخذون عنوة من متاجرهم.. وعربة محملة بذوي السحنة السوداء تقف ليسلب أصحابها المارة نقودهم، أصبح تجوالنا رصدا لهذه التصرفات.
ووجدنا آخرين يشاركوننا ذلك. واختلطت الأهداف فأنطلق عيار ناري استقر في جسد رفيقي أصبح معه مشلولا بعد علاج مرتبك في مستشفى حكومي، وإشعار بطردي من العمل للمصلحة العامة.
استطاع أن يحصل على معونة المعاقين. أما أنا فقد ركضت.. وركضت حتى جفت منابعي للعودة وواكبني الفشل.
شيء في داخله يشتعل يدفعه للبكاء. منذ عرفته إذا انسطل يبكي، لا أدري مصدر البكاء لم يبح منذ عرفته بسر حزنه، زحف إلى ركن قصي من الغرفة وتمدد وجهه مواجه للجدار وأخذ شخيره يتقطع.
أتجرع أفكاري تركني؛ هناك من يتلصص من الخوف بدأت اتقلص.

الصلاحية

تلفت حوله باحثا عن موقف للسيرة أمام مبنى المؤسسة لمعرفته المسبقة بأن حارس البوابة لن يسمح له بالدخول.
فسيارته لا تحمل العلامة المميزة التي تحملها السيارات الجاثمة داخل الفناء، فالمواقف مرقمة ومحددة لا تستوعب سيارات الموظفين، فكان أحد ضحايا التميز الوظيفي، توقف مندهشا فالمكان مكتظ وهنا صرخ فيه البواب.
- ادخل لا تعطل حركة السير
الأمر مفاجيء. ولج الفناء كل المواقف مرقمة أي الأرقام يختار موقفا لسيارته، أنقذه صوتا يعرفه.
- احتل موقفي..فأنا في إجازة طويلة من اليوم
كان أحد موظفي المكتب الملاصق لمكتبه في الدور الرابع من البناية الشاهقة ذات المهام المتعددة.
صعد كما هي عادته السلم بدلا من استعمال المصعد. لأنه يحمل معه كل هموم العالم فيأخذ في مناقشتها ويطرح مع كل درجة في السلم يجتازها قضية.
ما أن استوى جالسا على الكرسي خلف مكتبه حتى طالع ورقة استدعاء مراسل المكتب لمراجعة قسم الملفات. وهذا تصرف ذكي من المراسل الذي لم يكن في الغرفة، أدار رقم هاتف الملفات
- سعيد عندكم
- ...
- لماذا الاستدعاء
- ...
- لإنهاء معاملة طي قيده الوظيفي
- ...
- هل وصل الستين... الرجل نشط ومجتهد
- ...
- التمديد غير ممكن ..والتعاقد يحتاج لإجراء جديد
اقفل الهاتف .انها زمالة عشرين عام في مكتب واحد، لم يفكر بالزمن وأن الأيام سوف تنفذ شرطها القاسي.
تعثرت خطواته في بقاء المستخدم سعيد. عند كل محاولة تصفعه كلمة الصلاحيات وصراحتها ولم يستحدث أرقام على بند العقود أو الأجر اليومي، في محاولة من المركز الرئيس يرشد فيها اليد العاملة بينما كمية العمل تتزايد.
وإيجاد موظفين برواتب أقل والبحث عن كوادر متخصصة وذات الخبرة في الانتقال من خلال تأخر العلاوات وتأجيل الترفيع من مرتبة لأخرى.
فكان عدم تعيين موظفين جدد بدلا من المتوفين والمحالين على التقاعد. أدى إلى تدني العمل وتأخر صرف المستحقات، وتلصص البعض وفق فجوات في الرقابة،لتطل الإشاعات ومظاهر الارتخاء وتبرز حالة تراكم النفايات في الممرات والأثاث الزائد والذي يحتاج إلى إصلاح، وقد خلت بعض الغرف والمكاتب من كائناتها الحية.
الحزن يتمدد وسعيد يكمل أوراق إنهاء الخدمة. وهو يفكر في إيجاد مصدر رزق جديد يساعده على مواجهة احتياج أسرته.

الأيام المتبقية من نهاية العام الأخير في حياة سعيد العملية تركض مستعجلة٠ وقد اكتمل إجراء طي القيد وقبل الموعد المحدد تغيب عن العمل٠
أقلقه الغياب فتمزق من الداخل٠ ضاقت به الغرفة وصمتها وتقطع النبض تكومت الأوراق على المكتب وفي جنبات الغرفة تنتظر سعيد يوصلها، توهج من الداخل٠٠ غادر المكتب لم يجد أحدا من الزملاء في طريقه الممرات مهجورة وأكياس القماش الأبيض مكومة أمام الغرف٠
كانت سيارته الوحيدة الجاثمة في الفناء تجاوز البوابة التي شرعها الحارس٠ التف يمينا امامه وعلي الرصيف شبح رجل يعرفه، كان سعيد وبرفقته امرأة بجوار إشارة السير يمدون اكفهم استجداء للصدقة٠

الحافلة

انطلق باحثا عن عود ثقاب حتى يشعل طرف السيجارة٠ لم يكن يدخن ومع ذلك قام بشراء علبة دخان من كشك السندوتشات والمياه المبردة٠
تلفت متفحصا وجوه ركاب الحافلة التي تنقسم إلى قسمين الأول للذكور والخلفي للاناث٠ وإذا بيد خلفه تمتد بقداحة سجائر مشتعلة، التفت إلى الخلف ولمحها من وراء الحاجز قد تكون واقفة بسبب الزحام ٠٠قد يكون بصره تجاوز الحجب فلمحها مصادفة٠
إنما وازع جديد في داخله دفعه إلى رفض إشعال السيجارة والاعتذار لصاحب القداحة بأن لوح بكفه اليسرى مثمنا التصرف٠ لم يكن يتوقع أن هذه الحركة سوف تصل إلى القسم الأخر من العربة، توقفت الحافلة في باحة السوق المركزية٠ أخذ الجميع يترجلون منها كان أخر المغادرين، تلفت حوله لم يكن هناك احد أشعره رجل الأمن بالغثيان الصور تتعاكس لا شيء واضح المعالم ٠
رفع كفه متحسسا جبينه ٠ كانت السيجارة بين أصابعه تأملها مليا وبهدوء باعد بين الإصبعين، التي تحاصرانها فتمددت فوق الرصيف سحقها بمقدمة حذائه٠
ما زال يشعر بالغثيان رجل الشرطة أصبح اثنان ٠٠ثلاثة٠٠اربعة، عاد للحافلة جلس في مقعده السابق؛ انطلقت ادخلها السائق المرأب لانتهاء نوبته في العمل٠

العيد

دعني أشاركك الملل، صوت خافت ينبثق من داخلي وقد جلست وحيدا اقلب صحف اليوم، هناك من يبكي ودموعه كزبد البحر، وهنا غجرية تضحك ملء وجهها اثر مداعبة ماجنة من مشتر يحدق في شبق في عينيها وهو يساومها لشراء نقاب وشته أناملها بالقلوب وغطاء مخدة خاطته بخيوط قطن ملونه تجهل مصدرها،
لا شيء يساويني في الفراغ، هكذا أنا منذ رجعت إلى عادتي القديمة وهي الجلوس في الدار وحيدا، تشعلني جملة وتبعثرني مفردة كأني قشة في مهب ريح،
منذ زمن بعيد لا أذكر تاريخه جرى اختطافي، بعد أن أعترض مجموعة تم تمويه معالم وجوههم بصباغ عاكس عربتي، كل ما أحفظه كان الطريق طويلا ومتعب، حتى الإشارات والحديث الهامس بين الخاطفين لم تتمكن من التصدي للصمت،
- أهلا
- لا أدري كيف ابدأ
نبرات الصوت مألوفة، لقد كانت هي البحر الذي احلم بالسباحة فيه، غير أن خوفي من الغرق وجهلي بالسباحة فرضا علي البقاء على الشاطئ وملامسته بنظري،
- لا تدري وأنت إشكالنا
- إشكالكم
- هذا الطفل ،،اشكالنا
كان يرشف شيئا ما من إناء جثم على الطاولة التي يجلس إليها في ركن من البهو الذي أقف فيه، جانب من وجه الطفل وابتعاد قدميه عن الأرض بسبب ارتفاع قوائم الكرسي يدلان على انه في الخامسة،
- ما أسمه
- نحن نناديه،،أسامة
- وهل استجاب
- نعم،،اخذناه من امرأة تمارس البغاء والتسول
- ماذا
- توقفت عربة على جانب طريق معتم،، لتمارس الجنس مع قائدها فتسلل الطفل إلى الحديقة المليئة بالألعاب الخشبية،
- انه ابني
- وهي
قررت الاتجاه نحوه، لكن قدمي لم تساعدني، الطفل يواصل لعق ذلك الشيء المجهول، كما أن وقوفي لم يثر انتباهه، نداء صاخب يدفعني إلى التحرك، لم يغير من جلسته وانحناء رأسه أو تحريك يديه، بينما لسانه مازال ممدودا منذ دخلت،
لقد كان تمثالا من الشمع، عندما توصلت إلى هذه النتيجة دبت الحياة في مفاصلي، قدمي تقودني إليه، المسافة ثابتة والصوت المألوف يستجوبني والجماعة الخاطفة ينسلون فرادى العرق تصبب من جبيني،
- الطريق تطاول
- لم يتطاول ولكن شاق
تلفت حولي كل الأشياء منحنية الأشجار البنايات العربات الناس، الشيء الوحيد الواقف هو أنا توقفت نظراتي عند قدمي فإذا بي لا أملك قدمين وساقين وأن ما يحملني ذرات تشبه غبار الرمل المحيطة بأعمدة النور في شوارع الرياض، وأنا أتأمل ذلك عندما لا أجد ما يشغلني،
- ها وصلنا

- لكن الطفل اختفى
خيط ضوء يطل من جانب البهو عبر باب موارب. وصوت أحاديث وقهقهات اقتربت من الباب غمرني الضوء كف صغيرة تتشبث بكفي وصوت اعرفه يهمس.
- أبي لقد تأخرت
كان أسامة الذي فقدته منذ أعوام ثلاثة بسبب حادث دهس سيارة مسرعة قتله وهو عائد للدار بعد شراء حلوى العيد من بقاله بالقرب من المنزل.
احتضنته وأنا أتفحص وجوه الحضور كلهم مجهولين حتى صاحبة الصوت المألوف لا أعرفها أفسح لي الجمع مكانا بقرب طاولة الأكل، أسامة الواقف اخذ ينحني وامرأة تنبثق من سقف البهو ملابسها براقة وحلي تتوهج تحفز انه يهرب انفلت مغادرا وأخذت أناديه والجميع يتمسك ببقائي في مقعدي.
أغلق الحضور المدخل مرحبين بالقادمة لما لمحتني رفعت كفها ملوحة. وصلت بعناء إلى الباب لم اعد أنا، هنا أخر في داخلي لمعت في داخلي كلمات وحروف لم استطع جمعها فقمعتها، عربتي أمامي والجمع خلفي أدرت المحرك انفجرت النار تطوقني جسدي يحترق الأشياء تختفي والطريق يمتد في صمت منتظرا من يعثر علي.

الطريق

نخلة لا يزيد طولها عن متر ونصف ومئذنة مسجد صغير يرتفع فوقها هلال. وبالجوار مدرسة ابتدائية مكونة من ستة فصول في بناء متهالك يدل على فقر القرية التي لا تزيد مساكنها عن عشرين دار.

يحيط بالقرية من الشرق والجنوب مزارع صغيرة ومن الغرب يمر طريق زفت إلى الجبال.

طلبة المدرسة يتحركون بهدوء وسكينة لوجود غرباء في غرفة المدير.

كان يقف وحيدا وثوبه الأبيض القديم. في التاسعة من عمره، أشار مدير المدرسة الذي يقف مع زوار المدرسة الغرباء.

- هذا طالب يستفيد من عربة النقل

غادر الغرباء المدرسة يرافقهم المدير سيارتهم. الصمت يطوف بسكونه على الجميع الطريق جبلي وعر، جرفته السيول وان مهدته دواليب العربات باستمرارية الرحيل.

قال أحد الغرباء

- ولماذا هذا الطريق

- لأن الطريق الأول قطع

لم يستفسر الغرباء عن سبب قطع الطريق السابق. حتى وصل الجميع إلى سكن جزء من طلبة المدرسة، البيوت القديمة من الحجر والجديدة المتهالكة من الطوب والخشب وصفائح الزنك متناثر على امتداد واد تكسوه الأشجار.

- هل يربي السكان الأغنام

- هي رحلة أبدية للبحث عن المطر

- كم المسافة بين هذه المساكن والمدرسة

- تقريبا عشرة كيلو

ابن التاسعة شعر برجوعهم فخرج من الفصل.

- هل وجدتم أحمد

كان احمد رفيق طريقه إلى المدرسة. عبر الطريق الطويل بعد قيام أحد الأمراء بتسوير الأرض المثمرة بإيعاز من مندوبه المجهول عزلت المدرسة عن منازل القرية المزروعة بين الجبال.

بعضهم يدعي أن إحدى ساكنات هذه المنازل تعرفت على شاب شاهدها يوما في سوق المدينة وعرف مندوب الأمير عندما تكرر وجود عربة بين المنازل هذه الصداقة، فأغرى السكان بطيب أخلاقه وسماحه لهم بالسقي من البئر التي حفرها في القرية بعد أن سور جزء لمعداته التي شارك بها في تمهيد الطريق المز فت حتى لا يعترض احدهم على استيلائه على ارضهم.

ونمت غريزة الاستيلاء بعد فشله في اكتشاف سر المرأة التي غادرت الوادي مع اسرتها. فكان أن زين للأمير الذي يخدم عنده بتمديد السور والتوسع مما قسم القرية وجعل الوصول للمدرسة شاق.

عادت المرأة إلى الوادي مع ابنها احمد الذي اختفى ذات صباح وهو في طريقه إلى المدرسة مد أحد الغرباء كفه مطبطبا على خد الصبي.

- ما أسمك ياولدي

- حمزة

- ومن .. أحمد

- ابن مزنه

دخل الغريب غرفة الإدارة ، وقف أمام مكتب مدير المدرسة الذي انهمك بتوقيع بيانات نقل الطلاب ومراجعتها

- أين احمد

رفع مدير المدرسة رأسه، تأمل الفضاء الذي يتجاوز الباب المفتوح وإطار النافذة، وحدق في الغريب، ثم حني رأسه منكبا في عمله،

أقترب الغريب تفحص ما يكتب المدير ، خطوطا متعرجة ومربعات ودائرة من أسلاك شائكة تحاول طمس وجه طفل طافح البشر، انبثق من بين الخطوط والأسلاك ليقف إلى جور رفيق الدرب المنتظر وحيدا في فناء المدرسة وسارا مجتازين السور الشائك إلى الجانب الأخر من القرية عبر الطريق القديم ،

مـــي

الم الغربة هذه المرة جاء قاسيا ٠برغم اعتياد السفر والهجرة إذ حل الاختناق، أنما هذه المرة شيء تجاوز المألوف٠
تتعامل في داخله نوزع شتى٠ هل كان سفره قبل الاجتياح من محاسن الصدف، لكن التشرد القسر هو ما يؤلم٠
لقد أكد حجز مقعد الطائرة على رحلة الرابع من اغسطس٠ هذه الوثائق التي يحملها لم تعد صالحة، هكذا قالت مي التي قالت إنها تعرفه وهي ترحب بتقربه مد يده فتداخلت الصور٠
تذكر الطريق الذي يؤدي إلى المطار٠ ومبنى مقر العمل ضمن أفراد حامية المطار، ترى ماذا تبقى في الموقع وهل رحل الباقون
مي الشيء الوحيد الباقي بعد رحيل الجميع٠ كل المنافذ مغلقة بعد أن قالت مي انه يحمل وثائق ملغية٠
اتجه إلى مبنى السفارة ٠ الحزن يطوق الجميع قام بتعبئة استمارة إثبات وجود، حتى يتمكن من الحصول على المعونة٠
سفارة الدولة المحتلة على بعد خطوات٠ دخلها قدم جوازه لموظف الاستقبال، أعاد الموظف الجواز له وطلب منه الرحيل٠

- الم أقل تحمل وثائق انتهت صلاحيتها
- وكيف استعيد هويتي
- عندما تقر الأمم المتحدة الضم
- وإذ
- سوف تبقى
- وأنت
- مرشدتك السياحية

قالت ذلك ثم غادرت الشقة ٠ لقد اعتادها إذا احتدم النقاش تغادره ليتحدث مع نفسه، مفسحة المجال لأن يتواصل حواره مع ذاته٠
الأضواء تملأ القاهرة وصخب الحراك الذي أندغم فيه الإنسان ٠٠بالألة٠٠بالنهر٠٠الشوارع صالات السينما والملاهي، أفكاره تمتد أمامه معلنة عما يتعامل في داخله، الوطن٠٠الأهل ٠٠الأرض والناس، الصور التي يشاهدها في التلفزيون تجعله يهرب إلى حضن مي وكأس تساعده على الضياع٠
شد احدهم كتفه من الخلف

- عماد٠٠عماد

لم يستوعب المفاجأة ٠ احدهم أخيرا يعرف اسمه ويناديه في هذا الزحام،انهمرت دموعه التفت باحثا عن صاحب الصوت، جاشت عواطفه حلق في فضاء من النور وهو يحتضن رفيق العمل، الأشياء تتشكل عليه الآن أن يواجه مي بأن له اسما وأن وثائقه حقيقة٠

- متى وصلت
- كنت في لندن ٠٠البارحة وصلت

قاطعه متهجيا

- الوطن ٠٠الناس

كان استفسارا يحمله الاثنان٠ دخلا مطعم وأخذهم الحديث وخرجا متجهين إلى مسكن رفيقه وجد آخرين يعرفهم، كلهم هنا دقق في الوجوه إنها هي ٠٠مازن٠٠بدر٠٠فوزان وهذه مي، هذه مي ترقص، الدخان يملأ الغرفة٠

أحس بالاختناق . الزحام يفجر رأس إذ تدخل مي ثانية تأخذها نشوى سيجارة الحشيش فترقص، ومي ثالثة ترفض سيجارة الحشيش فتتجرع قطرات من قنينة المشروب المنتصبة قرب التلفزيون وتداعت بجواره.
الأخبار تأتي كل ساعة. وقرارات مجلس الأمن تتوالى، انتقل مع رفاقه إلى الجبهة كان أول من دخل حاملا العلم لوح بجوازه سقطت منه صورة لمي وهي تقف في شرفة شقته سحقها بقدمه وهو يخالط جمع المستقبلين.

الرجل الذي مات وهو ينتظر

قالت الراوية:
لم تغير حنان ما اعتادت علية قبل رحيل سيدها إسماعيل مع الجيش لمطاردة لصوص الثغور٠ حيث ما أن مر وقت على غروب الشمس واجتياح جحافل الظلام حتى اتجهت إلى الحمام واستلقت في بركة الماء بملابسها مستسلمة لأنامل جاريتين جرداها من ما عليها من ثياب ودعكا جسمها بالماء المعطر٠ وخرجت نشوى إلى غرفتها في أقصى القصر حيث تطل نوافذها على حديقة غناء٠ وقفت قليلا أمام النافذة ثم حلت إزارها واندست تحت الغطاء٠

قال الراوي:
كان إسماعيل في تلك اللحظة يتلذذ باستعراض مجموعة من الأسرى، بعد أن انتصر الجيش على مجموعة من الجماعات المعارضة والتي رأت أن أفضل طريق تعبر فيه عن موقفها هو مهاجمة أطراف الدولة ومناوشة ولاة الحاكم٠ للكف عن اغتصاب قوت الشعب لإرساله مكوسا إلى العاصمة بعد أن يقتطع الولاة وممثلوهم نصيبهم الذي يزيد كلما تم إرهاق المواطنين بالضرائب والأتاوات٠

قال راو آخر:
بين الأسرى الذين استعرضهم إسماعيل فتى في العشرين من عمره بهي الطلعة حسن المظهر يطل من عينيه بريق القيادة٠
قال له إسماعيل
- ما هو أسمك يافتى٠٠!
- اسمي إبراهيم الناجد
- وهل أنت من هذه الناحية٠٠؟
- هذا ما أعرفه
- وهل لك بين الأسرى قريب
- كلهم
- أب٠٠أخ٠٠ ابن عم٠٠!
- كلهم
- لا تكن يا ولدي عنيدا
- ومتى كان الحق عنيدا
أشار إسماعيل لجنده بأخذ الأسرى إلى خيمتهم٠ وتمدد في فراشه وعلا شخيره٠

قالت الراوية:
استعصى النوم على حنان فغادرت فراشها ووقفت أمام النافذة تتأمل الفضاء المنساب أمامها راصدة النجوم والضياء المنتثر في الأفق، لم تشعر بالإرهاق من طول وقفتها التي استمرت حتى انبلاج شفق الفجر الذي معه رجعت إلى فراشها ليداعب الوسن مقلتيها لتغفو عما حولها٠

قال الراوي:
انتهت مهمة إسماعيل في تأديب ألعصاه وأرسل البريد إلى العاصمة لتخبر الوالي بما تم وأرسل مع البريد قادة الأسرى والغنائم مع مفرزه من الجند٠ ٠منتظرا أمر الوالي بالعودة إلى العاصمة٠ وفي الطريق تعرضت قافلة البريد لهجوم مباغت تم فيه قتل الجند وتحرير الأسرى واستعادة الغنائم٠ وقام المهاجمون بدفن معالم الموقعة في رمال الصحراء٠ وقرر إبراهيم الناجد أن يدبر مؤامرة فتشاور مع رفاقه واختار مجموعة انتخب منهم ثلاثة كمعاونين له٠ واختار سبعة كأسرى وأبقى نصف الغنائم بعد أن أمر باقي الأسرى بالعودة إلى مواقعهم دون أن يشعر بهم احد حتى يتصل بهم٠ واصل إبراهيم الطريق إلى العاصمة ودخلها منتصرا مبتهجا بين دقات الطبول ورنين النحاس٠

قالت الراوية:
وفي الطريق إلى قصر الوالي كان على قافلة البريد أن تمر بدار القائد اسماعيل٠ومع الضجيج أطلت حنان من شرفتها للتفرج على الموكب الذي يحمل أخبار انتصار زوجها٠ وتأملت قائد القافلة الذي رفع رأسه إليها وافتر ثغره عن ابتسامة صغيرة أخذت طريقها إلى قلبها فشعرت برجفة غريبة تسري في عروقها، وتوقفت القافلة وترجل إبراهيم ثم اتجه إلى باب القصر٠ ولم تتحرك من مكانها٠ وسلم لفافة لبواب القصر ثم عاد إلى مكانه في مقدمة القافلة٠

قال راو ثالث:
استقبل الوالي آمر البريد ولم يراوده أي شك، مع استغرابه حجم الغنائم وعدد الأسرى بينما رجال القافلة أربعة، ثلاثة جنود وقائدهم الشاب الأمرد٠ وزال الشك وإبراهيم يواصل الحديث عن انتصارات جيش الدولة المظفر فأمر باستضافته ومرافقيه في احد قصوره وأرسل الأسرى إلى ثكنة عسكرية حتى ينظر في أمرهم٠

قال راو ثالث:
اخذ إبراهيم ومرافقوه يتجولون في المدينة منقبين راصدين نهارا، وفي الليل يعودون إلى القصر متجولين في الغرف الفارهة متمتعين بالفراش الناعم، ومعاشرة بعض الجواري٠ بعد أن اكتشف ممر سري عبر حديقة القصر الكبيرة إلى قصر إحدى زوجات الوالي٠ حيث استطاع إبراهيم الوصول إلى مخدعها ذات ليلة فأندس في فراشها قبل أن تأوي إليه وقد قاده حدسه بأن نظرتها التي تصوبها نحوه وهي تمر به مع جواريها في حديقة القصر دعوة لا يستطيع رفضها ومخطط يريد تنفيذه قبل العودة من حيث اتى٠ ارتبكت من المفاجأة فأخذت نظراتها تستنجد بجاريتها التي تساعدها في خلع ملابسها، ولكن الجارية غادرت الغرفة وضحكتها تجلجل في ممرات القصر٠

قال راو ثالث:
تعرف إبراهيم على مجموعة من أبناء قريته ومعارفهم٠ أخذ يحدثهم عن أوضاع قريته التي تتعرض إلى سلب مزدوج من أمراء الحاكم ومن قطاع الطرق الذين يقدمون من الدول المجاورة٠

قالت الراوية:
استقبلت حنان اللفافة التي توهمت أنها من زوجها باستغراب حيث لم يعتد القيام بمثل ذلك٠ وأرسلت في طلب آمر البريد للاستفسار عن صحة زوجها ودواعي إرسال الهدية٠ لم يكن إبراهيم مستعدا للإجابة على الاستفسار٠ ولكن وجد المخرج في قوله بأن مهمته سوف تطول وأخذ يشرح لها كيف تم الانتصار ودحر الأعداء مما طمأن قلقها فرجته أن يبلغها بكل جديد وأن لا يقطع القصر من زياراته حتى تحمله بعض الرسائل عندما يأذن له الوالي بالعودة٠

قالت الراوية:
كانت حنان تقف خلف ستائر نافذتها عصر ذات يوم على غير العادة ولمحت أحدهم يتسلل إلى حديقة القصر٠ ثم شاهدت جاريه من جواري القصر تتجه إلى المكان الذي اختفى فيه الرجل وطال مكوثها في مكانها، قاربت الشمس المغيب وإذا بالجارية تعود وهي تتلفت حذر العيون٠

قال راو ثالث:
خرج إبراهيم من غرفة الأميرة مع أذان الفجر الأول، متخذا طريقه إلى القصر الذي يقيم فيه مع معاونيه الثلاثة الذين أزعجهم اختفاؤه دون علمهم فلم يخلدوا للنوم مع رفضهم لكل مغريات من يتسلل إلى غرفهم من الجواري٠ ما أن شاهد الثلاثة إبراهيم حتى امسكوا برأسه وقد خنقتهم العبرة فأخذ يهدئ روعهم بأنه كان ينفذ خطوة من خطوات المخطط الذي رسمه معهم٠ واعدا بأنه سوف يحترم خوفهم عليه٠ وفي هذه الأثناء دخلت عليهم جارية منقبة، ما أن لمحها أحد الرجال حتى ارتبك ورمقه إبراهيم مبتسما وهو ينسحب إلى غرفته٠

قال راو ثالث:
توسم إبراهيم في اثنين من الرجال اللذين تعرف عليهم في أسواق المدينة، أولهم كتبي والثاني محدث في المسجد الكبير، توسم فيهم التعاطف مع قضيته وان لم يتجاوز في نظرهم آمر بريد الحاكم٠ ووجد في ألكتبي خطوة لتسجيل معاناة شعبه رغم غنى الأرض التي يقيمون عليها ويستصلحونها٠ فأخذ كل يوم يروي له قصة جديده٠

قال الراوي:
أستبطأ إسماعيل وصول البريد٠

قالت الراوية:
طلبت حنان من إحدى جواريها البقاء في غرفتها لتؤنس وحدتها٠ فأخذت تقص عليها بعض الحكايات المسلية٠ حتى وصلت إلى حكاية ابن الحاكم الذي يتلذذ بجلد النساء٠ ومراقبتهن وهن يتصارعن مع الحضور من خلصائه في حفلات خاصة حضرت بعضها٠
- ومتى تقام
- دون وقت محدد٠٠اتريد سيدتي الحضور٠٠!

وفي ليلة غاب قمرها غادرت حنان القصر متنكرة مع جاريتها إلى قصر ابن الحاكم الذي بهره جمالها فدعاها إلى الجلوس بقربه وتناثر المدعوون وعلا لغطهم. بينما بعض المغنين ينشدون والجواري يرقصن حتى ساعة متأخرة من الليل. أشار لفرقة الغناء بالتوقف والرحيل وللجواري بالجلوس، ودخل القاعة أربع فتيات يرتدين سراويل طويلة وقمصانا شفافة التصقت بصدورهن، درن دورة كاملة ثم انحنين في اتجاه الأمير واتخذت كل فتاتين مكانا ثم تقدمت واحدة من كل اتجاه وبدأ العراك.
ومع انبلاج الصباح كانت حنان تخرج من غرفة الأمير ووجدت جاريتها تنتظرها أمام باب القصر.

قال راو ثالث:
علم إبراهيم بهواية ابن الحاكم فأخذ يتقرب إلى حجابه لحضور إحدى الحفلات حتى تيسر له مقابلته والجلوس اليه.

قال راو ثالث:
باح إبراهيم للأميرة ذات ليلة وهو في مخدعها بأنه تأخر ويخشى غضب القائد في الشمال عليه والحاكم لم يستدعه حتى يسمح له بالسفر. فطلبت منه التريث.

قال راو ثالث:
حضر إبراهيم حفل ابن الحاكم ووجد حنان تجلس في صدر المجلس.

قالت الراوية:
استأذن إبراهيم بالدخول على حنان التي أذنت له. لمعرفة حاجته.
- إني أجهز ركائبي للسفر
- ومتى يكون ذلك..؟
- خلال أيام فإذا كانت لديك رسالة لزوجك القائد
- الأمر يحتاج إلى وقت
ولاحظ عدم احتفائها به فأخذ يقص عليه بعض حكايات زوجها وبطولاته متأملا اثر ذلك عليها. ثم حول الحديث إلى الشعر وأحاديث السمار عن العشق والعشاق فشعر بإقبالها نحوه واستزادتها.
- من أين كل هذه الحكايا..!
- من الاطلاع والدرس
- وهل هذه القصص مدونة في الكتب..؟
- معظمها مدون والقليل في صدور أصحابها
- أمل أن تطول إقامتك معنا للاستزادة
- وهل كسبت رضا مولاتي
- اجل وتستطيع الحضور وقت ما تشاء
- ولماذا لا يكون لسيدتي مجلس خاص
- وهل ترى ذلك

وخرج وقد اختمرت في ذهنه خطة يستطيع بها أن ينزع الوالي من راحته واتكاله على تقارير أمرائه التي تدفعه إلى إرسال جيشه لتأديب العصاة دون مناقشة.

قال الراوي:
اتخذ إسماعيل من بين الأسرى خليلات وعبيد يقومون على أمره وأمر قادة جيشه بعد أن بنا قصرا أثثه بفاخر الرياش.

قال راو ثالث:
في ليلة سمر مع ابن الحاكم همس إبراهيم بأنه سوف يقيم بعد ثلاثة أيام حفلا خاصا بمناسبة سفره ويتمنى أن يحضره الأمير.

قالت الراوية:
ابتهجت حنان بالدعوة الخاصة التي همس بها إبراهيم في غفلة من الآخرين ودعته إلى غرفتها.

قال راو ثالث:
استطاع إبراهيم إقناع الأميرة بزيارته في مقر إقامته حيث يعد حفلا خاصا سوف يبهجها وينزع الكآبة من اعماقها.

قال حاجب الحاكم:
دخل ذات مساء ابن الوالي على والده وطلب أن يحقق له امنيته. فتردد الحاكم لمعرفته بنوازع ابنه ولكن أجاب في النهاية، فقال الأمير الشاب انه يتمنى على والده تعيين إبراهيم قائدا للجيش.

قالت جارية من جواري الأميرة:
سمعت مولاتي تسر للحاكم بأنها علمت برغبة البعض في تعيين إبراهيم في القصر وزيرا أول.

قالت حنان:
وجدت في إبراهيم رغم تمتعي بحفلات ابن الحاكم ما يشبع غرائزي التي تثيرها أنامل الجواري. بينما إسماعيل بعيدا يتابع العصاة ويحمي الحدود.

قال راو ثالث:

أخذ إبراهيم يسر لرفاقه بحنينه إلى أرضه وأهله. فأخذ الجميع يعاتبونه على هذا الحنين الذي لم يكن وراءه سوى الشقاء. شعر بالخوف من هذا الشعور فتوقف عن الحديث وصمم على المضي قدما في خطته، فقام بنشر مسحوق يزرع القروح فوق البشرة التي تلامسه في جدران وأثاث الصالة التي قرر إقامة الحفل بها وخلط المشروب بمحلول قاتل لا يتفاعل إلا بعد مضي يوم كامل دون أثر في داخل من يشرب منه حصل عليه من عطار زاره متنكرا بعد أن ضاعف له الأجرة.

قال الراوي:
مات إسماعيل وهو ينتظر..

قال راو آخر:
أخذ إبراهيم طريقه إلى قصر الحاكم واخبره الحاجب بأن الحاكم لم يخرج من دار الحريم وعليه العودة في المساء.

قال راو آخر:
أخذ الضيوف بعد غروب الشمس يتوافدون.

قال راو آخر:
قبل انبلاج الفجر خرج إبراهيم ومرافقيه من القصر.

قالت الراوية:
فقدت حنان توازنها فانطلقت إلى حديقة القصر فأخذ يلاحقها الحضور.

قالت جارية من جواري الأميرة:
وجدت عند الأميرة رغبة في زيارة الأكواخ الملاصقة لسور دار الولاية وقصور الحاكم فاتجهنا إليها وقدتها إلى كوخ رجل كثيرا ما كان يزورني في القصر.

قال حاجب الحاكم:
أمرني الوالي بإصدار أمر تعيين إبراهيم قائدا للجيش ووزيرا أول .

قال الكتبي:
ورد في كتاب (إتحاف الورى في أخبار ما ضاع من القرى) في الشهر الأول من عام احد عشر وأربعمائة وألف قبل الهجرة النبوية . حل وباء حصد ابن الحاكم وإحدى الأميرات ومجموعة من الجواري ومجموعة من قادة الجيش وبعض المغنين والمغنيات . بالإضافة إلى مجموعة من سكان الأكواخ الملاصقة لسور قصر الحاكم كما لم يسلم بعض أفراد القصور الأخرى.

تقاطع في خانة الآحاد

مع دخولي توقف خرير الماء، فصل المسئول عن الأمن في الفندق التيار الكهربائي عن نافورة المياه المزروعة في المدخل. وسيطر الهدوء لولا وقع نعل حذاء يمر متجها إلى باب المصعد أو مخرج الفندق، الساعة تشير إلى العاشرة من ليلة شتائي طويلة.

اتجهت إلى موظف الاستقبال حيث يقبع متشاغلا بمراقبة لوحة المفاتيح في اهتمام مبالغ فيه. تجاهل وقوفي، وأخذت أتابع حركات يديه وهي تبحث عن شيء حاولت تفسيره فلم اتمكن.

كان حضوري إلى الفندق بدعوة من عثمان الذي يشارك اجتماع نخبة من رجال الأعمال العرب بفريق من أوربا لمناقشة التبادل التجاري وتوثيق إستراتيجية جديدة للعمل بعد حرب الخليج العربي حيث أصبحت المعادلة ذات أرقام مختلفة وشعر معها بعض أثرياء الخليج بدورهم في البنية السياسية.

كانت الدعوة أن في برنامج اللقاء نشر الكتب وبناء الثقافة المعرفية، كما استوعب من مجريات الحوار وبالتالي وجدها كصديق فرصة لتبني تحقيق هدفي بإيجاد تعاون للنشر المشترك. ما دمت في القاهرة لحضور معرض الكتاب وقضاء إجازة لمدة خمسة أيام هربا من العمل، وأخذت الإنارة في مدخل الفندق تخفت بعض الشيء.

- ياسيد .. ياسيد الأستاذ عثمان إبراهيم
- هل أنت سليمان.. سليمان
- اجل لقد تأخرت بعض الشيء عن الموعد
- لقد سأل عن وصولك .. ويعتذر
- وماذا
- عليك الانتظار
- الانتظار ممل

الإرهاق يطوقني من كل ناحية وقد سددت فاتورة الفندق الذي كنت أقيم فيه على أمل السفر حتى ارتاح قليلا. وأكدت على الموظف كتابة رسالة لصديقي.

- أنت أديب

هززت رأسي نافيا، فأخرج من احد الأدراج ثلاثة من كتبي ولوح بها أمام ناظري

- الست .. أنت

وكانت الإجابة بأنني هو. هنا تغيرت ملامحه وقدم مفاتيح غرفة حجزها عثمان باسمي وتلفت حوله باحثا عن من يوصلني فلم اهتم. اتجهت إلى المصعد وأخذت أتجول في الممرات باحثا عن الغرفة (٢١٦) وما أن أغلقت الباب خلفي حتى كان جرس الهاتف يصرخ في مستقبلا.

- من..
- غرفة ١٩٩
- نعم

وأغلقت الهاتف ولما أترعت كأسا من مشروب تحفل به ثلاجة الغرفة خرجت باحثا عن الغرفة ١٩٩ الصمت يثير قلقي.. فتح الباب بهدوء عن وجه امرأة زاد ارتباكي

- أنا سليمان
- من
- هذه غرفة ١٩٩

ابتسمت وهي تلاحظ ارتباكي

- نعم .. غرفة من تريد

- ١٩٩
أثار النوم على وجهها٠٠ وتطلعت في الرقم المثبت على الباب كان ١٩٨ جاء الاعتذار في هذه اللحظة مريبا٠٠ وأشارت إلى الباب المقابل حيث يتراقص الرقم المطلوب٠
- أرجو المعذرة لقد وصلت الآن
- للسهر
- اجل وقضاء بعض الأعمال
- اسف٠٠ غرفتي رقم ٢١٦
اتجهت للغرفة المطلوبة وقمت بقرع الباب فلم يستحب فأخذت الطريق لغرفتي وقد زاد تشتت ذهني٠ تمددت في الفراش ٠٠لماذا تأخرت اللقاء كان في الثامنة أين عثمان في هذه اللحظة وهنا رن جرس الهاتف
- نعم
- لم تجد صاحب الغرفة
- لا
- لقد حضر
- شكرا
- انه يتحرك
- أسف
- هل ترغب في مقابلته
ترددت في الإجابة لشعوري بالدفء في الفراش
- الأمر غير ملح
كانت المتحدثة صاحبة الغرفة الخطأ٠ وشعرت بالذنب لم تعد للنوم بعد إزعاجي وقد يكون التصرف أخذ بالثأر٠ أخذت اقلب الاحتمالات بهدوء فاتصلت بموظف خدمات الغرف طالبا شاي وعشاء ودخلت الحمام أنعش جسدي بماء المغطس فانتزعني منه جرس الباب متوهما وصول العشاء فإذا هي٠
- ممكن
ولما توسطت الغرفة
- لقد طار النوم
كل شيء فيها يستفزني، شعرها الأشعث، وجهها الخالي من المساحيق، بنطا لها الذي لم تقم بإحكام أزرته،حزام البنطال المتهدل، صدرها المتكور تحت القميص الشفاف٠
- هل أنت من الخليج
كان السؤال غريبا فبادرتها رغم إدراكي بأنها مصرية من نطقها لبعض الحروف٠
- وأنت
- مديرة أعمال من يسكن الغرفة ١٩٩
وطرق الباب مجددا ٠٠كان نادل المطعم فحرك فرحها بالعشاء أوصالي وشعرت بالود نحوها كان التلفزيون مغلقا فقامت بإشعاله على فلم أجنبي مثير ٠٠تمددت في الفراش وأفسحت مكانا فتمددت بقربها ٠٠المشاهد المثيرة في التلفزيون أشعل النار في الفراش قمت بمص شفتيها تحرقت رغبة تجاوبت مع إقدامي لأتنبه من الرقاد على رنين جرس الهاتف٠
كان عثمان ينتظرني في مطعم الفندق وتلفت حولي ابحث عنها فلم اجدها٠
وجدت عثمان بين مجموعة من الرجال والنساء٠ قدمني لهم وأخذت أتحدث عن مشروعي
- إذا أنت على استعداد للمشاركة
جاء السؤال مفاجأة رغم استعدادي ٠ وأجاب عثمان نيابة عني وتحدث بشكل أفضل عن الخطوات والمجالات التي استطيع المساهمة فيها٠

وخرجنا من الاجتماع باتفاق اولي٠٠ واعتذرت عن المشاركة في الفقرة التالية من برنامج الاجتماع التي هي زيارة لمركز صناعي شريك في رعاية اللقاء، فأكد عثمان علي بضرورة عدم مغادرة الفندق حتى نلتقي في المساء٠
جلست على طاولة منزوية في مقهى الفندق متأملا الفضاء عبر زجاج شرفة المقهى
ـ هل تسمح بالجلوس
ـ نعم
كل شيء فيها مغير٠ والحيرة التي أصابتني وأنا أتفحصها البارحة تجاوزتني، كانت شفافة جميلة تسلب اللب٠
ـ لما لم تشاركيهم الزيارة
ـ خارج نطاق عملي
ـ متى غادرت الغرفة
ـ باكرا٠ ٠حيث اعتدت ذلك
استمر الحديث طويلا ثم استأذنت في الصعود لغرفتها
ـ سوف انتظرك
في الغرفة حاولت أعيد صياغة برنامجي ٠ ٠سكبت كأسا مترعة من قارورة المشرب الساكنة في ثلاجة الغرفة ٠ ٠اتصلت حتى اذكرها بانتظاري شعرت بحاجتي لها، ممرات الفندق خالية وقفت أمام الباب ثم تجاوزته واصلت طريقي لأجدها تقف على باب غرفة أخرى معها امرأة تبادلها الحديث ٠ لمحت ابتسامة صغيرة على محياها عدت للغرفة
جاءت برفقة زوجة احد أفراد وفد أوربي شقراء جف عودها كانت زجاجة المشروب على الطاولة مع كأسي المترعة تناولت الكأس وتجرعته ثم سكبت إلى منتصفه وقدمته لمرافقتها التي احتضنتها وقبلتها على شفتيها وأرسلت لي قبلة عبر الهواء٠ اثر الشراب يشعل دفين الاثنتين وشعرت أن هناك علاقة حميمة بين الاثنتين فقد استسلمت زوجة عضو الوفد للمداعبة الجنسية وتمددتا في الفراش وكان علي مشاركتهما اللعب ٠
ورن الهاتف كان عثمان يحيطني بعودته ويدعوني للمشاركة في العشاء٠ أخذت اجمع الأشياء المتناثرة ووجدت إن أحداهما نسيت حقيبة يدها فلم اهتم
قلت لعثمان وأنا أتفرس وجوه الجميع
ـ إجازتي انتهت
ابتسم ثم تسمرت عيناه على مدخل المطعم حيث اقبل مجموعة من السيدات آخذن طريقهن إلى طاولة أخرى في المطعم ٠ كانت إحداهن تختلس النظر بين لحظة وأخرى نحونا٠ تركني عثمان واتجه إلى طاولة الحلويات والفاكهة وهنا قامت المرأة التي كانت ترمقنا واتجهت إلى طاولة الحلويات ولم ادر ماذا حدث بعد ذلك حيث أقبلت السكرتيرة وزوجة عضو الوفد الذي عرفت انه الرئيس ولم يكن عضوا عادي
جلستا بجواري
عاد عثمان وعندما وجد أن المقعد احتل٠ اتجه إلى طاولة أخرى غادرت مكاني واقتربت منه
ـ وماذا بعد
ـ ألا ترى أننا نستطيع الاستفادة
ـ وعملي
ـ كلها يومان
ـ وهل
ـ لقد وعدتك
نهض عندما لا حظ الحضور يغادر المطعم فاتجهت إلى المقهى وجاء صوتها خافتا
ـ لقد نسيت حقيبتي
وغادر الجميع المكان في رحلة سياحية إلى أثار مصر وأسواق القاهرة

أخذت اقلب محتويات الحقيبة لا شيء فيها يثير الاهتمام ٠٠ادوات نسائية، ماكياج ومناديل ورقية معطرة، وبعض القطع النقدية، أعدت كل شيء إلى مكانه، وتمددت في الفراش ٠ وإذا بطنين خافت يثير اهتمامي، قمت ابحث عن مصدره في الغرفة حتى وصلت إلى الحقيبة فأعدت فتحها، الطنين يصدر من إحدى علب الماكياج فقمت بفتحها كانت جهاز إشعار، أعدت كل شيء ثم قررت إخفاء الجهاز٠
ولا أدري كم من الوقت مضى حيث نبهني طرق سريع ومفاجئ على باب الغرفة، ولم اهتم بإغلاق الروب على جسدي العاري ٠ كانت هي
- أريد الحقيبة
أفسحت لها الطريق ٠٠اخذت حقيبتها ثم خرجت ولم يطل تفكيري حتى كان الباب يقرع
- أين الجهاز
- أي جهاز
- سرقتني
- ولما لم تكن هي
- انه لها
- ولما أنت
- زوجة رئيس الوفد
شعرت برغبة كاسحة في اجتياحها وهي خائفة وترتعد من الرعب، كل شيء فيها يستسلم
- أرجوك ٠٠سوف تقتلني
أخرجت الجهاز من درج الثلاجة إعادته لمكانه في الحقيبة ارتدت ملابسها ووقفت أمام المرآة تصفف شعرها وخرجت منتشية٠
غادرة الغرفة ودخلت المطعم٠ وجدت الفتاة التي تحدث عثمان معها تجلس وحيدة
- هل تسمحين
وجلست أمام صمتها وعدم تفوهها بكلمة
- أين زميلاتك
- انتظرهم
- إلى أين
- سوف نقوم بجولة٠٠قبل العودة
- ما رأيك ادعوك لفنجان قهوة
لم تجب أيضا فطلبت اثنين من القهوة، أخذت أتأملها وهي تعبث بشعرها متوترة
- عثمان سوف يتأخر
- وما أدراك
- انه أخي
- أخوك
لم أواصل الكذب شعرت بأنني اقترف ذنبا حياله غادرت مقعدي وأنا أوقع فاتورة المقهى، وما أن ولجت الممر الذي به غرفتي حتى لمحت المرأة السحاقية تقف على بابي أسرعت اليها٠
أخذتها إلى الداخل وطلبت من المطعم أكل ومشروب٠ كانت مرتبكة لا تدري ما تفعل
- لا تشعريها بالفقد
وأنا أحرك كفي على ظهرها زارعا الهدوء
- لقد سيطرت علي من أول لقاء
- وكيف
- عرفت شذوذي وتمكنت من كسب رضاي
- كيف
- لقد عزلت نفسي عن الوفد٠٠ حتى أتمتع برحلتي

- وبعد
- اقتربت مني تكتشف صدق ما لديها من معلومات عني
- يعني
دق الباب كانت سكرتيرة رجل الأعمال، شعرت بالارتباك
اقتربت من ضيفتي في حوار بين اثنتين التقت رغباتهم
- أين الجهاز
قمت بفتح حقيبة ضيفتي وأخرجت علبة الماكياج
- هذا هو
كان تصرفي مفاجئ، أدركت إني عرفت أخذت أطرافها تتوقف عن الحركة. ابتعدت وهي ترمقني بنظرة ملتبسة وغادرت الغرفة.
هنا طلبت من ضيفتي الخروج أجلستها في المقهى وتوجهت إلى موظف الاستقبال وطلبت حجز غرفة جديدة لصديق سوف يصل بعد ساعة.
سلمت المفتاح للسيدة المتوترة ودعوتها للبقاء حتى عودتي. اتجهت للغرفة ١٩٩ استقبلتني السكرتيرة مرحة وبهدوء وأنا احتضنها
- هل كان شقيق عثمان في غرفتك
- قد يكون
لم تقل شيئا وقدمت لي كأسا من عصير الفواكه ثم استأذنت في الاتصال بلهاهف.. كانت تتحدث بهمس وبلغة مختلطة بين العربي والانجليزي، ثم أقبلت نحوي كان كل شيء فيها يتضخم وأنا أتقلص، أعادني لطبيعتي رنين الهاتف ثم مغادرتها الغرفة بسرعة.. استعدت هدوئي خرجت من الغرفة واتجهت إلى غرفتي، كان هناك دخان وأناس متجمهرين فانسحبت بهدوء.
كان جواز سفري في جيبي، اتجهت للمطار. توهمت أن هناك من يتابعني، تقدمت من مكتب سفريات وطلبت من الموظفة تذكرة سفر إلى جده أغريتها بمكافأة إذا أكدت الحجز والسفر على اقرب رحلة. كانت الرحلة بعد ساعة فقد أمكن توفير المقعد لأنني بمفردي، شعرت بالأمان والطائرة تحلق في الفضاء ولما اتجهت إلى الحمام لمحت وجه امرأة مألوف أثار الرعب في داخلي، وأنا اجلس على كرسي الحمام لم اهتم بالوقت وإذا بطرقات متكررة على الباب، كانت المضيفة وفوق ذراعها طفل.

الظاهرة

الموت يحاصرني من كل اتجاه عبر الزمان ومن خلال المكان وفيما يدور في حوار الأصدقاء كل مساء حتى في غيابهم.
قشعريرة البرد تسري في جسدي تحرمني من استشعار السعادة الموعودة في تطلعاتي رغم أن الطريق الطويل الذي يأخذني كل يوم إلى العمل إلى المنزل إلى المقهى يمارس الثبات الذي معه أتشبث بالقلق عندما انوي الاتجاه إلى مكان أخر فأستعجل النكوص.
- ماذا تبقى من الزمن
- الساعة تشير إلى الواحدة والنصف صباحا
- يعني التلفزيون قفل
- أجل..
- يعني وقت النوم حان حتى لا تفوتنا صلاة الفجر
- وحتى لا تتأخر عن السابعة والنصف
نهض من مكانه، أخذ يتأملني مازلت متشبثا بلي الشيشة (المداعة) الدخان يخرج من طرف اللي مليئا برائحة الجراك المخلوط كما يحلو لصاحب المقهى أن يلعب حسابات الربح المركب.
شعرت أنه يكرهني، هكذا قالت نظراته وضحكته الصفراء. وتخيلت كل شيء، اتجهنا إلى باب المقهى، كانت عربتنا تقبع وحيدة.
أخذت ابحث عن المفاتيح، كان جيبي خاليا. شاهدت ضحكة صديقي الصفراء مرة أخرى، عدت أدراجي إلى المقعد الذي كنا نحتله، بحثت بإصرار عن سلسلة المفاتيح وأخذت أبحث عن النادل الذي قدم لنا الطلبات، أخذت اقلب الوجوه حولي لعلي اعثر عليه.
- لقد رحل
- وكيف
- ينتهي عمله بمغادرتك
عدت أدراجي، أيضا شاهدت علامات الكره على وجه صديقي أهملت تفحصه والأسئلة التي أتوقع أن يطرحها، تأملت العربة اتجهت نظراتي إلى مكان تشغيل المحرك (السويتش) كانت المفاتيح هناك أشرت اليها. طوقنا الارتباك درت حول العربة لعلي اعثر على باب مفتوح كما هي العادة، لم ألاحظ سيارة الشرطة الواقفة خلف السياج من الجانب الآخر للطريق. أخذت اضغط على زجاج الأبواب لعل واحدا منها يهبط. أسرع صديقي إلى الأرض الفراغ التي بقرب المقهى بحثا عن سلك لنزع أزرار الأمان. .كل الجهود ذهبت هباء. فجأة توقفت سيارة شرطه ترجل منها عنصران اتجها بحذر نحونا. كان الثالث يراقبنا من داخل السيارة، تشكل الارتباك عرقا ينبثق من اطرافي.
- ماذا تفعلان
- المفاتيح داخل السيارة
- هل تخصكما
كان السؤال مفاجئا، أخذ صديقي يضحك، اتجه إلى سيارة الشرطة، فتح الباب الخلفي وركب، طوقني الاثنان ربطا يدي بالقيد عبثا كنت أحاول قول شيء. جلست بالقرب من صديقي الذي مازال يضحك. اخترقت نظراتي زجاج السيارة، كان النادل يقف خلف سور المقهى يراقبنا، التفت إلى صديقي الذي كف عن الضحك مع انطلاقة السيارة فلم اجده. كان أحد رجال الشرطة مغمض العينين من الإرهاق أما الأخر فكان يتحدث مع السائق.

مقاطع من حياة جرذ

(١)

توقف قليلا. وأجال نظره فيما حوله. الشارع خال من المارة، لقد رصد كل شيء.
يعرف ذلك مسبقا ثم اتجه إلى الباب المشرع. ولج المكتبة تجول بين الأرفف قليلا . ثم اقترب من موظف المكتبة.
- لو سمحت شاكر موجود
- من
- الأستاذ شاكر..
تأمله الموظف لحظات ثم رفع سماعة الهاتف وطلب رقما داخليا ثم أعاد السماعة.
- نعم في مكتبه
خرج بهدوء متمايلا في مشيته. للمرة العاشرة يقدم على هذه الحركة، وتردده الراصد لمقر النادي الأدبي يملأ داخله بالخيلاء أخذ الطريق يمتلئ بالمارة.
وهو يجتاز بوابة المبنى متجها إلى عربته، لمحه بعض من يعرفه. أشار لهم بزهو. ثم امتطى عربته مغادرا.

(٢)

الساعة تشير إلى السادسة صباحا في يوم منذ عشرين عاما، أخذ الطفل النحيل يجتاز الطريق الترابي متجها إلى مدرسة القرية، والدته تتابعه بنظراتها. كلما اختفى تلاحقه حتى لا يغيب عن نظرها، تجاوز الخوف بإصراره على أن يصل أول الطلاب حتى يحتل المقعد الأول في فصله. وهذا يجعله يبكر بالذهاب كل يوم، لمحها احد عمال المزارع الغرباء تتلصص. لازال الظلام يسيطر على الكون، فأخذ يراقبها حتى عادت. اعترض طريقها تأملته بثبات فلمحت في عينيه نداء، تلفتت حولها..لا أحد هناك..عادت إلى المنزل تمددت في فراشها متعبة. أخلدت إلى النوم.

(٣)

بحثه عن السباق المدرسي في القرية توقف بعد انتقاله لدراسة المرحلة المتوسطة والثانوية في المدينة، وأقام في منزل خاله، فالتقرب من المدرسين والوشاية بالزملاء وسيلة تمنحه درجات التفوق.
روضة ابنة خاله التي تفصلها عنه خمس سنوات تراقب نجاحه المستمر وهو يساعدها في حل واجباتها وشرح دروسها ولم تشعر بأنه بعيدا عنها بفكره وقلبه. همه تحقيق طموحه ومع ظهور نتائج اختبار الثانوية العامة عاد للقرية مخططا لانتقال أخر. أخذ يجهز أوراقه للالتحاق بالجامعة في مكة المكرمة ليبرمج معاشه بعيدا.

(٤)

أستمر في مزاولـة التجسس على زملائـه فـي الكليـة وأخذ يـصنفهم لـدى رؤسـاء الأقسام مـن خلال مخالطته لهم٠
وأصبح أحد أعضاء هيئة التدريس بالكليـة لحصوله علـى الامتيـاز والمكانـة التـي كسبها لـدى إدارة الجامعة٠
فخالطه الزهو٠ وتلفت حوله فلم يجد أصدقاء الماضـي، وأخذ يكـون روابـط عمل٠ بـين وقـت وأخر٠

(٥)

عاد إلى روضة، شعر بأنها تشاركه أفكاره ونجاحـه٠ أخذت تبتسم مدركـة الـدور الـذي يريده لهـا٠ وهـي تنتقـل مـن مجتمـع محـدود التعليم إلـى وسـط تنوعـت فيـه المـشارب وكثـرت عنـه الحكايات٠
كان يأتي نـهاية كل يوم مرهقا٠ فتتأمله وهو يتضاءل أمامها٠
ـ سوف أكمل دراستي
ـ اين٠٠؟
ـ الجامعة
ـ ماذا
توقف عن النقاش وقدم أوراقها للكلية التي يحاضر بها، وفي قسم أخر منحها فرصـة التفـوق التي لم تكن بحاجة لها٠
واستطاعت أن تحقق دورا قياديا في النشاط الطلابي٠ نجاح جديد أصابه بالغرور وهو يلاحق نجاحها، واستقر في ذهنه أن قدرته أكبر

(٦)

توقف عند فكرة المولود الذي تـأخر وهـو يـداعب أطفـال الـزملاء٠ فكـر فـي الـزواج مـن طالبـة يشرف على بحث تعده٠
كانت تناقشه بحرارة، شعر بـأن سلطانها يتعاظم ٠ فـي صمت تزوجها وكانـت الثمـرة الأولـى ولدا٠

(٧)
روضة لم تتوقف عن مواصلة تحصيلها العلمي

(٨)

اصطدم بطالب من الكلية ينـاقش بعض القضايا التي يطرحها في محاضـراته فـي صحيفة يعمـل بها محررا٠ فوجدها فرصة حيث أن السبق في الحـرم الجـامعي حرمـه المشاركة فـي الـصحف

فأخذ يتحدث ويزود الطالب بمقالات تحمل نظرته العلمية ودوره في صياغة محاور جديدة لفكر وثقافة طليعية،

(٩)

رشح اسمه لعمادة القسم للمرة الثانية توجس الفشل اتصل بروضه يستنجد قررت مساندته وقد أصبحت عضو في مجلس الكلية، غادر مكتبه اتجه إلى المنزل لم يكن هناك سوى طفله وخادمة سمراء؛ فاجأها مظهره المرهق تناولت غترته وعقاله أدخلته غرفة النوم تمدد بثوبه أحضرت كوب ماء تجرعه، لم يقاوم قيامها تجريده من ملابسه أحس بخدر لذيذ وهي تدلك جسده العاري تسللت كفه بين ملابسها،

السمكة

تأتين أقدامك عارية يصهرها زفت الطريق بلهبه، أنها الثانية ظهرا في يوم من أيام يوليو،
بينما كنت أترقب مجيئك في الثامنة مساء وقد ترطب المكان بندى هبوب نسمة مطر صيف.
- ها أنا..
كنت قد حشرت في العربة بقربي، كفي بين يديك تمتص لهب الصيف..تحاول اختراق شرارات الموعد في عينيك.
- وبعد..!
همسا قلتها حتى أزيد الموقف التهابا، رغم هدير مكيف العربة وظل الأشجار التي دسست العربة تحتها في حديقة الحي المهجورة. تطلعت في وغرست أظافرك في ظهر كفي التي استرخت فوق فخذك.. الألم جعل أصابعي تتقلص، تضغط بقسوة على الفخذ الذي تغضن عليه الثوب الفضفاض.
- لقد اوجعتني..
تفحصت ظهر الكف حيث أنشبت اظافرك. ولوحت بها أمام عينيك. أثار الأظافر بارزة والدم المحتقن في الشقوق يرسم الخالة.
مددت كفك إلى علبة مناديل الورق التي ارتمت عند أقدامنا استلت منها واحدا بللته برضابك أعدتي كفي إلى مكانها ثم مررت المنديل على جرحي .
عاد الهدوء الي. شعرت بالانتصار وأنت تعيدين تبلل أطراف المنديل برضابك ثم تمسحين ظهر كفي الراقدة بسلام بين فخذيك.
لحظتي ارتكاز نظرتي، فنزعتي كفي من مكانها وضمها إلى صدرك
- أسفه
إحساس عجيب انتابني وأنا أتأمل انكسار ابتسامتها وانصهار لحظة الغضب التي حومة فجأة في هذه الابتسامة الصغيرة، فأخذت الملم الشعر المنسدل بحرية فوق الجبين والأكتاف والظهر. طول الشعر يغيظني إنما كان هذه المرة لملمسه طعم آخر.
- لماذا الصمت دائما يحكم لقاءنا
مرة أخرى كانت المتحدثة. انبهاري بلحظة اللقاء وخوفي من انكشاف أمرنا لم يمنحاني فرصة الحديث الذي أجده سلسا عبر أسلاك الهاتف بين وقت وآخر.
- لقد شدني حديثك الذي يؤسس للأنعتاق من ربقة الخوف..!
يالله تمسك بي من حيث لا أدري، طوقت أناملي خصلة شعر فجذبتها نحوي. أغلقت جفنيها ووجهي يقترب من وجهها .تلامست شفاهنا.
تخلت كفاها عن كفي التي عادت إلى مكانها فوق الفخذين مستكينة في اطمئنان.
اقترابها جعل كفي تنحشر بين فخذيها، وبحركة غير معتمدة انفرجت أصابعي تدغدغ ما حولها. انهارت الأشياء حولي، لم أكن أتوقع أن هذا العبث سوف يولد الاختناق المفاجيء.
تمالكت الموقف، أخذت أراقب الطريق الذي اختفى خلف الأشجار وقطع الضياء التي تخترق الأغصان المتشابكة بوحشية وغلو.
تلمست الصدر الذي يعلو ويهبط..لم أجد النهدين في مكانهما..كان هناك تجويف لا نهائي.
لم أتمكن من استعادة كفي التي أخذت تهوي في العمق السحيق
- انك تؤلمني
كانت كفي في مكانها. شعرت بالارتباك، أخذت أضحك وأنا امرر شفتي على العينين المغمضتين، كنت الوحيد الذي يشعر بالحرية والضياع.

حيث كنت ارفض العادي. ففقدت إحساسي بكل ما حولي ما عدا أنت حيث كنت التجاوز الذي توافق مع احترافي الهروب وقد تناثرت أطرافنا في الفراغ.
- انك تزعجني
كررتها مرة أخرى بحده. تيبست الكلمات على شفتي، فطوقتها بذراعي واستكانت في حضني كما قطة أليفة تبحث عن الدفء.
أصرت على أن تتسلم المقود..التصقت بي، غيرت بدال الحركة، استقرت قدمها فوق ضاغط الوقود وانسابت ناعمة بين ممرات الحديقة إلى الطريق المؤدي إلى خارج المدينة. الخوف الذي سكن داخلي انفلت كما حمامة فك إسارها فابتعدت محلقة في الفضاء.
لم يعد للخوف مكان. وبين حضن الجبال غرب الطائف حيث نسمع هدير العربات المغادرة انشغلنا بفعل، لا يعنينا اختيار كلمات بيانه الختامي.

الحلم

الود مفقود كما هي الحال بين أصحاب المهنة الواحدة سبقني كثيرا بحكم علاقاته الخاصة، أتسقط أخباره بين وقت وأخر وابعث بعض الحياة في علاقتنا الممتدة إلى أيام الطفولة.
شعرت بالارتباك وأنا أقدم له بطاقة العضوية في الجمعية الأدبية لحرصه على هذه العضوية حصل على البطاقة قبل الرجوع لمجلس الإدارة كما هو المعتاد مؤهله في ذلك علاقاته الشخصية وتجربته الابداعية.
من خلال البطاقة استطاع أن يحصل على حق طباعة كتاب جديد كما تمكن من اخذ الموافقة على طبع كتاب لمسئول كبير في الاستخبارات وآخر يشاركه طرحه في صحيفة صفراء قوتها في تمكن كتابها من قول أطروحات جريئة تسير في ركاب الحزب الذي تنتمي له الصحيفة.
وبالاتصال المستمر تمكن من أن يحقق تواصل بين المشرف على النشر في الجمعية والمسئول الكبير من خلال الكتاب الذي أصبح قيد الطبع.
ـ هذه هي الصورة الحقيقية لكل الأمر
ـ وما معنى قولك أنك مستبد
ـ أنا..
ـ اجل..
ـ متى
ـ في سياق حديثك الترحيبي بصديقك وأنت ترى النسخة الأولى من كتابي في عربته
ـ قلتها بحسن نية . من خلال موقعي بالجمعية
كان الحوار داخل دائرة مجهولة الاسم. استقبلني موظفوها في بداية الأمر بنظرات رهيبة وصمت مقلق وأنا انتظر في احد ممرات الدور الرابع بعد أن اختفى مرافقي في إحدى الغرف لأفاجأ بمن يصرخ في..أنت ..أنت..
ولارتباكي لم الحظ النداء حتى اقترب الرجل وشدني عنوة من كتفي بثوبي حتى وقفت.
ـ هل أنت اصم..
ـ هاه
وفاجأني بصفعة قويه على وجهي وتحاشيت الصفعة الثانية بتحريك رأسي كرد فعل أنما ركلني بقدمه لم انبس بكلمة.
ـ تعال..
سرت خلفه الممر طويل على غير العادة شعرت بالإعياء غير إن خوفي قوي فولد في داخلي طاقة السير وولجنا غرفة محكمة النوافذ تتوسطها طاولة يجلس خلفها ثلاثة محققين أخذت ادقق النظر فيهم وعرفت المسئول الكبير..وصديق الطفولة.
ويقف خلفهم اثنان وجوههم ضاعت معالمها يرتدون الزي الرسمي قدم مرافقي الشرس التحية. ثم التفت نحوي حيث توقفت غير بعيد منه. وتقدم من الطاولة وتحدث هامسا ثم تحرك أليا حتى وقف خلف الطاولة تلفت حولي ولمحت مقعدا خلفي ملاصقا الجدار تراجعت خطوات وانهرت عليه.
تفحصت الغرفة وأخذت ارصد تقاطيع وجه المسئول الكبير الذي أشاهده للمرة الأولى رغم ظهور صوره كل يوم في الصحف يبدو في الواقع مترهلا مرهقا.
لم أهتم بالباقين لإدراكي عدم قدرتي في تحقيق تواصل حقيقي معهم. رغم همنا المشترك.
ـ لماذا لم تكتب مقدمة لكتابي.
السؤال اكتشفت أنه موجه لي بعد أن تركزت نظرات الجميع علي

ـ لأنه لا يدخل في اهتمامي الفكري
ـ وهل يعفيك هذا ٠٠
ـ أجل٠٠وقد أبدى أحد الزملاء حرصه عل كتابة هذه المقدمة٠
ـ من٠٠
ـ الأخ أداة٠٠أسف الأستاذ أحمد
ـ ولماذا لم تولي الكتاب عنايتك كمسئول٠٠
ـ أيضا الاهتمام الزائد الذي أبداه الأستاذ احمد
ـ إذا تعفي نفسك من الإهمال
ـ وأي إهمال وقد خرج الكتاب بشكل جيد

أخذ الثلاثة يتداولون الحديث٠ ثم تناول صديقي الودود بعض الأوراق من يد المسئول واخذ يقرأ كل ما أسمعه حركة شفاه غليظة وطنين٠

قد كون غفيت من الإرهاق ونمت جالسا أثناء ذلك أخذت أتذكر حالما صعودي الفكري الذي اعترته احن استطعت التغلب عليه بجهد وقدرة عجيبة٠ جعل " حنان " الفتاة التي اعترضت طريقي بموهبتها الفنية وطيبة والدتها تتزوج احد رجال المباحث العامة وان يتزوج إحدى قريباتي مسئول هام في الشرطة ٠ لم يؤثر ذلك في طرحي الفكري ومساهماتي على منبر الجمعية أو مجلسي الخاص في مقهى الحديقة بعد التاسعة ليلا لتدخين الشيشة وثلة من الأصدقاء٠أو تواصلي مع الصحف٠

تجاوزت محنة فقدان حنان ولم أحتفل بزواج قريبتي كما لم اهتم بملاحظات أحدهم وهو يطالبني بكتابة تقرير عن نشاط الجمعية وأسماء المساهمين في بعض البرامج٠ أعالج كل شيء بالنسيان٠

شعرت بالبرد أخذت أضم أطرافي فتحت عيني عنوة كل شيء حولي أسود الظلام يطبق على المكان حاولت الوقوف اصطدم رأسي بشيء صلب رفعت يدي وأخذت أتحسس ما حولي كان السقف منخفض حولي ظلام وجدران ملساء كانت عيني معصوبتان٠ تأكدت من ذلك أزحت العصابة أيضا المعالم مفقودة٠

تذكرت غرفة التحقيق، رجال الشرطة، المحققون الثلاثة، التقرير المقدم عن نشاطي الفكري، أخذت أتلمس الجدران من جديد تذكرت الصفعة المدوية على وجهي والركلة القاسية٠ جلست القرفصاء دفنت رأسي بين ركبتي التي طوقتها بذراعي ونمت٠

نعيمة

احترف الكتابة واخذ هاجس الكلمة يقلق وحدته ويشاركه الحديث في المجالس. لم يستطع إدراك الهدف الذي يبتغيه حتى وهو يمارس لعبة أحلام الظهيرة مرسلا نظره بعيدا وشريط سينمائي يتدرج أمامه حاملا كل معطيات الحياة التي يريد.

تأتيه المشاكسة من اقرب الناس اليه. تتمثل في عدم المشاركة فيما يطرحه من نقاط. رغم الاتفاق عليها. وبالتالي يجد نفسه وحيدا في متابعة كل طرح حتى النهاية مما يجعله وحيدا.

أحلام الظهيرة تراكمت في داخله. حتى اخذ كل مساء وهو يلج فراشه في تجريد نعيمة من ملابسها. ويطلب منها أن ترقص له وحيدا في غرفته وقد خيم الظلام حتى يعطي خياله فرصة احتوائها وتلمس انفاسها.

اتصال نعيمة المستمر وحديث بعض من تلتقي بهم عنها ولد في داخله صورة شاذة رفض تصديقها وبالتالي اكتفى بأن يكون الهاتف وسيلة اتصال حتى لا يصطدم مع قناعاته.

- ما هي نتائج الرحلة..
- انطباع جيد
- إذا لابد من الكتابة
- لمن !
- للآخرين
- ومن هم الآخرين

كانت دائما رافضة أي قناعة في حديثها معه. بينما ارتمائها في أحضان الآخرين وسيلة إرادتها بقناعة لتحقيق معادلة أشعلت في داخلها مرجل رفض الحياة معه من خلال الهاتف كما أراد تقول ماتريد. ومع الآخرين وهم يترقبون مقدمها عند الحادية عشر ظهرا تفعل ما تريد وهي تبحث عن صحف وشيء لا تدري كنهه؛ قد تجده في حديث غريب استطاع أن يجعلها تسير خلفه حتى عربته. تدرك أن هناك مؤامرة حولها ومع ذلك تتمادى في تجاهل إدراكها لذلك..

- لماذا لم تشارك في الحوار
- حول ماذا..
- هوية الثقافة
- أين..
- في..

قاطعها قبل أن تتم جملتها. شعر أن في داخلها هم أخر واخذ الحديث منحى آخر ولم يواصل اعتذر وأغلق الهاتف.والاحباط في داخله كانت قبلها فاطمة وأخرى تدعى فاتنة بين يوم وآخر يأتي ابنها لأخذ ما تطلبه من أوراق.

كثير هي أحلام الظهيرة. التي اتهمه الجميع بأنها من مفرداته وبالتالي كان العداء المستحكم المترسب في الأعماق حتى عندما تتفق الأهداف.

وقف على الرصيف منتظرا خلو الطريق من السيارات حتى يعبر إلى الاتجاه الثاني حيث يقف مبنى البريد شامخا مد الخطى ما شيا بسرعة. وصل إلى الجزيرة التي تفصل الاتجاهين توقف قليلا وواصل السير حتى ولج بوابة البريد. وهو يفتح باب صندوقه الخاص انطلقت رصاصة من الفتحة استقرت في صدره؛ الصور تختلط أمامه الدم يلطخ صناديق البريد اعتمد على الجدار أخذ يستعيد انفاسه.. ارتسمت عيون فوق الجدار وأبواب الصناديق وسقف المكان أخذت تحدق فيه. وتردد صوت ضحكة مجلجلة خلف الأبواب أخذت ترتفع.

وأخذ يفكر في مصدرها تلفت حوله الدم توقف عن الانبثاق الضحكة يعرف صاحبها صرخ بملء صوته

- زيد٠٠زيد٠٠

انكفاء على عقبه غادر المكان أصداء الضحكة في الممرات بوابة مبنى البريد الزجاجية كما هي العادة مشرعة، رجل الأمن خلف طاولته المنتصبة في الممر٠

غادر المبنى سيارته تقف في مكانها اتجه نحوها دون أن يتأكد من خلو الطريق٠٠ داهمته سيارة مسرعة توقفت أنفاسه اخذ الدم ينبثق مجددا ملطخا الإسفلت ويده مقبوضة على حلقة المفاتيح٠ كانت نعيمة تقف في الجهة المقابلة أمام إشارة السير داخل إحدى العربات المتوقفة في انتظار الضوء الأخضر للعبور٠

الفاتورة

صاحت فيه أريد ولد وتوقف الحوار ليخرج إلى عمله طول الطريق كان يفكر في الولد الذي لن يأتي انه الوحيد الذي حرم من الخلفة.
دخل المكتب عابس الوجه. ووقع في دفتر الدوام ثم وقف أمام مكتب زميله..
- لقد اشتد الخصام
- من اجل الأبناء
- نعم..
- ياسيدي اعرض أمرك على الأطباء
- لم اسكت..
- إذا واصل حتى تصل إلى نتيجة
كان عليه أن يواصل حتى يتحقق الأمل. أما سميرة فقد تكومت في الفراش وحيدة وأخذت تتلفت حولها. رن جرس الهاتف لم تهتم بالأمر ولكن استمراره دفعها إلى الاجابة.
- نعم..
- هل أنت نائمة..
- وكيف يكون ذلك
- أكيد هناك أمر يشغلك
- اجل..
الصوت غريب.. ووجدت فيه شيء يشاركها الهم. كان كل صباح يتصل بها. ما عدا يومي الخميس والجمعة.
كان همها كبيرا وأخذت تؤكد أن حرمانها من الخلف بسبب آخر أخذ يضحك..
- ولماذا لاتجربين..
- أجرب ماذا
- رجل يمنحك الولد
- ..
- لماذا صمتي ومعظم التحاليل لم تحدد السبب
اشتعلت الفكرة في رأسها. فأخذت تصعد من نقاش مراجعة الأطباء وتأكيد الفحوصات.. ومع ذلك لم يتحقق شيء..
كانت تتأمل أطفال باقي أفراد الأسرة بحسرة تداعبهم تحرص على مسح دموعهم وحمايتهم من العقاب. امتلأت غرفتها بالدمى والألعاب.
شيء في داخلها يزرع الأمل. الشجار لم يتوقف. ومرجعة عيادات الأطباء التي تضاربت تقاريرها تتزايد.
- هاه ماذا قررت
- لا شيء
- اتركي الأمر..
ذات مساء رن الهاتف كان أسامة المجيب.
- نعم..
- الأخ أسامة
- نعم
- أكلمك من علاقات المرضى بالمستشفى التخصصي
- خير..

- لك أمر بالعلاج..
أسرع إليها مفكرا في ذلك شعر بالارتباك. كان حديثه متقطعا لقد حاول أكثر من مرة أ ن يدخل المستشفى التخصصي لوجود تقنية عالية فلم يفلح. لم يقل شيء وقد داخله الشك.
اتجه إلى المستشفى. وتأكد من وجود الأمر واخذ موعدا لعيادة العقم
- لا أدري كيف..
- ماذا..
- أمس اتصل أحدهم..
- نعم
- وقال أن لدي فرصة للعلاج بالمستشفى التخصصي
- وماذا..
- تأكدت اليوم من ذلك وأخذت موعدا لمراجعة الأخصائي
لا تدري ماذا تقول. الأمر اخذ اتجاها آخر شعرت بالخوف يتلبسها ويشل فرحتها. كان عليها أن تأخذ أيضا موعدا بعد ما جاءت الفحوص ايجابية، الهاتف انقطع عن الرنين كل صباح. كانت تجلس في غرفة الانتظار تتبادل الحديث مع مراجعة..
- إنها فرصة لتحصلي على الولد
لدغها التقرير المفاجئ في إجابة المرأة الغريبة..
- فرصة..وكيف..
لم تجد الإجابة الشافية. كانت المرأة تضحك وهي تشير إلى بطنها المتكور.. دخلت على الطبيب تأملته كان وسيما رغم سنه المتقدم؛ أخذت تتخيل أشياء كثيرة وأصابعه تجس جسمها. تكور في داخلها شيء فأخذت ترتعش دخل مساعد الطبيب اخذ يتأملها وهي ممدة على طاولة الكشف اخذ يقرأ التقرير. أقترب منها أخذ يجس نبضها التقت نظراتهما. لاشيء يملأ ترقبها.
- أين انت..
- أخيرا
- اجل لماذا لم تجيبي على اتصالي
- كنت في المستشفى
- لإجراء الفحوصات
- أجل..
- ولماذا
- انت..
وأغلقت الهاتف. لا تدري ماذا قالت تمددت على أحد المقاعد في غرفة الجلوس وأخذت تتأمل سقف الغرفة، الباب يقرع نهضت في تثاقل كان حارس العمارة يناولها فاتورة عداد الكهرباء
استغربت المصادفة والحارس العجوز يغادرها صاعدا العمارة أخذت تتأمله؛ قبل أن تغلق الباب انبثق من المصعد شيء سرق ثباتها أنفاسها تتلاحق..
الظلام يخيم على الغرفة.

المكان

لحظة وينفجر الموقف٠ الساعة الواحدة والنصف صباحا وأنا أقف مع مجموعة من الرجال والأطفال أمام بوابة صالة النساء في قصر أفراح الحياة الذي أشعلت أضواؤه المكان٠
كان وقوفي الحائر والمرتبك دليلا على سريان قلق من سبقني إلى البوابة حيث لا يوجد بواب٠ ولا يدري أي واحد من الواقفين كيف يعلن اسمه حتى تخرج اسرته٠ جميع الوجوه غريبة المعالم٠
صوت الغناء يتردد مكتوما بين جنبات المكان٠ وفي الباب نتوء أشار أحدهم بأنه مركز نداء يستطيع كل فرد أن يقرب فمه منه ويعلن أسمه حتى تسمع عائلته عن تواجده وبالتالي تخرج دون عناء٠ تكومنا حول النتوء تساءل البعض عن صحة الموقف وجاء بعض الأطفال يعلنون أن بعض النساء يرفضن الخروج حتى يشاهدن زفة العروس٠
ومن خلال قلقي تقهقرت إلى جدار الفناء الذي يطل عليه مدخل صالة النساء وأخذت أتأمل الجميع٠ تراودني فكرة دعوة أحد الأطفال وتكليفه بالبحث عن زوجتي التي أحضرتها في العاشرة ليلا على أن أعود لأخذها في الواحدة٠
وجلست في الدار مع أبنائي أمام التلفزيون وتقليب بعض الصحف٠ الساعة الثانية صباحا ارتال من النساء والأطفال يخرجن من صالة النساء٠ والواقفين حولي من الرجال ينسل من بينهم بين وقت وأخر واحد واثنان في طريقه إلى عربته المحشورة في الممرات المحيطة بقصر الأفراح وقد سارت وراءه أسرته٠
رائحة العطور النسائية تملأ المكان٠ وإحداهن تنزلق أمامنا ويتداركها مرافقاتها، العباءات السوداء المختلفة الموديلات تشي عما بداخلها من أجسام وملابس وعقود وخواتم الذهب٠٠ بعض العيون تتلصص بجرأة من فتحات البراقع أو الحجاب الخفيف٠
تلتقي من وقت وأخر نظراتي بنظرات مارقة متلصصة٠٠تقدم طفل لا أدري شكله من المكان الذي أقف فيه٠

ـ عائلة سعد الأحمر٠٠

كان صوته خافتا وهو يتأمل الواقفين٠٠أشرت له وأقترب مني أعاد النداء٠

ـ عائلة سعد الأحمر٠٠

هززت رأسي بالإيجاب واختفى في بوابة الصالة٠٠ الساعة الثانية والنصف٠ كانت زوجتي تخرج من خلف السيارات المكومة أمام البوابة تختفي معالمها خلف العباءة الثقيلة٠٠ وقبل أن تصل إلي تعثرت خطواتها فأنكبت على وجهها٠
ضحك الرجل الواقف بجانبي أخذت أتأمله غادرت مكاني ٠ اتجهت إلى العربة٠٠

الرائحة

دخلت عيادة طب الأسنان في المستشفى فلم أجد أحدا وجلست على احد المقاعد أمام طاولة الطبيب يصلني صوت نسائي من الغرفة المجاورة كانت الساعة التاسعة صباحا٠
وانبثق الباب عن سيدة مكتنزة تلبس رداء ابيض ونظارة طبية مدلاة تصلح من شعرها وتسحب رداءها ما أن لمحتني حتى توقفت عن الحركة ثم التفتت خلفها٠٠حيث برزت أخرى اقل حجما وانظر وبهدوء انحشرت الأولى خلف المكتب فقدمت لها بطاقة المراجعة٠
كان المطلوب إعداد طقم أسنان لوالدتي التي تراجع العيادة منذ زمن، اخذت أتفحص الأخرى التي وقفت بالقرب من الطاولة والتي اعرفها منذ حضوري المستمر مع والدتي٠
ـ أهلا أستاذ حامد
ـ أهلا سميرة
مددت يدي مصافحا وأنا أقف
تأملتنا الطبيبة بهدوء
ـ الأستاذ يعمل فين٠٠
ـ في التعليم
قالت ذلك سميرة ثم واصلت٠٠
ـ أصل الدكتورة منى تحاول إحضار أولادها ومعرفة إمكانية دراستهم بالسعودية
ـ أبدا شيء عادي٠٠
وأخذت أشرح طريقة إحضار الوثائق وتصديقها من الخارجية لتحديد مراحلهم
ـ سوف يصلون مع والدهم بعد أسبوعين٠٠
ـ أنا تحت الأمر
ونهضت من مقعدي
ـ المطلوب إيه ٠٠!
قالت سميرة نيابة عني٠٠
ـ والدته لها ملف ويريد تنظيف الطقم حسب العادة٠٠وتناولت طقم الأسنان واختفت في الغرفة الثانية، نهضت الدكتورة وأخذت أتأمل جسمها المكتنز٠٠ ومددت يدي مصافحا٠٠أسترخت كفها بين يدي طويلا٠٠
ـ ولماذا لا تفحص أسنانك٠٠
شعرت برغبة في ذلك
ـ كلها ثواني
جلست على كرسي الفحص اقتربت من وجهي فتحت فمي، أخذت تفحص أسناني وكنت ادقق في تشكل صدرها الكبير٠
رائحتها جميلة شعرت بخدر غريب توقفت عن الفحص٠٠تأملتها في المرآة المقابلة تقف خلفي٠٠في انتظار نزولي عن الكرسي تريثت قليلا ٠ كانت تقوم بفتح الزرارالعلوي من ثوبها وتصلح ياقته٠
ـ ذوقك في العطر رائع
ابتسمت واقتربت من الكرسي٠٠
ـ ايه٠٠
ـ ذوقك في الريحه رائع
ـ شكرا

مددت يدي وأنا أقف مدت كفها، أخذت أتأمل قسمات وجهها ٠٠دخلت سميرة التفتنا نحوها اقتربت منا٠
ـ مازلت هنا٠٠
ـ أجل
ـ حسب العادة بعد المغرب
وخرجت من العيادة أمام نظرات الأثنتين٠٠ وعدت في المساء كانت العيادة مكتظة بالمراجعين٠
انتظرت حتى أطلت سميرة لدعوة مريض جديد
أدخلت المريض ثم عادت وأعطتني لفافة بها طقم الأسنان
ـ الدكتورة عايزاك٠٠
ـ بكره أمر الصبح
ـ تعال الساعة التاسعة ٠٠نهاية الدوام الليلة
ـ الليلة٠٠!
لم اهتم بالأمر وفي الصباح كان علي وأنا في طريقي للعمل أن أمر على المستشفى فلم أجدها وفي العاشرة اتصلت بالمستشفى فلم أجدها، ومع صلاة الظهر اتجهت إلى المستشفى سألت عنها فوجدتها في غرفة التمريض ٠ ما أن لمحتني حتى وقفت٠٠
ـ نعم٠٠
ـ أبدا٠٠
لمحتني سميرة واقتربت
ـ الدكتورة تحاول ٠٠تستأجر شقة ومترددة
ـ ولماذا٠٠!
ـ تخشى أن تكون بعيدة عن المدارس
ـ لا يهم
وتدخلت الدكتورة في الحديث
ـ ابدا٠٠يهم لأن هنا زحمة
ـ طيب٠٠ما هو المطلوب مني
ـ تحديد موقع مناسب
ـ عاينت شقة مناسبة٠٠!
هزت سميرة رأسها٠٠ وأشارت بيدها شمال المستشفى٠٠ خرجت الدكتورة من بوابة المستشفى وأنا خلفها أشارت إلى عمارة في الشارع العام٠٠
سرت خلفها حتى وقفنا أمام بوابة العمارة٠٠نهض البواب محتفلا بنا وسبقنا إلى الداخل ناولني مفتاح الشقة وفتح لنا باب المصعد٠٠ دخلت الشقة وهي خلفي٠
أخذنا نتجول الشقة مفروشة بأثاث يحتاج لتجديد
ـ يا أخ ٠٠يا أخ٠٠
أخذت أنادي البواب، وأسرعت إلى الباب لم أجده تلفت في الممر لا يوجد أحد عدت وأغلقت الباب٠
أخذنا نتجول مجددا ووقفنا أمام نافذة في غرفة الجلوس تطل على الشارع العام نشاهد منها المستشفى٠
ـ الشقة مناسبة
ـ والموقع اجمل٠٠
التقت نظراتنا٠٠ كانت رائحتها تخترق وجداني٠
ـ لو سمحت أسم الريحه أيه٠٠!

ضحكت وفتحت حقيبة يدها ٠٠أخرجت قارورة العطر أخذت أتفحصها ثم أعدتها بعد أن سكبت منها على كفي ومسحت وجهي٠
ـ خذ القارورة هديه
ـ أبدا ٠٠
أصرت وأصررت على الرفض ونحن نتحرك نحو باب الخروج التحمت أيدينا توقفنا عن السير، عتمة الممر أخفت معالمنا شعرت بأنفاسها ألرائحة أكثر نفاذا٠
شعرت ببرودة الحائط كل شيء فيها يدفعني إلى الركض سرى خدر لذيذ في جسمي، أمسكت بيدي كانت سميرة تنتظرنا أمام باب المستشفى؛ حدقت فينا وأخذت تضحك٠

الثعبان

في داخلي خوف رهيب، كان حلمي البارحة غريب أتخيل فيه أنني أمسكت بثعبان وحبسته في قارورة بها ماء محكمة الأقفال وقبل أن أنتبه من نومي على صوت المؤذن وهو يقيم لصلاة الفجر كنت أدحرج الزجاجة حتى أختفت.
تعوذت من الشيطان، وقمت من فراشي تأملت زوجتي المندسة بقربي وأخذت أضحك،
الصباح جميل وغيوم خفيفة تحجب ضوء شمس الصباح الباردة، تلفت في الشارع الترابي وقد خلى من المرة كانت أكياس الزبالة تنتظرني خلف الباب الخارجي حملتها لبرميل النفايات، بوادر الشتاء تلسع جسدي ببرودتها نحن في نهاية شهر نوفمبر.
الساعة السادسة صباحا
عدت للفراش أندس بهدوء تحت الغطاء زوجتي التي تصلي في ركن الغرفة تتأملني ببرود، غادرت الغرفة إلى حيث ينام أسامة وبسمة،
صوتها يصلني وهي تدعوهم إلى القيام والاستعداد للمدرسة، أشياء معتادة..
تذكرت الثعبان المحبوس داخل الزجاجة تبلد ذهني لا أدري كيف استطعت إدخاله في الزجاجة وحبسه أخذ القلق يساورني هل كان حيا أو ميتا،
أقتحم أسامة مضلتي، أندس معي تحت الغطاء شعرت ببرودته ما أن احتضنته حتى نام،
بسمة تبحث في المنزل عن حقيبتها، وفرده الحذاء كان أسامة الأول في كل شيء،
في إعداد حقيبته وارتداء الملابس أخذت أتلمس تقاطيع وجهه أتفحص ابتسامته وهو يصر كل صباح على النوم بقربي قبل وصول حافلة المدرسة،
برود غريب أشعر به،
صوت منبه الحافلة، تململ في الفراش يمسك بطرف الغطاء أدفعه إلى النهوض يشرع في ممارسة الاهمال،
أقفز من الفراش أصرخ فيه أسبقه إلى الباب الخارجي أتأمل سائق الحافلة والأطفال،
يطل أسامة مترددا، يلمح أفضل أصدقائه يجلس في المقعد الأمامي يرتقي سلم الحافلة،
يغلق الباب..
تختفي في الطريق، بسمة تنتظر ارتدائي لملابسي حتى أوصلها لمدرستها القريبة من المنزل حيث تعود في الظهيرة مع زميلاتها،
صمتها الدائم يحيرني ورفض أمها زيارة المدرسة للسؤال عن مستواها الدراسي يثير القلق في داخلي،
وكما هي العادة طبعت قبلة على خدي قبل أن تترجل من السيارة،
اتخذت مساري المعتاد للمكتب،
الساعة السابعة والدقيقة الأربعين،
أقف أمام أول أشارة ضوئية،
أمامي بعد الإشارة كوم من السيارات وأثار مياه ورجال شرطة، أشتعل الضوء الأخضر في الاشارة،
تحركنا بهدوء، حاذيت مكان التجمهر كانت حافلة مدرسية محترقة ولمحت أطفالا يقفون بقرب سيارات الشرطة والإسعاف توقفت،
ترجلت من العربة،ركضت نحو الأطفال أخذت أتفحصهم إنني أعرفهم اتجهت إلى الحافلة المحترقة،

زاد وجيف قلبي٠
أمسكت بأحد رجال الشرطة٠٠
- ماذا حدث
- حافلة مدرسية احترقت
- بها أحد٠٠!
- الجميع بخير وثلاثة أطفال تم نقلهم للمستشفى
أصابني تبلد رهيب٠عدت لتفحص الأطفال الجزعين٠
لمحت مدير المدرسة٠ أسرع نحوي وبادرني منزعجا
- أين أسامة
- ذهب للمدرسة
- في الحافلة
- أجل
احتضنني شعرت بارتجافه لم استوعب الموقف أسرعت إلى عربتي، اتجهت إلى المستشفى دخلت قسم الطوارئ كان أسامة متمددا فوق طاولة منزوية٠
أخذت أتأمله بهدوء تذكرت الثعبان وتذكرت في هذه اللحظة كيف اصطدته وطريقة حبسه في الزجاجة لم أتأكد من موته٠
ولكن أسامة كان متصلب الجسم بارد الأطراف وبسمته الصغيرة ذات الندبة على وجهه٠

الطيب

بشيء من الحسرة أخذت أمزق أوراقي نثار سنين من الهواجس والأحلام المنثالة٠ لم أفكر في أثر ذلك حتى وأنا أناقش الأصدقاء٠

أكوام من أوراقي الممزقة وقصاصات الصحف والمجلات التي تراكمت مع تراكم الأيام يتلقفها بهدوء برميل النفايات القابع في شموخ أمام الباب الخارجي للمنزل٠

وتناسيت تلك الحالة عدت للكتابة تذكرت أوراقي وحديثي فلم أعد أبالي بما حولي٠

- لقد حضرت واستلمت نسخ كتابها٠٠

- من٠٠!

- سارة٠٠ودفعت ألفي ريال

- اذا٠٠

- تبقى خمسمائة٠٠

وتذكرت / سارة / المرأة / المطلقة وهي تدفن رغباتها في وهم الكتابة وكان الحمل كتاب تعسرت ولادته٠٠حتى وقفت معها وإذا بها ترفض استلام وليدها وتختفي٠

زاد ألمي وشعرت بالإرهاق والقرف من صورة الطيب الذي يرفض الانسحاب حتى لو وقف وحيدا لمجرد الوقوف في سذاجة وغباء٠

سارة صورة لتراكمات سالبة بدؤها احتواء / سعد / على فكر وخوف / حسين / على مكانته في الإدارة حتى يكون صاحب دور في المؤسسة٠

قبل أن يعود سعد كان تمزيقي لأوراقي وظلال من السوداوية تتراكم في داخلي٠

الطريق الطويل نهايته تقترب السيارة تتجاوز إشارة الطريق الأخيرة مغادرا الطائف في رحلة عمل، الفضاء أمامي يتسع وشمس الصباح الناعمة بين وقت وآخر تلامس وجهي ومنعطفات طريق الهدى تلتهم أفكاري٠

كان المنعطف الأخير٠٠سمعت دوي شديد أختل توازن العربية الهاوية تفتح فمها لم أعد أتذكر شيء٠

المقال

(١)
رن جرس الهاتف كانت تبحث عن شيء يلاءم عجبها بما تكتب، وأخذت تقرأ نص جديد كتبته منذ ساعات وقاطعتها٠
ـ عندما جاء هاجس الكتابة أين كنت٠٠!
ـ أعبث ببعض المجلات٠٠
وجاءت مناسبة كبح جامح غرورها وإحساسها بأنها تكتب شيء هام٠
ـ فقط
ـ نعم
ـ الم تفكري بالتجرد من ملابسك
ـ لماذا
وأخذت أضحك٠ بينما كانت تردد٠٠لماذا٠ وتوقفت عن الضحك قائلا
ـ حتى تقفي أمام المرآة وتتأملي ما تحت سرك٠٠!
ـ قذر٠٠
وأغلقت الهاتف٠
اعتدت إثارتها في مضامين كتاباتها بما تولده النصوص التي تقرأها عبر الهاتف٠٠ وحالتي التي ارسمها عنها أثناء الحديث٠
كانت تكذب وتخلق أعذارا حتى لا نلتقي٠ وقناعتي باتصالها ومطالعة اسمها في جريدتها يولد داخلي حالات عن العلاقة الصوتية باسم مستعار٠
ـ اسمع باقي النص٠٠!
ـ من البداية
وأخذت تقرأ، صوتها الطري يثير في رعب الترقب ولم اشعر بتوقفها٠٠حتى صرخت٠
ـ هيه٠٠هيه
ـ صوتك جميل
ـ متى اكتشفت ذلك
ـ الآن
ـ والمقال
ـ يحتاج إلى قراءة أخرى
وأغلقت الهاتف٠ عرفت قصدي من القراءة الثانية٠هكذا توهمت لأنها لم تحتج رغم اعتيادي إقفالها لسماعة الهاتف المفاجيء٠ عندما يأتي احد أفراد اسرتها٠

(٢)
الساعة الثامنة ذات صباح وأنا أقلب أوراق المعاملات المتراكمة فوق المكتب وفي داخلي سكون عجيب٠٠رن الهاتف٠
ـ مفاجأة
لم اعتد اتصالها في مثل هذا الوقت
ـ أكيد لديك عمل
ـ أبدا ٠٠صوتك الجمني

- وبعد..!
- لديك جديد
- عندي مهمة ..تقرير صحفي عن مستشفى الصحة النفسية
- الأن..؟
- نعم ..في العاشرة
أغلقت الهاتف لا أدري كيف أجدها. المفاجأة زرعت الارتباك فلم أسألها كيف أتعرف عليها. خرجت من المكتب واخترت لسيارتي موقف منه أراقب المدخل.
زرعت أول خطوة فوق الرصيف وإذا بها تترجل من عربتها الفارهة. ميزت صوتها وهي تصرف السائق، ولمحت دفتر أعتدت مطالعته كانت ترسله بين وقت وأخر مع صبي في العاشرة.
- اخيرا..!
- نعم
بعد توزيع استبيانها على مراكز التقرير
اتجهت نحو عربتي صمتها يغريني بأن أوسع خطاي. فتحت لها باب العربة، احتضنت كفها وهي تتأمل الفراغ أصلحت من جلستي خلف المقود. غادرنا المكان لم يكن لدينا شيء نقوله..مددت يدي إلى غطاء وجهها ورغم مقاومتها سحبته كانت رائعة بسمرتها القريبة من البياض. أخذت أتفحصها بهلع أنني أعرفها منذ آلاف السنين.
- أخيرا
- ألا يوجد غيرها..!
- بلى..لم اتوقع..
- بشعة
- أجل..حتى أنني لا أدري ماذا أقول
- شكرا
اخترت شوارع جانبية تخلو من المارة. تسللت كفي نحوها تخللت أصابعها أصابعي في عناق صامت رائحتها تملأ فضاء السيارة. انحسرت العباءة عن رأسها واستقرت فوق كتفيها هزت رأسها فتناثر شعرها.
أسير دون هدف وإذا بنا خارج الطائف
تكونت المغامرة في داخلي ابتعدنا أكثر
الطريق الصحراوي الممتد نحو الشمال يتمادى أمامنا على جانب الطريق لمحت محطة بنزين ومقهى مسافرين. رمقتها مبتسما وأنا أنحرف نحو المحطة توقفت بجانب المقهى، اتجهت إلى احد عمال المقهى.
لم تتحرك من العربة، اتجهت نحوها ما أن فتحت لها الباب حتى ترجلت صعدنا درج المقهى الجانبي حيث غرف العائلات ترددت في الدخول..وقفت ملتفة بالعباءة في وسط الغرفة التصقت بها دفعتها إلى النافذة نرصد الطريق.
- وماذا نشعل
- عناصر مقالنا القادم
ابتعدت شعرت برغبة جامحة في اجتياحها كل شيء فيها يختلج.
تناولنا الإفطار
- مقال .. فره
- أراه لن يتكرر
تداعى الحوار وهي تسابقني مغادرين المقهى، واصلت الطريق ومع أول فتحت في وسط الطريق عدنا.

لم الحظ أن هناك من يتابعنا حتى اقتربنا من المدينة أمام أول إشارة ضوئية شعرت بالخوف تلفت حولي تأكد وجلي عند الإشارة الثانية٠
ـ هناك من يتابعنا
ـ أين
ـ بهدوء
ـ منذ٠٠متى
ـ لا أدري ٠٠ السيارة الزرقاء
وأمام الإشارة الثالثة الخضراء كانت السيارة الزرقاء تسبقنا بأمتار وتمهلت تحسبا فكان أن اشتعلت حمراء ٠
ـ ندخل إحدى المكتبات
ـ وبعد ذلك
ـ أوصلك للدار
ـ والمستشفى
ـ سوف أتصرف
ترجلت بهدوء وتريثت حتى دخلت المنزل عدت ادراجي٠ كان أحدهم يقف في منعطف الشارع تأملني وأنا ألج بحذر الطريق العام٠

(٣)
الساعة الواحدة ظهرا٠٠ رن الهاتف كانت هي، المكتب يعج بالمراجعين قلت٠
ـ مقال الأمس جيد
ضحكت٠٠ولم تنبس بكلمة
ـ أرجو ٠٠أن يكون المقال التالي أفضل
هز أحد المراجعين رأسه وهو يحدق في ضاحكا، ركزت عليه نظراتي وأنا اعتذر بانشغالي وأغلقت الهاتف
ـ هاه٠٠هل قرأته
ـ لا٠٠لكن شاهدته٠٠!
التقت نظراتنا في توجس٠ قلبت الأوراق التي جاء لملاحقتها، طلبت منه ما يؤكد علاقته بالأمر، اخرج هويته من حافظة نقوده تهجيت الاسم وطبقته على اوراق٠
ـ هناك اختلاف
ـ أنه أبي ٠٠أنا سامر
حدقت فيه تذكرت أني قابلته المعالم معروفة، شيء في داخلي يقلقني أنجزت توقيع الأوراق ابتسم وهو يغادر المكتب٠
لم أكن متأكدا من حقيقة اسمها أسرعت إلى المكتب الذي حولت الأوراق عليه، وجدتها بين يدي موظف الصادر أعدت تقليب محتوياتها ووجدت بيان بأسماء أصحاب الاستحقاق٠٠عواطف، سامر،سها، سعود، تماضر، ليلى،فاتن، ناصر٠
وتوقفت عند اسم عواطف وناصر ٠انها هي وناصر صبي العاشرة، عدت لمكتبي أخرجت من درج المكتب عدد قديم من صحيفتها لمقال علقت عليه جاء اسمها (عواطف الجمود) أخذت اقرأه وقد خلا المكتب من المراجعين وكذلك الموظفين وقد ربطت مسودة مقالي في طرف الصفحة بمشبك اوراق٠
لم ألاحظ أن وقت العمل انتهى وأن الهدوء يخيم على المكان٠
غادرت المكتب سيارتي تقف وحيدة في الفناء ٠ الباب مغلق تلفت ابحث عن الحارس، أقبل راكضا لا أدري من أين جاء ٠٠وقام بفتح الباب٠

القيافة

تلفت رصد في نهاية الشارع عربة نقل النفايات وعمال شركة النظافة فتح باب عربته أدار المحرك .
السابعة من صباح يوم بارد في تشرين . اخذ مساره المعتاد إلى المكتب في داخله هاجس مجهول الهوية . خلق بوادر ارتباك وقلق يعي أنها علامات يوم ملتهب .
أول موظف يقابله سكرتير الشيخ " إقبال " احد رجال الأعمال المعروفين .
ـ أهلا . . أسامة
ـ أهلا أستاذ حامد
دخل المكتب أخذ يقلب بعض الأوراق
ـ أستاذ حامد . . متى يتم تعميد المؤسسة بالعمل
ـ إذا وصلت موافقة الإدارة العامة
ـ الحال متوقفة
ـ ليه
ـ الشيخ مسافر من شهرين . . ومافي أحد يصرف رواتبنا
حديث أعتاد سماعه . أسامة كرر دعوته لتشريف المنزل بزيارة حان وقتها .
انتهى وقت العمل؛ ذات الطريق . والقلق والتوتر استقبلته " نجوى "ضاحكة ثم طرحت أسئلتها المتكررة . تذكر أنه نسي الخبز واللبن استلقى على ظهره أمام شاشة التلفزيون مشاركا طفله ذو السنوات الأربع متابعة أفلام الرسوم المتحركة .
حدد السابعة مساء للزيارة أخذ يتذكر العنوان أوصل نجوى لمنزل والدتها، أقترب من العنوان مع ارتفاع أذان العشاء . أسامة يقف في عرض الطريق لوح له . .
أوقف العربة .
سبقه إلى باب مشرع لشقة في الدور الأول، الهدوء مخيم ولجا غرفة جلوس مليئة بالدمى والرسوم توقف عند صورة معلقة فوق التلفزيون .
لاحظ أسامة ذلك فقال
ـ المدام ليلة الفرح
ـ متى
جاءت ساذجة وصوت حركة في مكان أخر، غادر أسامة الغرفة ثم عاد يحمل طبقا فيه بعض البسكويت والمكسرات .
ودخلت خلفه تحمل دله القهوة بيد والفناجين باليد الأخرى، التفت إلى الصورة كانت هي .
تصبب العرق في داخله تناول فنجان القهوة بكف مرتعش
جلست . .
أستأذن أسامة لم يحسب الوقت شعر أنه تأخر انتهى من شرب القهوة ليجد أمامه كوب من عصير الليمون .
تطلع في ساعته نهض وقفت في فتحة الباب محاولة منعه من المغادرة، همهم بكلمات انبثق باب الشقة عن خلق كثير .
تذكر طفله . . وزوجته
حضرت الشرطة . أنكر أسامة معرفته .

ضابط المركز شعر بموقفه، أمر الآخرين بمغادرة الغرفة، دعاه إلى الجلوس بالقرب من المكتب أنصت له.
طلب منه كتابة إقرار خطي بأقواله ودعي أسامة لأقفال ملف القضية، تنازل عن الادعاء مع حفظ حقوقه من التعدي عليه.
- كيف وقعت
- انه معرفة .. ويراجع المكتب في أعمال سيده
- المهم كن حذرا
غادر مركز الشرطة.
كانت " نجوى " قلقة على ابنها. باب الشقة غير مقفل لا أحد هناك اتجها إلى غرفة الطفل الخادمة ترقد على الأرض وهو نائم في سريره.
سمع نجوى تصرخ منادية، كانت غرفة الجلوس خالية من التلفزيون وجهاز الفيديو والمسجل أسرعا إلى غرفة النوم لم يعثرا على علبة الحلي.
أتصل بالشرطة.

العطاء

لم أفكر في الأولاد حتى أخذت زينب وأطفالها إلى منزلنا الجديد الصغار يركضون في الفناء بين علب الأصباغ وبقايا معدات البناء.
المكان أكبر من وجودي. أخذت الهواجس تلوب فلم أهتم بندائها ونداء زوجها وهم يغادرون المبنى.
العاشرة صباحا باب الفناء يفتح تلفعت بالعباءة
دخل احد العمال رائحة سيجارته تصلني انتصب أمامي
ـ أسف
وعاد القهقرى شيء فيه يتربص بي
ـ أنا الكهربائي
تذكرت أن راشد حريص على تمديدات الكهرباء ونوع الثريات
لكن ها أنا هنا وهو ما زال في الفراش
لم انبس بكلمة
ـ المعلم اختار نوع جيد وجديد
ووجدت الشجاعة للحديث
ـ نعم
ـ لكن تحتاج لعمل جديد
ـ الأستاذ.. سوف يكرمك
فتح مجموعة علب ورفع إحدى الثريات وأقترب حتى اتفحصها
جهزت الإفطار وأخذت أنادي راشد، تذمر وأطل بشعره المنكوش من باب المطبخ. أخذت اضحك حدق في بحرد تذكر أنه لا يلبس سروال البيجاما اختفى ومعه استعدت ذكريات سنوات أربع من الزواج وعشر من العمل، استطعت فيها برعاية والدي اقتطاع جزء من راتبي وشريت أرض، وبعد زواجي بثلاث سنوات ظهر اسم راشد في بيانات بنك التنمية العقارية فرع الرياض حيث تقدم بأوراق أرض يملكها قبل أن ينتقل للطائف.
حولت صك الأرض باسمه حتى يستفيد من القرض مقابل تنازله عن أرض الرياض وبعد إكمال المراجعات القانونية اكتمل المنزل.
زميلة في المدرسة شعرت بقلقي فأخذتني إلى طبيب تراجعه لمتابعة حملها في مستشفى خاص، وعند اكتمال الفحوص طلب الطبيب مني إحضار راشد.
انتهى شهر رمضان، فركبنا عربتنا كان مسارنا الشمال وصلنا الأردن ثم سوريا وفي العودة توقفت بنا العربة في معان. أقمنا عنوة في فندق متوسط الخدمات حتى يتم اصلاحها.
لم يقلقني تأخر راشد، بقضاء الوقت في مطعم الفندق والتجول بين المحلات التجارية المحيطة به.
شاركني المصعد رجل رائحة المشروب تفوح منه أخرج من جيب بنطاله زجاجة صغيره
ـ تفضلي
كان مطلبه مفاجئ تناولتها وتجرعت قليلا ليتوقف المصعد في الدور الذي اقصد غادر معي وشاركني الاتجاه وعند باب الغرفة أمسك بكتفي
ـ تفضلي نحن جيران
فتح باب الغرفة الملاصقة وهو يعب باقي القنينة

أشعل التلفزيون الذي تنتصب عليه قنينة أخرى منتصفة تناولتها متجرعة الباقي بهدوء اختلطت الصور استعدت صورة راشد وهو يقف في فتحة باب المطبخ بقميص البيجاما أخذت اضحك .
كنت في الفراش منهكة وصداع تطرق معاوله رأسي صحوت حلقي جاف فوق ثلاجة الغرفة وأنا اخرج قارورة الماء وجدت ورقة يبلغني فيها راشد بأن السيارة تم إصلاحها .
وأنا اجمع حاجياتنا جاء راشد يستعجلني
خرجت باب الغرفة المجاورة موارب وقفت ودفعته
قال راشد
- أنها خالية
- سمعت جلبه
دخلت وجدت قنينتي مشروب صغيره على طاولة التلفزيون
موظف الاستقبال وهو يعد فاتورة الحساب بين لحظة وأخرى يحدق في تذكرته كان رفيق المصعد .
الطريق الأسود يمتد أمامنا الصداع يتراكم في راسي أحنيت جسمي على الباب ونمت توقفنا في تبوك دخلنا " موتيل " مسافرين واصلت نومي حتى يتفقد راشد السيارة .
أحضر نادل المطعم أطباق الأكل تفحصته كان موظف استقبال فندق معان شيء فيه يشدني وهو يغادر الغرفة همست
- هيثم
قال راشد
- من
- انه موظف الاستقبال في الفندق
ضحك راشد
- هيثم هناك .. هذا عامل أسيوي
أخذت ارقب الطريق أتابع العربات التي نجتاز والتي تجتازنا .راشد اخرج زجاجة صغيرة من تحت المقعد رماها على جانب الطريق عرف إني شاهدت فعلته، اخذ يعبث بمؤشر الراديو .
أقمنا حفل حضره الأهل والأصدقاء . الصداع يعاودني شعرت بدوار تلاشى وإحداهن تضمني مودعه وكفها تهصر كفي ليسرى وهجها في داخلي .

الإرث

غير واقعية ومستحيلة قررت أن تكون قصة اللقاء القادم مع صديقاتي زميلات العمل ورباط الدم الذي يتم في الأسبوع الثالث من كل شهر ٠
- أخبرت زوجي بأني مدعوة مع إحداكن لحضور زواج صديقة في جدة
وعليه العناية بالأولاد ومساعدة الخادمة في إعدادهم للمدرسة
مع غروب شمس ذلك اليوم طلبت منه السماح لي بالذهاب إلى منزل رفيقتي
أوصلني السائق إلى السوق وفي تجوالي بدعوى شراء هدية العروس٠ استطاع احدهم أن يتسلل بين مرتادي المتجر ليقف إلى جواري ابتسمت
الانتصار دفعه إلى تسديد ثمن الهدية الذي يتجاوز مائة ريال
وفي الطريق إلى عربته عرف أنني انوي السفر إلى جده لزيارة قريبة ترقد في احد المستشفيات، أبدى استعداده وقطعنا الطريق بحوار متواصل كانت تتخلله ملامسة عابره من كفه يرتعش لها جسدي ووصلنا العاشرة ليلا٠
اقترح الإقامة في فندق حتى الصباح لأتمكن من زيارة المريضة، كان عليه أن يقدم بطاقته العائلية غير انه رشا موظف الاستقبال الأجنبي بأنه نسي ذلك فاكتفى بالهوية الشخصية واستمارة السيارة٠
تمدده في الفراش دفعني إلى الجلوس أمام التلفاز، نهض ووقف خلفي يعبث بشعري وتتسلل أصابعه إلى صدري٠
دخلت الحمام ومكثت طويلا عرفت انه غادر الغرفة لإحضار العشاء من مطعم بجوار الفندق لتعذر تأمينه من الفندق٠
لبست العباءة واحتضنت حقيبة يدي وتسللت من الغرفة تاركة لفافة الهدية
ولما تجاوزت بوابة الفندق لمحني شاب يقف بعربته أمام إشارة السير تجاوز الإشارة وانعطف ليحاذيني
اتجهنا إلى البحر وتوقف لشراء مثلجات وبليلة مع الوقت تجاوزنا الصمت وبين حراك مرتادي الشاطئ، أخبرته برغبتي السفر إلى الطائف كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل وفي الطريق اغتصبت عذريته٠
أنحفر اسمه ورقم هاتفه في وجداني حيث استحوذ علي جماله وصباه
بين ضحكات الجميع بدت القصة خيال غير مألوف٠ ومني بالذات ولأنني توقعت ذلك أخرجت من محفظتي صورتين الأولى للرجل الذي تركته في الفندق والثانية للشاب الذي اعادني٠
صرخت فاطمة ٠٠وهي تتناول صورة الرجل
- انه زوجي
فقلنا بصوت واحد
- كيف
روت لنا زواجها السري بعد أن فقدت الأمل في العودة لزوجها وخشيتها إذا علم بزواجها أن يأخذ ابنتها٠
واكتشفنا إن لسارة زوج سري ومريم تزوج عليها زوجها أخرى طلبا للأطفال ورابعة هجرها زوجها لإصرارها على العمل وشكه في أنها على علاقة بأخر في قسم الرجال٠
سرت القصة كشحنة كهرباء فينا فأخذنا نكشف خصوصياتنا ونحن نبكي لموقف ونضحك من تصرف عجيب حتى انتهت سهرتنا٠
كلفت صحبة الدعوة سائقها إيصالنا لمنازلنا، كنت أخر واحدة وقف حتى دخلت الدار
ما أن تمددت في الفراش حتى تنبه زوجي ٠

همهم
ـ الحمد لله على السلامة
التحمت به بدأ يشخر أصلحت المخدة تحت رأسه فتوقف لأنام٠

الغيل

قالت: وهي ترفع طرف ثوبها عن ساق أدمن حجارة الطريق وأغصان الأشجار الجافة فأدمته..
ـ كيف نقف
كان اقتراح التوقف مني بعد أن سرى الوهن في أطرافي وأخذت الوب كغيمة سوداء سدت المنافذ،لم أعد أبصر الطريق وأنفاسي تتلاحق رغما عني.
قلت: وأنا أستند إلى جذع شجرة جدباء بين أشجار تناثرت أغصانها في عبث على طريق سابلة مهجور.
ـ لقد تعبت.. وأخشى الضياع
فعلا كان الضياع فنحن من الصباح نمشي داخل هذه الغابة الملعونة، وخارطتنا ذكريات طفولة ومنزل يقبع أسفل الوادي هجره أهله.
ضحكت..
أخذت الأشجار تهتز لضحكها. وتذكرت الغيل الذي كان يمتد داخل الأحراش حتى حوض ماء مطلي بالجص.
صرخت
ـ الغيل
تلفتت حولها أسبلت ثوبها ساترة الساق الجريحة ثم ركضت لحقت بها، وتوقفنا أمام أثار منزل متهدم اختفت أكثر معالمه.
لم تبقى سوى حجار أساس الجدران.
وأخذت أبكي
وإذا بيد تهزني وصوت يسأل. فتحت عيني أخذت أحدق حولي وجه زوجتي يطل قلقا أغلقت جفني وأنا أنقلب على الجنب الأيمن لم اهتم بنظرتها التي اعتدتها وهذا الحلم يراودني منذ ثلاثة أشهر.
مشاهده لا تتغير غير أن معالم المنزل تندثر والأشجار تزداد جفافا والغابة تتسع الممرات بها ويزداد الغبار المتصاعد منها.
ذات ليلة كانت الرياح تعصف بالنوافذ والأغصان وزوجتي يزداد قلقها فهي لا ترتاح للريح الشديدة، وتتخيل حركة الأشياء جان بترصد
حتي ينفرد أحدهم بأحدنا
لم أشعر بقلقها في هذه الليلة إذ نمت كما قالت؛ تركتها أمام التلفاز تشاهد عرض مسرحي وفجأة انقطع التيار الكهربائي وصرخت مستنجدة، ولكن يد سوداء كممت فاها .. وعندما أفاقت كانت في الفراش بجواري . أخذت تبكي هلعا وهي تطوقني بذراعيها.
كنت في تلك اللحظة أعبث بالماء الذي تكون في الحوض وأمي تصرخ في طالبة مني إحضار عيدان الحطب.
بينما عائشة تركض نحوي وقد رفعت طرف ثوبها، ساقها الجريح يحوطه لفافة سوداء، غيمة سوداء تداهمنا وأمي تصرخ أن اركض وعائشة تمسك بيدي ..المنزل اختفى
أرتفع صوتي
وإذا بكف زوجتي تهزني كانت تضحك هذه المرة ونور يشع من جبينها..
ـ الحلم
لم أرد دفنت وجهي في صدرها غرقت في شذى عطرها ونمت
اختفى الحلم وتهدل رأسي لم أدرك أن التي احتوتني كانت عائشة.

نبهني من النوم صوت سيارة الجيران، تلفت حولي الفراش خال نهضت كانت زوجتي ترقد على الأرض في غرفة الجلوس ناديتها.
تأملتني ثم عادت للنوم ارتديت ملابسي، وصلت المكتب، الرياح الشديدة أثرها بارز في الشوارع، الزملاء يتحدثون عن حوادث متفرقة.
جدتي الشيء الذي أتذكره بشعرها الذهبي وثوبها الأسود الموشي بخيوط القصب ورسوم حمراء.
ولكن نسيت أسمها كما ضاعت معالم أشخاص أعرفهم منهم عائشة التي لا أذكر سوى أسمها ولا أدري هل حقا أسمها كان أم أنه وهم، ففي داخلي شيء يرفض أسمي وحقيقة هذه الأسرة التي أكون.
قال: أحد الزملاء..بعد صلاة عصر أمس وجدنا طفل في الرابعة بالمسجد يبكي تنبهت أستمع
قال: أخذه أمام المسجد إلى منزله واتصل بالشرطة..وقبل أن تصل سيارة الشرطة؛ كانت امرأة تدق الباب.
قلت
- وبعد..
لم يهتم الزميل بانفعالي غادر المكتب. ووقفت لحقت به اختفى بين الموظفين، أنكر الجميع وجوده.
غادرت الإدارة باقي الرياح الشديدة تلوي في الشوارع، دخلت الشارع المؤدي إلى المنزل صوت منبه سيارات الشرطة ..يرتفع..يرتفع.

الحملة

توقف الركب على مشارف المدينة٠ هاهي الطائف على يسار الطريق وقليل من الانحناء نحو اليمين يكون قرن المنازل ثم مكة المكرمة٠
انفلت أحد رجال القافلة وابتعد قليلا تاركا للصبيان والنساء وبعض الرجال إقامة المخيم وإشعال النار وتوزيع الزاد على أفراد القافلة٠
أخذ يتأمل الفضاء أنها السابعة ليلا وموعد صلاة العشاء يحل٠
قرأ النجوم والهلال الذي وضح بعض الشيء متجاوزا ندف السحب البيضاء التي مزقت زرقة السماء وسطوة البرد٠
رائحة الأرض اختلفت وكذلك عطر الأعشاب، والتفت إلى الشمال، تخيل حضن ذلك الجبل الفاصل بين إقليمين من الأرض ولكن لم يستطع أن يكون حاجزا بين الناس٠
- إنها هناك٠٠ تعالي٠٠!
قال ذلك بصوت مرتعش وهو يبتهج لشهاب لمع فجأة وتجاوز نظره٠
- من هي٠٠؟
كان السؤال من رجل تعرف عليه في القافلة افتقده أثناء إعداد الخيام فلما تلفت لمحه فأتجه نحوه٠
- ابنتي٠٠هناك
- وماذا جاء بها إلى هنا
- مع زوجها
شعر بأن لحظة التأمل تم بترها فحرك خطواته نحو أفراد الحملة وتداخل مع الجالسين حول النار المتوهجة في حديث سمر٠
نهض الجميع في ساعات الفجر الأولى، ولم يلاحظ أحد غيابه٠
تحركت القافلة مالت قليلا نحو اليمين لتصل مكة مع رفع أذان الظهر٠
كان قائد الحملة يعرف الطريق ومقر إقامة المعتمرين إذ نسق ذلك مع مكتب ممثلي طوائف الحجاج٠
وعند توزيع الغرف والأجنحة جاء اسمه ضمن قائمة التوزيع ولم يسمع صوته٠
وزع المتاع في الغرف والأجنحة بعد أن انزله عمال النظافة من العربات، وبقي فراشه مطويا وكذلك حقيبته الصغيرة السوداء أمام طاولة موظف الاستقبال في مدخل العمارة٠
أيضا لم يلاحظ ذلك احد٠
توجه الجميع مع أذان المغرب إلى الحرم حيث تناثروا غير عابئين بالضياع يحدوهم إيمان مطلق٠
وعادوا فرادى وجماعات إلى السكن٠ حارس العمارة يقف على المدخل وبجواره الفراش المطوي والحقيبة السوداء، ينتظر أحدهم يمد يده لأخذها٠
وطال وقوفه، عرف أن صاحبها لم يأت بعد، ولكي يتخلص من مسؤوليته دقق في كشوف أعضاء الرحلة وتوزيعهم على الغرف وأجنحة العمارة كان عددهم محدودا، وسهل ذلك فكرة طرق الأبواب والسؤال٠
كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل عندما وصل إلى النهاية٠ أمام باب شقة موارب وقف سمع حديثا خافت دفع الباب، خرج شاب لم يسود شاربه، وامرأة على وجهها غطاء أسود شفاف اختفى الشاب ووقفت المرأة،فسألها عن ضياع فراش وحقيبة من أغراضها، دعته للدخول للتأكد٠ تفقدت متاعها ونفت ذلك٠
- هل معك أحد

ـ نعم زوجي وأخوه
ـ أنهما يتسامران مع الآخرين
ـ وأنت ٠٠هل قاطعت سمرك
لم تجب ولحقت به لمعرفة نوع الفراش والشنطة فقد تعرف لمن، دققت النظر٠
ـ أنها لراشد٠ ٠ولكن٠٠
لم يهتم الحارس بباقي الإجابة فمعرفتها أغلق قلقه٠ اخذ يتأملها، نحيلة فيها بقية جمال مع تقدمها في العمر، وفي صوتها إصرار الاستيلاء على كل شيء في سبيل تحقيق نزواتها٠
دخل غرفته التي يختفي بابها وراء طاولة الاستقبال ولوحة تعليق مفاتيح الغرف٠
كانت وراءه، لمحها في المرآة المعلقة فوق مرقده أرتعد سمع ارتعاشه بسبب الصمت المطبق٠
اختفى الضوء
سمع حركة ونداء تمطط في فراشه٠
لا يذكر شيئا٠ انتصب وراء طاولة الاستقبال،مازال الفراش المطوي والشنطة السوداء في مكانهما صافحته وجوه الجميع٠
تذكر راشد٠٠ وتذكر المرأة التي كانت بدون وجه، ولا معالم لها٠
أوقف احدهم
ـ هل تعرف راشد
ـ نعم
ـ هل وصل معكم البارحة
ـ نعم
ـ هل أنت متأكد
ـ لماذا
ـ فراشه وشنطته في المدخل أمام مكتب الاستقبال٠
وفي اليوم الثاني كان راشد في ساحة الكعبة، تحلق حوله بعض أفراد الحملة يتساءلون عن اختفائه٠
ـ لقد وصلت الآن
ـ ماذا
ـ تركتكم قبل تحرككم من المخيم
ـ لماذا
ـ لأزور ابنتي في الطائف
ـ ابنتك
ـ نعم ٠٠لقد رزقت بولد أسمته راشدا
تفرق الجمع تركوه يكمل توسله وصلاته٠
قال قائد الحملة
ـ ولكني أعرف راشدا وحيدا
ـ كيف
ـ لم يتزوج٠ ٠ولا أذكر أن له بنتا
ـ هل جن
ـ سامحك الله انه أعقل منك ومني يعرف ربه
ـ ولكن
ـ فعلا وصلنا مكة بدونه٠ ٠أترانا نسيناه٠٠؟

تلفت البعض حولهم، اختفى راشد الذي أنهى صلاته واتجه إلى العمارة التي يقيم فيها رفاقه طلب من عامل النظافة حمل فراشه وحقيبته، دفع باب غرفته، كان شريكه يرقد في فراشه، بدل إحرامه وتمدد في الفراش الأخر ونام٠

المربوط

اعتذر عن حضور حفلة تخرج طلبة القسم النهائي بالكلية، كما هي عادته في الأنزواء.
وكانت بديعة تترقب وصوله إلى المقهى فتأخذ في إشغال هاتفه النقال. ومع توافد الأصدقاء يعتذر.
هكذا اعتاد، حتى اختفت بديعة من حياته ومن أسرته، فقد توقف الاتصال المجهول المتكرر. كان ذلك منذ عشر سنوت.
هاهي تعود من خلال انتقال عمل زوجها إلى الطائف مدرسا بمركز التدريب المهني.
لمح اسمها يتمدد بين شارع خالد بن الوليد وشارع عكاظ. محلات سباكة.. ملابس.. ادوات كهرباء، وعمال من جنسيات مختلفة.
- انه أرشد
- من
- أرشد البكستاني.. اخته كانت زميلتي في المدرسة
- ماذا به
- يبحث عن كفيل
- وما دورنا
أخذ أرشد يدير أعمالها من خلال مكتب فخم في إحدى العمارات التجارية على شارع أبي بكر الصديق.
اخذ العمال الأجانب يتقلصون، والمحلات تقفل مع اشتداد حملة الجوازات ومندوبي التجارة.
كانت الحملة فاعلة ومؤثرة معها أخذ عبد الرحمن زوج بديعة يلاحق أعمال المحلات المغلقة ويسدد ديونها، الأمر الذي دفعه أن يطالب أرشد بأوراق المشترين والنشاط.
اختفى أرشد. ولم يعثر في المكتب على ما يؤكد صحة الإجراء المالي والحساب مكشوف.
لم تصدق بديعة الموقف المالي الصفر لمحلاتها، فأخذت تراجع أوراقها، متهمة عبد الرحمن بالإهمال وعدم المسؤلية.
وذات ليلة جاء صوت أرشد يرجوها زيارة شقيقته. كرر الاتصال وأحضرت الخادمة صباحا بعد مغادرة الزوج للعمل وأطفالها إلى المدرسة.
كانت الرسالة مجموعة صور تجمعها بأرشد بينها لقطات بملابس عري، أنها لا تتذكر شيئا.
- هل وصلت الصور
- نعم
- والمطلوب
- مساعدتي على السفر
بعد تدقيق مركز على الصور . زارت شقيقة أرشد، عادت للصور
بعد إعداد براد الشاي والجلوس أمام التلفزيون بجوار عبد الرحمن لمتابعة إحدى مباريات كأس العالم.
- هذه صور تهمك
فوجئ بها تتناثر أمامه
- كيف.. كيف
- دقق

- هذا أنت
- نعم أنا
- هذا الخال صناعي
- طبيعي
- طبيعي
- هل أملك مثله
وشرحت له طريقة وصول الصور وارتباطها باختفاء أرشد. أسرع الاثنان إلى إدارة الشرطة، قدم الصور لمدير المركز وشكوى، استدعيت شقيقة أرشد وزوجها، أخذت تستعرض الصور لمح المحقق ارتعاش أطرافها، طالب بإحالتها إلى المستشفى لمقارنة جسدها بالصور العارية وسجن زوجها.
وقف زوجها معترضا وقال
- أرشد يختبئ في مستودعات الشركة
- الشركة
- أجل أنا مهندس في شركة الكهرباء
ألقي القبض على أرشد. أغلقت بديعة الهاتف لأن عبد الرحمن طلب قهوة لضيوفه توقف مترقبا. تطلع في ساعته.. بديعة جالسة أمامه تحدثه عن مؤسساتها لمنحها فرصة تنفيذ بعض أعمال ادارته.
دخل الموظفون لتوقيع نهاية الدوام في الدفتر الخاص بالعمل. اختفت بديعة نهض من مكانه تلمس المقعد المقابل كان حارا، ادخل نظارته الطبية في علبتها. أقفل درج المكتب وغادر الغرفة.

الخلاص .. والجذور الثابتة

كان رهان العمر . جاء جابر بخلاف توقعات المستقبل في صورة لا معالم لها . كسب جابر رضا الشيخ خاطر، معلم الصبيان السابق ورجل الأعمل .
لم تفلح دموعها في رد القضاء . ولم تفلح احتجاجاتها في غرفة تجهيز العروس في كسب جانب والدتها .
فكان أن مسحت دموعها . وحبست صراخها، زارعة ابتسامة صغيرة على وجهها الملطخ بالأصباغ لتواجه بصفير وشغب صديقاتها، الفرح يتسلل إلى أعماقها مع صوت المغنية .
جاء جابر ليجلس بجوارها . رائحته جعلتها تتكوم في الكرسي، تبادلت معه لبس محابس الزواج أمام عدسات التصوير وتجرعت على مضض كأسا من عصير الرمان .
وما أن غادر قاعة الفرح . حتى طوقنها صديقاتها وأخذن يتنافسن في الرقص على أنغام الفرقة الموسيقية، ووقفت لترقص وأمام سهام نظرات والدتها عادت وجلست .
غادرت القاعة عربة جابر أمام باب النساء . انداحت دمعة فوق خدها وهي تردد دعاء والدتها المنتحبة لها بالتوفيق .
تراكمت الصور وهي تقلب صفحات عدد جديد من مجلة اعتادت اقتنائها . أشار المحرر إلى إن العدد يمثل تحديا، لوجود الحوارات الجريئة والطرح المتجاوز، أعتادت أسرة التحرير تحمل مسئوليتها أمام القضاء وزيارة رجال الشرطة .
هذا كاتب كبير ومسئول قيادي من أسرة ثرية يضخم صورته في حوار مستفز غير عابئ بمسئولياته القيادية، وهذا مغترب يتحدث عن سجناء الرأي في بلاده في حديث تبريري يتجاوز محاور أسئلة المحرر، وذاك شاعر يبحث عن الحرية في غرفة امرأة يعرفها، وتتوقف عند حوار محررة أزياء تخشى لبس الثوب القصير وتتحرج من مناقشة تصميم الملابس الداخلية .
ورن الهاتف كان المتحدث عابث فأغلقت السماعة . تكرر النداء وإذ بجابر يدخل ليرفع السماعة طال الحديث وطلب منها إعداد العشاء .
جاء مولودها الأول ولدا . رأته انتصارا لها ولما جاء جابر من السفر أخذها من منزل والدها شيء فيه يرتعش وفي السيارة التفت نحوها .
ـ من أبو الولد
ـ أي ولد
وأشار إلى حجرها حيث ينام الصغير . رفعت الغطاء عن وجهها يده المتيبسة على المقود ترتعش وجهه برزت عظامه شفتاه ترتعشان كان اصغر من حجمه الذي رفضته قبل سنوات ثلاث .
واصل جابر سفره . موكلا خدمتها سائق يعمل في المؤسسة التي تحمل اسمه، وعرفت أن السائق يحمل نسخة من مفاتيح الدار عندما وجدته يرتب الخضار التي أوصته على شرائها في المطبخ، جابر يزداد ابتعادا والسائق يقترب أكثر بلكنته الأعجمية .
تقرأ بعض النصوص الشعرية . تقارن بين الرسومات والصور الفوتوغرافية، عنوان احد القصائد مريم تقرأ شعري لشاعر مجده المحرر استعادت أبيات القصيدة لارتباط النص باسمها حدقت في الصورة المرافقة، كان جابر بشكله المقزز أخذت تدعك عينيها وتمسح بأصابعها على الصورة .
سمعت مزلاج الباب يتحرك ووقع خطوات . صوت جابر يصلها دخل ومعه السائق غادرت الغرفة لحقها صوت جابر

- إلى أين ياخائنة
تسمرت في مكانها٠ جرس الباب يقرع دخل ثلاثة من رجال الشرطة، صوت جابر يرتفع دخلت أمها صفعتها على وجهها ألبستها العباءة وحملت الطفل، عربة أخيها أمام المدخل٠
مكيدة من جابر٠ اثر شكه في نسب الطفل الذي قدم بعد انتظار، اتهمها بالخيانة وتنازل عن القضية لقاء مبلغ دفعه والدها٠
تجاوزت مريم تقرأ شعري٠٠الى صفحات أخرى٠ منها صفحة بعنوان سطور من أوراق امرأة الأحداث تتشابه، جابر أخر أدمن المخدرات فأطلق الرصاص على زوجته الجميلة بعد أن ساومه أصدقاؤه عليها حتي ينتصر على صراعه الداخلي٠
فأخذت تبكي وإذا بكف حانية تربت على رأسها٠ كان والدها الذي جاء متأخرا
- هذا ملف بعض أعمال الشركة راجعيها
- أنا
- أجل ٠٠حتى اختبر قدرت مساعدتي
أكملت سطور أوراق امرأة عادت إلى حوار الكاتب شيء فيه يدفعها إلى عدم تصديقه، وأنه يستحق الشفقة وشيء من الدهاء في نظرته، احمر وجهها فأغمضت جفنيها، تراه يجردها من ملابسها سحبت الغطاء على جسدها؛ الصغير في فراشه يتحرك٠
المرأة وقود كتاباتي توقفت عند هذه الجملة من الحوار٠ تأملت الصغير وهي تغادر الغرفة بهدوء، شقيقها إبراهيم يجلس أمام التلفزيون يتابع مباراة في كرة القدم جلست بجواره٠

المـــرأة

توقفت سيارة الأجرة ذات اللون الأصفر بالقرب من الرصيف وترجل السائق العجوز لمح كرتونا وحقيبة كبيره أمام السيدة الواقفة على الرصيف وابنها الذي لم يتجاوز العاشرة، فتح شنطة السيارة ودس فيها الكرتون والحقيبة بينما ركبت المرأة في المقعد الخلفي والطفل في المقعد المجاورللسائق٠
انطلق بهدوء مغادرا السوق المركزي وأخذ يحاور الطفل حتى يعرف اتجاهه، كانت المرأة ترد على كل سؤال يتلعثم الطفل في الإجابة عليه٠
في مثل هذه الساعة من الليل تكتظ الطرق والشوارع بالراجلة والعربات، حيث تغلق المحلات لتأدية صلاة العشاء، ويعود معظم مرتادي الأسواق وأصحاب العمل إلى دورهم٠
تلفت السائق العجوز باحثا عن منفذ للهروب من اختناق الطريق فلمح وجه الراكبة في المرآة الأمامية، بهره جمالها ولمح مسحة حزن وشرود في نظرتها وحاول أن يوجد شبها بينها وبين الطفل الجالس بقربه٠
فتح راديو العربة، كان المذيع يروي بعض أحاديث الرسول التي قطعها فجأة مع ارتفاع صوت المؤذن بالإقامة، دخل في عدد من الشوارع الخلفية حتى يصل إلى حي الروضة، كما استخلص من إجابة المرأة٠
أخذ أمام المسجد الحرام صاحب الصوت الشجي في قراءة الفاتحة وما أن انتهى منها حتى أخذت المرأة في البكاء، التفت نحوها وأمام نظرتها انكسر وعاد إلى مراقبة الطريق٠
أخذ الطفل يردد مع الإمام الآيات، والسيارة تدخل أول شارع في حي الروضة، ولمح المسجد الكبير القابع في وسط الحي كان المصلون يغادرونه ٠ تجاوز المسجد صرخ فيه الطفل(هنا)، كانت أصابع الطفل تتجه نحو لوحة بقاله مضاءة مازالت مغلقه بسبب الصلاة أوقف العربة
قال الطفل: إلى الأمام قليلا٠ ٠هناك وأشار إلى باب لونه داكن، أوقف العربة وترجل اتجه إلى الشنطة حيث فتحها وأخرج الكرتون والحقيبة
وزرعها فوق الرصيف لصق الباب، ترجل الطفل وأخرج من جيب ثوبه عشرة ريال أجرة المشوار٠
عاد السائق إلى مقعده لم يدر محرك السيارة منتظرا المرأة لتترجل٠
اقبل رجل عجوز من نهاية الطريق ركض الطفل نحوه، حمل الرجل الحقيبة وسحب الطفل الكرتون دخلا الدار وأغلقا الباب٠
التفت السائق إلى الخلف، كان المقعد خاليا دعك عينيه، داخله شيء من الخوف مرر كفه على جلد المقعد، أدار محرك العربة وغادرالمكان٠
لمح في المرآة الجانبية عباءة سوداء مكومة على الرصيف وعاد من طريق آخر للتأكد من ذلك، فوجد المحلات التجارية فتحت والبقالة المغلقة تعج بالمتسوقين٠

اليتيم

جاء صوت أخيه أمرا ، فكان أن ذهب رغم انفه إلى منزل الأستاذ عبد العزيز للقيام بخدمته وخدمة والدته وزوجته وطفلهما الرضيع .
لم يتجاوز الثالثة عشر ، نحيل الجسد ارتبط بالفاقة واليتم من سنته الثانية، يعيش متنقلا بين منزل أخيه وأمه المتزوجة، ومع هذه الظروف كان ناجحا في دراسته متقدما على أقرانه .
بينما كان يصب القهوة ذات ليلة لحظ مدرس الفقه الضرير بين الحضور . ارتبك ولم يهتم بالأمر، وأدرك إن المدرس شم رائحته وسوف يفضحه في الفصل بين زملائه بأنه خادم في منزل أحد الوجهاء .
ورافق أخر الضيوف إلى منزله في حي أخر . لإحضار العدد الأول من صحيفة يومية جديدة، كانت الساعة العاشرة من ليلة شتائيه هجر المارة فيه الطرقات، عاد يمشي وحيدا عبر طريق طويل ووجد عبد العزيز قد أندس في فراشه .
استقبلته الوالدة بعطف وخوف . لفت حول جسده البارد بطانيتها ودعته للجلوس أمام المدفأة في غرفتها .
تنبه على صوت الزوجة التي وقفت فوق رأسه بثوب نومها الشفاف . وهو يدعك عينيه متفحصا ألقت في حضنه زوج جرابات . .طالبة منه غسلها بسرعة .
دعك الجوارب بين يديه ثم عقدها حول حبل غسيل ممتد في فناء الدار . ثم أخذ يداعب الطفل الذي أقبل نحوه في عربة تساعده على المشي .
أرتفع صوت شجار من داخل الدار بين المرأتين . تلفت حوله طبع قبلة على جبين الصغير وخرج .

الباشق

الخوف تلبسني ما زال الطريق طويلا، والسابلة أتجاوزهم الواحد تلو الأخر تصطدم نظراتي الشاردة بعضهم فأرسم ابتسامة صغيرة وصفراء على وجهي قلق ساورني بأنها لن تأتي كانت تبكي في الهاتف تعودت ذلك منها فهي تشكو من قسوة الحياة والألم الذي نخر جسدها.

لم تذكر والدها بكلمة طيبة أو سيئة كان حديثها عن أمها وإخوانها وزوجها وذكريات ربطتها به، كان اللقاء الأول أمام لوحة رسمتها للمشاركة بها في مسابقة فنية وزع فيها إعجابه ونظراته بينها وبين والدتها التي حضرت معها.

لم يتوقف أمرها عند الإعجاب وتشجيع مواهبها المتعددة بل تجاوز كل الخطوط الحمراء معها فقدت حريتي ووجودي، دخلت المسجد تلفت حولي صليت ركعتي تحية المسجد ودخلت من البوابة الجنوبية للمسجد عرفتها من خلال وجوه إخوتها ووالدها العجوز، أخذت أحاورها وداخلي يبكي تكومت بجوار أحد الأعمدة أثرثر تجاوزني المصلون لم يلحظني أحد كنت شاخص العينين خفت صوتي وتقطع تنفسي، حاولت النهوض فلم أتمكن أخرجت صورتها من جيبي أطبقت عليها بقوة وأنا ألفظ نفسي الأخير.

النسخة الأولى

بوله أخذ يمزق المظروف وبرز الغلاف الموسوم بصورتها. أنها النسخة الأولى من كتابه الجديد.
ما أن فتح الغلاف حتى أحس بوخز في باطن كفه الأيمن. أعاد طبق الغلاف كانت صورة عواطف تتموج غائمة بأطراف مدببة.
وقع الكتاب على الأرض. أخذت الحروف تنسل متناثرة ومع اندهاشه انفتح باب الغرفة وارتفع صرير مزلاج النافذة لتفتح على مصراعيها.
فأمتد خطا من الأحرف ومن أوراق الكتاب إلى عنان السماء.

ملابس سوداء

كم أنت غبي تقرير مفاجئ أوقفت معه تأملي وتوقفت عن مغادرة الغرفة، هكذا تخيلتها عبر الهاتف الاتصال كان مني للسؤال عن شقيقها، وقدمت المواساة في وفاة زوجها.
قررت زيارتها في اليوم التالي كانت هي كما أعتدت المجيب على الهاتف قلت: بدون مقدمات سوف أحضر وأغلقت الهاتف، الساعة الواحدة بعد الظهر فتحت الخادمة الباب وأخذتني إلى غرفة الجلوس، جاءت بملابسها السوداء ما أن التقت نظراتنا حتى ابتسمت نهضت مددت لها يدي سحبتها نحوي زرعت قبلة سريعة على أرنبة أنفها، تراجعت وجلست لم نتحدث كثيرا.
بعد شرب القهوة نهضت لم تقترب مددت يدي مودعا لم تحتفل بها سبقتني إلى باب الغرفة أخذت أدقق النظر فيها وأنا أسير خلفها فتحت الباب الخارجي تركت لي حيزا صغيرا حتى أعبر وابتلعني الشارع.

مجنون أبحر

(١)
قالت: وهي تركض نحو البحر لن أعود، لم يعثر خفر السواحل أو رجال البحر على جثتها، ونعته مرتادو شاطئ أبحر بالمجنون، ما زالت خيمتهم منصوبة وطفله الذي كان في عامه الأول حين اختفت يقيم عند شقيقته التي تزوره عندما تأتي إلى جدة للتسوق٠

(٢)
في مساء يوم الخميس بينما كان يرمق الأفق، والطفل الذي صار في الرابعة من عمره يداعب رمل الشاطئ، انبثقت متجلية من البحر ضمت الطفل إلى صدرها ورمقته بنظرة حزن وعادت تخوض البحر، نهض من مقعدة ولحق بها٠

(٣)
أخته تترجل من العربة دارت حول الخيمة لا يوجد أحد، وأخذت تمسح الشاطئ بنظراتها كان البحر رغم قلقها ساكنا والناس حولها يملأهم الانشغال، نبهها صوت جاء من خلفها فتركت لفافة كانت تحملها بجوار الخيمة، أمسكت بيد الطفل وغادرت المكان٠

النجاح

أخذت تركض في أرجاء الدار٠أخيرا نجحت؛ لم تفكر في نسبة التقدير كان همها اجتياز عقبة فشلت في تخطيها خمس مرات، ولما شعرت بالتعب دخلت غرفتها ونامت٠
أقلق الجميع تأخرها٠ أسرعت أمها وإحدى أخواتها، استقبلتهما رائحة عبقة وابتسامة صغيرة٠
هزتها أختها كانت متصلبة وباردة٠ لقد أسلمت الروح منذ كان انتصارها٠

المدرج

بسبب الفراغ شعر بالاختناق. فأخذ طفله وتوجه بسيارته إلى المدينة الرياضية، الأضواء تملأ المكان وصوت الرعد ومذيع يعلن نتائج المتسابقين.
جلس في أخر المدرج الجنوبي يراقب الناس والألعاب. الطفل أخذ يتنقل بين المقاعد الفارغة، والحاجز الحديدي الذي يحمي الملعب وفي الثامنة شعر الطفل بالتعب فصعد المدرج وجلس بجوار والده.
في العاشرة لاحظ أحد رجال الأمن الطفل ووالده. كان الطفل نائما والرجل جثة هامدة.

المواجهة

أنت٠٠ صرخت في وجهه٠ بعد أن أغلق باب الدار وأصبح في موجهتها ولم يعد أمامه طريق للعودة٠
ـ نعم
ـ أين كنت
تأملها بحرد وهو يحاول كظم غيظه٠ وحبس ثورة تعتمل في داخله تتفاعل منذ أيام عندما تأكد أنها تأخذ الفلوس خلسة من جيب ثوبه دون اذن٠
ـ كنت في العمل
ـ حتى أخر النهار
انه يقضي معظم يومه خارج الدار٠ ليس هربا أنما خشية الموجهة لقد أعياه الترحال والوحدة والغربة، ووجدها سكنا هادئا وحقيقة يبحث عنها٠
لم تطل ملاحقته حتى غدت زوجه٠ وأصبح الرجل الذي بحثت عنه في المحطات المهجورة٠
ـ ودارك
ـ أنت
لم ترد عليه أخذت طريقها إلى المطبخ٠ نظره يتابعها فيها جمال أسر مازال يعشقها هم باللحاق بها ودغدغة مؤخرتها٠
وإذا بطفليه ينبثقون متسابقين لضمه والفوز بقبلاته التي لم تكن لهم ذات يوم٠

وجه

الطابور طويل ويشكل ثلاث مسارات. كنت أقف في المسار الأول بينما يقف في المسار الثاني، تقدمنا مع بطئه كان منسجما مما أعطانا فرصة المناقشة؛ المسار الثالث أسرع تأكدت من ذلك وأنا الحظ وجها غاب أسمه يتكرر.
انتقلت للمسار الثالث وتجاوزت صديقي ووقفت أمام النافذة. الموظف يحمل وجها يتكون من قسمين؛ الأول جزء من الوجه الذي تكرر والجزء الثاني بعض معالم وجه الصديق الواقف في المسار الثاني.
سددت القسط التاسع من قرض بنك التسليف العقاري وخرجت. رجل السير بجوار سيارتي اقتربت وجلا، فتحت الباب، أدرت المحرك ابتسم وهو يتجاوزني على ظهره رسم وجه قسم يحمل وجه صديقي وقسم يحمل الوجه المتكرر.

العجوز

تعمقت في داخلي صورة العجوز الذي كان جالسا أمام باب المسجد يبكي، فتصاعدت الغصة في صدري،

تذكرت أني يومها تجاوزته بدون مبالات، ركضت عندما تعالت زفراته نحو عربتي وغادرت المكان،

الطرقات مزدحمة وأناس يتحركون أمامي وقد اختفت معالمهم، شيء في ذاتي يتربص بي وعند مدخل المقهى كان اللقاء،

دعوته لمشاركتي مجلسي، أمرت النادل بإحضار شيشة أخرى كنت: أنا،،وكان: أنا، غمغم النادل وهو يثبت رأس الشيشة بكلمات مبهمة وغادرني، تشعب حديثنا

قال: أغصان المكان إليك

قلت: ماذا

رغم مرارتي ،،نهض

ترك الغصة تتصاعد في داخلي،فالعجوز يقف في المكان يطلب صدقة، يرجو إحسانا انه ذاك الزمن وهذا المكان،

البديل

أخذ يحدق في المارة يتأملهم بإصرار متناه٠ بينما أصابع يده اليسرى تقوم بنتف شعيرات ذقنه التي لم يحلقها منذ عشرة أيام٠
وفي لحظة انجراف لا يدري أحد كيف كان٠ قفز من مكانه فوق الرصيف إلى أسفلت الطريق العام، لتسحقه عربة شحن أمام عيون الجميع ويتوقف تصوير المشهد ويتكوم المشاهدين٠
يتقدم احدهم لمساعدته على النهوض من مكانه٠ ويرفض اليد الممدودة ويغادر المكان في صمت وخيلاء٠

توهج

اشتعلت النار في العربات المصطدمة. وأخذ الناس في سحب من بداخلها، وقبل أن يتمكن الجمع من إخراجي تفجر كل شيء.
النيران تطوقني من كل مكان. وأخذت أتوهج وقد ارتسمت على وجهي ابتسامة صغيرة.

بوح

قالت وهي تصلح الغطاء على وجهها: منذ زمن أشعر بالحزن. لقد توقف مرجل الحب في أعماقه، فأخذ ينفر من مواعيدي؛ يتهرب من استقرارنا الموعود.
قالت وقد أصبح وجهها قطعة من السواد: انه يرتكب الأخطاء كل يوم ومع تجاوزي ذلك أخذ ذات يوم يبكي حتى تلاشى، أصبح ذرات حاولت جمعها لكن هبت الرياح ولم أتمكن من جمع سوى بقايا.

السكين

نثر حياته في دواخلها حتى توقف نبضه. وأدركت أنها خاطئة، انزوت في أحد أركان سطح الدار وأخذت تمزق شرايينها بسكين حاد.
صرخ طفل وهو يرى شيئا أحمر ينداح من مزراب السطح. ركض الجميع أخذت تتمتم بشيء، التقت نظراتهم في نظرتها المنطفئة وكان بكاء الصمت.

الإسفلت

توقف عند خطوط عبور المشاة لامرأة وثلاثة اطفال٠اجتاز الثلاثة الإسفلت وارتقوا الرصيف٠
أما هي فقد دهمتها سيارة لا تعرف الانتظار٠ ولم يتوقف قائدها حتى صدم عمود الإضاءة، الفجيعة كانت فوق احتماله فتوقف قلبه٠

هتاف لحظة مبهمة

تدانت الأشياء حتى لم يعد الحرام بين. إذ قدر لنا دخول مجلس السيد عبد الباري، الساعة العاشرة صباحا عن لي استشارته في قسم صدر عني في ثورة غضب على زوجتي.
وقفت على باب مكتبه الخاص الذي يحتل جزء من الدور الأول من بناية متعددة الأدوار يحتلها مع أولاده وشقيقته الأرمل الوحيدة.
قرعت الباب وسمعت صوت نسائي يأذن بالدخول. وجلست في غرفة الاستقبال التي اعرف.
حولي أصوات متناثرة وأنين مكنسة كهرباء. أخذت أترصدها وهي تقترب خرجت المكنسة وخلفها خادمة هالني جمالها، لم تهتم الخادمة بنظراتي فاستمرت في عملها ولحق بها رجل يحمل كيس نفايات تدلى بين يديه تتبعه أخرى سمراء اللون بكيس اصغر حجما.
- تفضل
كان صوت امرأة أعرفها . وهي تضع على الطاولة أمامي فنجان قهوة وغادرتني، دخل السيد عبد الباري رحب بي ألقى حقيبته الجلدية التي ترافقه في كل مكان، تبادلنا أطراف الحديث وعرف أسباب زيارتي وانتقلنا الى غرفة المكتب التي تعج بالكتب.
ارتفع صوته مناديا
- نسيم. .نسيم
دخلت الخادمة السمراء
- نعم بابا
- أنت نسيم
ودخل نسيم
- هل أحضرت طلبات البيت
- شوي بابا
- هل وصلت عمتك للسوق
- قالت شوي
فسر السيد مشكلتي وبسط اثر القسم الذي جاء في صيغة حلف ولم يكن يعني المعنى الذي يحمله. ووصلت متجري فجلست خلف مكتبي أتابع حراك العمل.
- ما شأ الله
الصوت هو كانت هي بعد أن رفعت الغطاء عن وجهها
- أهلا عمتي
تلفت وجلا ووقفت احتراما لها. مدت كفها فالتقت كفي بكفها وعيناي مطرقتان سرت ابتسامة صغيرة على محياها رفعت بصري وهي تغادرني.
في الحادية عشرا ليلا . كنت أقف على باب المكتب فتحت خادمة الباب وسبقتني إلى غرفة الجلوس.
لم يطل مكوثي كانت هي . خالطني انبهار فأخذت أتذكرها كنت في رحلة إلى القاهرة وكانت مطربة شابه
- نسرين
- نعم

غادرت الدار مع انبثاق شفق الفجر. ذنب في داخلي منعني من الاقتراب، عرفت أنها الزوجة الثانية وهناك ثالثة وكل واحدة لها حياتها بينما السيد غارق في قضاياه وبين خادماته وسائقه.

صوت السيد في الهاتف يعاتبني على انقطاعي . طال الحديث يذكرني بحفل الجماعة الخيرة، طال الحفل كان السيد ضيف الشرف وخرجنا سويا ركبت عربته الفارهة طلبت من السائق إيصالي إلي داري.

ونحن ندخل الشارع الذي اسكن

- طلقت نسرين

فاجأني بوحه

- من ..من..!

- زوجتي الثانية

- والأولاد

- لم ارزق منها مع إننا متزوجين منذ خمس سنوات

وقفت أتابع العربة وهي تتمدد في الشارع وقد اختفت معالم السيد داخلها. أخذت أسير على قدمي متجاوزا باب الدار، الهواء البارد لفحني ونظرات أصحاب السيارات ترصدني، وهم في داخلي ينقشع؛ فأفك أزرار ثوبي لأتنفس بهدوء وفي الفضاء يتكون شبح من السحب وصوت اعرفه يغني.

الشـــحاذ

تناثرت الرؤاء فقد حاسة الاستماع ففي داخله فراغ رهيب، جاء من
خليط حلم وزعه بحدب في قصصه التي شمخت بأسماء شخصياتها
المنزوعة من زحام المدينة ونداء نادل المقهى الذي يأتي أليه بجوعه
وينشد عنده الأمن والطمأنينة.
فضاء الصحراء يمتص رغبته في إتقان دوره وهو يلعب الورق
لإزجاء الوقت ونسيان سؤال ملح جاء يقتحم السكون الذي اعتاد مع
نفوس شرهت وأخرى جاعت .
- لماذا ترددت في البيع ؟
لم يكن محضرا ذاته للحوار خاصة وأن حوله أفراد لا يجد فيهم ما
يقنعه لبدء نقاش يستهل به يوما حيث انتهى يوم آخر.
فكر في تبديل المكان ومعايشة مرحلة جديدة، تذكر أنه كتب رسالة
وثانيه، غير أنه وجد في صندوق بريده نسخا من كتاب طبعه في
بيروت قبل ثلاثة أعوام، ضاعت نسخه التي أرسلها الناشر وهي في
الطريق اليه.
لحظة الانتقال لم تتبلور وان كانت أيامه الأخيرة خاليه من الألم،
ارتباطه بالمكان جاء كحاجز من الأسمنت، هناك أوراقه وكتبه موزعه
حوله في صمت رهيب.
اليوم أرسل الرسالة الثالثة لكن هل يأتي جواب الموافقة يريد الأمن
الاجتماعي، فقط يراه أمرا ملحا لزوجته التي شاركته لحظة الصفر
وقبول باللحظة القائمة، الراهن لم يعد تعنيه هذه اللحظه.
الثانية عشر ليلا دقائق ويتغير التاريخ يأتي الرقم تسعه بعد دقائق
ليوم جديد يبحث عنه، شعر أسامة بالإرهاق تذكر أنه يشحذ الوقت
ترك القلم جانبا، تمدد حيث يجلس على الأرض أمام التلفزيون.
أبواب الغرف مغلقه كلهم ينتظرون صوته وماذا جد في انتقاله والى أي
نقطه وصل لتحقيق الأمن الذي يبحث عنه الجميع.
شعر بألم خاصرته وفي جانبه الأيسر، أخذت ساقه تتقلص وأصابع
قدمه اليسرى تختفي، انه يلتهم أطرافه، الأصوات تصله عبر جدران
المنزل الخالي إلا منه.
كان بعد ثلاثة أيام شاخص النظر بجواره قصه لم تكتمل، وصوت قلم
يكتب شهادة وفاته، التي كانت في الثانية عشر والدقيقة العشرين في
المكان الذي الجميع نزح منه ولم يحتمل مغادرته.
تذكر أن نعيه جاء فيه إن موته بسبب أزمة مفاجئه، وتذكر أن أحد
الجيران بعد صلاة العصر وعده بمشتر للدار.
وتذكر أن ناديه الرياضي المفضل ليلة موته هزم في الدقائق الأخيرة
من زمن الشوط الثاني للمباراة. تذكر أن الهاتف منذ غادره الجميع لم
يرن.
وأن الرد على رسائله تأخر لأنه لم يدرس طريقة كتابة عرائض
الاسترحام، رغم مؤلفاته التي كان يتوسد نسخها عندما حملة اثنان من
موظفي الهلال الأحمر على نقالة سيارة الإسعاف التي جاءت لتنقله إلى
القبر.

السنديانه

ماذا تعرف عن الألم الذي يظهر إذا تعاظم الفراغ، وغدت الوحدة هاجسا يتمثل في صورة ضاعت ملامحها، وإطارها الذهبي ملطخ ببقايا ذباب وحشرات طائره لا تعرف الزمن والمكان.

(اليوم سافر أني انتظرك)

بعد تواصل هاتفي، نسيت مناسبته تجاوز الأشهر الستة هاهي من لا أعرف منها سوى صوتها تطلب مني الحضور.

(فلما حانت الساعة العاشرة ليلا كنت أطرق الباب)

بين الاتصال والموعد جاء الألم أخذ صداع رهيب يسرق الهدوء الذي أخذت اعتاده منذ عدت وحيدا وقد تخلى الجميع عني .

(قالت: أتراني أجمل وقد صبغت شعري)

تذكرت أني لا أعرف لون شعرها وكيف كان، لا أعرف منها سوى صوتها.

(أخذت تلهث مثل فرس في حلبة السباق)

الوجع جاء كإشارة تحذيريه بعض صبر ينفع أحيانا بعد أن أصبح من العسير رسم خطوط درجة الوعي باللحظة التي شلت عندما اشتد القلق على ما أنا فيه ألأن.

(في السابعة صباحا ودعتني عند الباب كان شعرها الذهبي يرقص منتشيا على الجبين)

كصبية يلعبون على سطح البحر، أخذت أضحك وأنا أنتزع عصابة حمراء طوقت بها شعرها الذهبي القصير الذي تناثرت منه خصلة على جبينها واستدعى انتباهي صمتها وتجلد قسمات وجهها.

(دفنت في كفي شيئا ناعما دسسته في جيبي)

وأنا أدير محرك العربة أخذت أستوعب الموقف، غير أني لم أتمكن من تحديد لون عينيها وحتى الشعر، وتوقف العقل الباطن عن العمل بعد اكتشافي عدم قدرتي رسم ذلك الوجه الذي برز بدون معالم وها أنا أحكم عليه بنفس الطريقة التي قد أحكم بها على قطعة خشب .

(تذكرت هذا، وأنا خلف مكتبي في العمل)

كانت الأدلة السابقة عقليه تقوم على الارتباط المتداعي حتى انثيال الشاهق في دلالات أشارية تخرج عن مجال السؤال الذي جاء بعد أن بارك الجميع هذا اليوم وذلك المكان.

(أخرجت اللفافة الناعمة، كانت منديل ورق أبيض يضم قنينة عطر صغيره من التي تهدى كعينه وورقة نقد مائة ريال)

وأتمادى قليلا مشددا على الملامح، فكان من الصعب كتابة حالة قطعها مراجع شغلني بإنجاز أوراقه.

هبة النسيم

تراكم الألم في داخلها بعد وفاته. مخلفا طفلين في عمر الزهور، لم تجد مكانا لها في الدار من خلال شعورها بأن والدته وأخوته سوف ينتزعون طفليها منها فاستقر بها المقام في بيت والدها القديم.
أعادت اللحمة القديمة مع من تبقى في الحي. وأخذت تكفل معاشها من خبرتها في خياطة الملابس وصناعة البراقع والرقع الواقية من لذع النار للدلال وأباريق الشاي وفي نظرات الطفلين وهم يرون أعمامهم وأبناءهم أثناء زيارتهم، تشعر بغصة الفارق الاجتماعي ولكن مساندة والدها لها جعلها تكابر وتقتحم عالم الأدوية الشعبية، إضافة لجهودها في الخياطة ولم يعد المنزل مكانا مناسبا لتجارتها.
شاركت البائعات مباسطهم في مواقف السيارات شرق السوق المركزي. تغادر الدار مع خروج الطفلين إلى المدرسة وتعود مع إعلان أذان الظهر. لفتت النظر رشاقتها وصغر سنها، وقاومت نداء الطبيعة.
كرت الأيام ففقدت والدها وحاول إخوتها بيع المنزل فاعترضت والدتها. شعرت بأن هناك حارسا خفيا يقف معها ويبارك خطواتها فاستطاعت وهي تمرض والدتها شراء نصيب إخوتها في الدار.
نداء الطبيعة يجف في داخلها. هذه المرة أوصلها مرحلة الرعشة التي فجرت سنين الجفاف، جمعت أغراضها وغادرت المبسط كان ينتظرها عربته خلف رتل من السيارات شيء فيه حفزها على الانسياق .
جاء مندوب البلدية هددهم بالطرد فكانت من واجه انذاره. طالبنها جاراتها بالتضحية فأصبحت المباسط تحت سيطرتها وتنامت تجارتها بعد أن أخذت البلدية جزءا من الدار فاقتنت أخر في شمال المدينة وساعدها إخوتها في تحويل الجزء المتبقي من الدار إلى محلات تجاريه.
أطل من بين مجموعة الصور المختزنة في الذاكرة. تذكرت انه اختفى بعد أن كان اللقاء الأول، دب في داخلها حنين غريب هو من أشعل جذوة الحياة، كان رفيقا لم يشعرها بانتصاره وان أدركت انه أحدث في داخلها شرخا، أحست بهوله وهي تترجل من عربته في ذلك اليوم.
- هل تقبلين بي زوجا
- من
وتذكرت الصوت المنساب عبر الهاتف
- علمت متأخرا بوفاة والدتك
- جزاك الله كل خير
- لم تبارح صورتك ذهني
- واليوم
- بحثت عنك وها أنا
لم تغلق الهاتف ولم تستوعب الموقف. اعتذر واقفل الاتصال جلست أمام المرآة تحدق في صورتها، دخلت غرفة ابنيها تقلب صورهم ودفاترهم المتناثرة، الفيديو المسجل التلفزيون،كانت توفر كل مطالبهم وهاهم يتركونها وحيدة لقضاء الوقت مع أبناء عمومتهم.

جاء صوته عبر الهاتف شجعته على قول الكثير عرفت انه تنقل بحثا عن وجوده وهاهو يعود وقد عثر على ذاته، ركبت عربته التي توقفت أمام باب المنزل غير مبالية بما يقال، اتجها إلى المحكمة قدمت للقاضي صك وفاة زوجها الأول وموت والدها لم يسأل عن ابنيها ولم يستفسر عن اخوتها،

حكاية أسطورة

اشتهرت الطائف بالطفولة الدائمة. من خلال الانتماء إلى نجد لارتفاع موقعها وسكناها على قمة جبل غزوان، وتمددها نحو الشرق والشمال وأسطورة نشوء ولاشتهارها بهذا التميز كانت كرومها وبساتينها ذات مذاق خاص تجاوز حدود المكان.
جاءت الأيام مبشرة بعامر الطائفي . امتدادا لشخصية أسطورية تدعى جابر رافقها الجميع وهي تجتاز الطريق من الطائف إلى مكة المكرمة عبر قرن المنازل راجلة ومع ذلك تصل قبل الراكبة.
عثر عليها ذات شتاء جثة هامدة في خندق حفرته إدارة الهاتف على امتداد طريق المطار لكي توصل خدماتها الجديدة إلى ضاحية الحوية.
عامر شخصية لطيفة دائم التحدث عن امرأة يعرفها. دخلت ذات إدارة حكومية لتقابل الرجال ولم تخرج، وآخرين لا يحتفلون به لأنه صاحب حق ويستخفون بوجوده.
كانت هند ذات جمال باهر تملك دارا صغيرة ومزرعة تضم زريبة غنم وكن دجاج. سلبها إياها احد موظفي البلدية يمت لها بالقرابة حيث باع المكان وطردها مع غنمها إلى الجبال.
ذات صباح التقت هند عامرا يحادث نفسه كما هي عادته أثناء اتجاهه راجلا إلى مقر عملة. لم تدخل وراءه توقفت عند سور البناء مترقبة وقع عامر في دفتر الدوام وخرج من المبنى وجلس على مقعد في فناء الدائرة أشعل سيجارته وتلذذ بالمذاق ثم ارتفع صوته مخاصما، هزت هند رأسها وواصلت طريقها.
أصبح عامر هاجسها فتسللت ذات ليلة إلى داره لم يتفوه بكلمة. وهي تقوم بإعادة ترتيب الأثاث وإزالة الغبار، صعدت إلى الدور الأول كانت هناك غرفة مطبخ مؤثث وغرفة نوم بها دولاب ملابس وسرير مفروش بغطاء ابيض، كل شيء جديد ومنظم، كما أن المكان نظيف بخلاف الدور الأرضي.
- لمن هذه الغرفة
كان السؤال منها لم يهتم بالإجابة بداء يحادث نفسه. ويتهم شخصا مرائيا بسرقة فلوسه
صرخت فيه
- لمن هذه الغرفة
وهو يحدق فيها
- غرفتك
أخذت تضحك قام من مكانه وانحنى أمام صندوق من الخشب. اخرج من الصندوق المقفل أوراقا نثرها على الأرض.
- هذه سندات الأثاث وهذا عقد الزواج
أخذت تقلب الأوراق تحاول معرفة ما فيها. جمعت الأوراق وخرجت وفي الصباح كانت تنتظر كاتب العرائض أمام باب المحكمة اعتادت الجلوس أمامه ليكتب شكواها التي لم يهتم بها احد.
قرأ العجوز الأوراق كل سطر يخصها كما قال عامر. لم تدخل المحكمة على غير عادتها منذ عشرين عاما، قامت بشراء علف وكيس خبز جاف لتحملها عربة أجرة إلى غرفتها وشبك الغنم أنجزت الجزء الهام من يومها ثم عادت ادراجها.

عامر في مكانه حيث غادرته ليل البارحة. مدت يدها نحوه وما أن لامست أناملها وجهه حتى تداعى متهشما مثل زير من الفخار، خرجت راكضة وقد تغير مظهرها أبيض شعر رأسها وتقلص جسمها واختفى صوتها.

رواية آخري:
عامر وهند بعد أن التقيا غادرا الطائف. وشاهدهما أكثر من شخص في صحن الكعبة بالحرم المكي.
ويقال: أن الدار التي اختفى الاثنان بداخلها في الطائف صيفا تضاء نوافذها ويخرج من بوابتها ثلاثة أطفال ولدين وبنت يلعبون في الشارع عصرا، ويشترون الحلوى من دكاكين الشارع ويختفون مع ارتفاع أذان المغرب.

ظاهرة:
في طريق الطائف مكة وفي قرية السيل الصغير صخرة شكلها يحمل سمات وجه عامر وملامح هند في أهاب غزال.

السجن

بعد لقاء أدبي في المركز الثقافي ومن خلال اهتمامي الشخصي وصلتي بمدير المركز شاركت في الحوار الذي جاء عقب اللقاء في مكان يلتف فيه ثلة من المثقفين في مقهى الربيع، وفي الثالثة صباحاً أوصلت أحد ضيوف اللقاء إلى الفندق.

أثناء عودتي كان رجال الشرطة قد أقاموا متاريسهم عند دوار زهرة البنفسج، تفحصني رجل الشرطة وآخر بملابس مدنية، وعندما هممت بالتجاوز سمعت نداء يطالبني بالوقوف ..

فتح الرجل ذو الملابس المدنية الباب الخلفي وأخرج حقيبة يد من على المقعد الخلفي..

طلب فتحها. اعتذرت لأنها لا تخصني وإنما هي لرجل أوصلته الفندق غير أنه أصر على فتحها وقام بكسر القفل.

تم حجزي، وفي الصباح تمت إحالتي إلى السجن وبعد أشهر صدر حكم القاضي الشرعي بسجني عشر سنوات.

في السنة الأولى فصلت من وظيفتي كمعلم للغة الإنجليزية، وفى العام الثاني توفيت والدتي، وفيه طلبت زوجتي الطلاق بعد أن أنجبت ابننا الثاني.

وفي العام الثالث حرم أبي على إخواني ذكر اسمي في الدار، وتزوج أخي الأكبر زوجتي وبعد ذلك اختفت أخبار أسرتي.

لما تغير مدير السجن طلب المدير الجديد مني العمل في قسم الإرشاد ضمن المدرسة التي فتحها لتدريس المسجونين، وحفظت أجزاء من القرآن الكريم.

في نهاية العام الثامن خرجت.لا أعرف أين أذهب مع شهادة إبراء ذمة وحسن سلوك من إدارة السجن ومبلغ من المال لقاء عملي وجائزة حفظ أجزاء من القرآن الكريم.

كانت الساعة الثانية بعد الظهر فضلت المشي فاخترقت شوارع الطائف، مررت بجوار المدرسة التي كنت أعمل بها، ودخلت السوق ..أكثر المحلات مغلقة ورائحة الآكل في المطاعم تشعرني بالجوع، ارتفع أذان العصر فدخلت لأداء الصلاة..

تناولت بعض الأكل وتجرعت كوباً من الشاي.

اتجهت إلى موقف السيارات، كنت أغادر الطائف في طريقي إلى جدة متذكرا البحر وأيام دراستي الجامعية.

بعد أسبوع زرت مدرسة تعليم قيادة السيارات، قدمت للمسئول عن المدرسة رخصتي الخاصة و المنتهية وشرحت أمري وحاجتي لرخصة قيادة عامة. تعاطف معي، فكان أن اجتزت الاختبار وحصلت على الرخصة.

قمت بزيارة فرع البنك الذي يوجد لي حساب في أحد فروعه، ودخلت على المدير.. زودته برقم حسابي القديم فكان به ثلاثون ألف ريال وبعض الهللات وطلبت منه إضافة جزء مما حصلت عليه ونقل حسابي إلى الفرع حتى يكون قريباً مني.

استأجرت منزلا شعبيا في أحد الأحياء الفقيرة التي اختلطت جنسيات سكانها ثم اشتريت سيارة أجرة.

حصلت على أول أجر من (مشوار) إلى المطار، اعتدت ذلك، كنت أشغل وقتي بقراءة الصحف وبعض الكتب التي أجدها في طريقي.

تعرفت على إمام مسجد الحي الضرير وطلب مني مساعدة ابنه في درس الإنجليزي،

صاحب المنزل الذي أقيم فيه وهو رجل شرطة طلب مني إيصال بناته إلى المدرسة بأجر ساهم في إيجار المنزل.

إمام المسجد الضرير يقوم بتدريس مادة القراءات في كلية المعلمين وله زوجة أخرى معلمة.

من كشك الصحف و الكتب في المطار حصلت على كتاب تذكرت صاحبه عندما صافحتني صورته، كان صاحب الشنطة وسنوات السجن.
طلب الإمام الضرير إيصاله لمنزل زوجته الثانية لأن السائق ذهب بزوجته الأولى إلى السوق وتأخر.
في الطريق ذكر أن زوجته الثانية كانت طالبة عندما كان يدرس القرآن الكريم في ثانوية البنات.
تصفحت الكتاب وأخذت أتذكر أيام اهتمامي بالثقافة والعمل وزوجتي وأسرتي وتخيلت ابني أسامه و الأخر الذي لا أعرف اسمه الآن.
زارتني حوادث و صور في منامي، استعذت بالله من الشيطان وأنا في طريقي لتأدية صلاة الفجر، صلى بنا المؤذن. عرفت أن الإمام متوعك في منزله.
في العاشرة صباحاً كنت أقرع الباب، وجاء صوته مرحباً.
أخذت الصحيفة التي اعتدت قراءتها من إحدى البقالات وأنا في طريقي للمنزل جاءت صورة الكاتب الذي لم أنسه تتوج مقالا طويلا عن المجتمع.
في ساعة متأخرة من الليل جاء صوت زوجة إمام المسجد ترجوني الحضور لنقل زوجها للمشفى. انتظرت فحصه في قسم الإسعاف و تزويده بالعلاج.
كانت سافرة الوجه تجلس في مقعد السيارة الخلفي، أنفاسها تلفحني.
دعاني الشرطي لحفل عشاء أقامه بمناسبة ترقيته، وجدت في الحضور الكاتب. لم يعرفني عرفت أن الكاتب متزوج أخت الشرطي، وأنه مسئول كبير في إدارة هامة. أشعرته باني أقرأ كتابه الجديد.
عاد الإمام للمسجد وحركته، في تجوالي المعتاد وكتاب جديد على المقعد بجواري داخل السيارة. حملت امرأتين وطفلا في الثامنة من إحدى الشوارع وتحركت، وقع الكتاب بين أقدام الطفل انحني وحمله، هم بوضعه على مقدمة السيارة وهو يلتفت نحو المرأتين لسماع إرشاد هما لي حتى أعرف الطريق. أخذت إحداهن الكتاب من بين يدي الطفل وأخذت تقلب الصفحات، وصلت إلى العنوان وترجلتا، نقدني الطفل أجرتي .افتقدت الكتاب. وأخذت اضحك ..
اتجهت إلى مقهى في خارج المدينة مع بعض الصحف طالعت نتائج اختبارات نقل الطلاب في بعض المدارس شيء شدني إلى قراءة أسماء إحدى مدارس الطائف كان أبني أسامة، انحدرت دمعة وتلافيت رغبة في البكاء.
اشتريت أرضا وقدمت أوراقها للبنك العقاري وتمكنت بعد أشهر من التعاقد مع مؤسسة بناء بعد حصولي على قرض من البنك الذي فيه حسابي برهن الأرض وقيمة القرض العقاري.
أنجزت العمارة بهدوء من دورين كل دور سكن خاص.
أقام أحد الجيران حفل عشاء حضره الشرطي والكاتب، بعد العشاء اتجهت إلى مقهى خارج المدينة.
التحقت بشركة معدات كموظف، لم أترك سيارة الأجرة، باح لي الإمام الضرير بأنه طلق زوجته المدرسة لأنها لا تنجب، قلت ضاحكاً أني ابحث عن زوجة لا تنجب.
بعد أيام ابلغني بموافقة أسرة زوجته المطلقة على خطوبتي.
طلبت مقابلتها. تحمل مسحة من الجمال و الحزن أخبرتها عبر الهاتف بتاريخي وجدتها ترحب بي، وفي حفل مبسط تزوجت.
بعد أشهر طلبت مني البحث عن أسرتي وأمام ترددي أغرتني برحلة نهاية الأسبوع إلى الطائف.
أصرت على أن أدخل الشارع الذي به منزلنا القديم وجدنا في الشارع خيمة منصوبة وكراسي مصفوفة فتحت زجاج النافذة. سألت أحد الأطفال عن الخيمة. فإذا بها مجلس عزاء لوفاة والدي، طلبت مني إيقاف العربة والنزول. أمسكت بيدي.. سالت الأطفال عن مكان

عزاء النساء دخلنا المنزل القديم أخذت تصفق، خرجت امرأة ما أن لمحتها حتى عرفت أنها أختي. رفعت زوجتي الغطاء عن وجهها تقدمت منها ضمتها إلى صدرها معزية.
انكبت أختي على كفي تقبلها وهي تبكي وخرج أخي الأكبر من غرفة الجلوس على الضجة، أسرع ألي اخذ يبكي وهو يحتضنني أخذت أختي زوجتي إلى غرفة النساء وجاء أخي الآخر.
وأنا أدخل غرفة الجلوس حيث يجلس مجموعة من الأطفال و الشباب تلفت أتفحص الوجوه، اقتربت من فتى في السادسة عشرة وأخذت أحدق فيه، همست: أنت أسامة؟، هز رأسه،
قال أخي الأكبر: هذا أبوك لثم أسامة كفي، وجاء من طرف الغرفة فتى يصغره كان عبد الرحمن ابني الذي لا أعرفه..
أخذنا نتحدث عن الأسرة وعن أخباري. كنا نتوقف عند تاريخ دخولي السجن مستعيدين ذكريات الطفولة، عرفت أن أسامة و عبد الرحمن من خلال عدم ذكر اسمي بين الأسرة ظنا أني ميت.
بعد يومين من الذكريات، أخذت زوجتي إلى افخر فندق في المدينة. بعيداً عن الناس أخذت تحدثني عن أسرتي و المصادفة التي حدثت.
عدت لعملي وعادت زوجتي لعملها.
الشرطي دعاني وزوجتي لعشاء خاص تحدثت عن قصتي مع السجن وحياة أسرتي.
الكاتب حدق في وهو يرتعش، خرج دون أن ينبس بكلمة، الإمام الضرير أخذ يعلق على تجربتي، بعض الجيران اللذين كنت التقي بهم في المسجد حمدوا صبري .
بعد انتهاء العشاء أخذت زوجتي إلى البحر جلسنا على أحد الكراسي نتابع زبد الموج عبر ما يصل من ضوء الأعمدة الممتدة على طول (الكورنيش).. من خلال الصمت تخللت أناملها أصابعي شعرت بالحياة تسري في داخلي وينبثق عبر البحر نور يرتفع إلى السماء،
من خلاله أخذت أتأمل وجه زوجتي .. شيء فيها يشرق، وقطعت تأملي بالتفاتها نحوي وهي تضحك.

القنبرة

قال التنين: (لكثرة مآرب الأنس وفنون تصاريفهم في أمورهم واختلاف أحوالهم ، احتاجوا إلى كثرة الملوك) أخذت تشغل وقتها بالجلوس أمام التلفاز تتابع البرامج العلمية والثقافية تعوض أميتها .
قال التنين: (ولكن أرى السلحفاة تصلح لهذا الأمر لأنها تصبر عن الماء وترعى في البر وتعيش في البحر وتتنفس في الهواء).

كان طلاقها من زوجها الأول مصدر خلاف مع والدها الذي رفض كل الوساطة فتركت ولديها عند أسرة زوجها.
قال التنين: (أما تسمعون شكاية هذه البهائم والأنعام وما يصفن من جور بني آدم عليها وظلمهم وتعديهم عليها وقلة رحمتهم) .
وجاء زواجها الثاني لتكون زوجة ثانية٠ قالت والدتها: انه ابن عمك جاء لسترك٠ كان الأول أيضا
ابن عم
قال الدب: (أن في السباع أخيارا و أشرارا وأن الأشرار لا تأكل إلا الناس الأشرار).
من خلال الزوج الثاني توسعت ارتباطاتها الاجتماعية والأسرية وزادت مسئوليتها بعد مرض الزوجة الأولى، ودخل في المسئولية (راجي) شقيق المريضة الأصغر فني أشعة بالمستشفى العام٠ جاء(راجي) مقتحماً أسواراً وهمية - تراكمت مع الأيام - حتى لم يبق لها مكان.
جاءت المواجهة الأولى في غرفته بالمستشفى كانت مع فاطمة وسائقها دفعها إلى ذلك زوجها للوقوف مع زوجة زميل وصديق٠ كانت غرفة (راجي) تعج بالمراجعين نساء ورجالا، أخذهم إلى غرفة جانبية وما إن جلست فاطمة حتى نزعت غطاء وجهها فسايرتها٠ الحديث كان متقطعاً جاءت الممرضة وأخذت فاطمة إلى غرفة الأشعة .
كان (راجي) لطيف في الحديث حزيناً على حالة شقيقته المريضة.
قال البوم: (بنو أدم أكثر الحيوانات عدداً وأجناساً وأنواعاً وأشخاصاً).
ذات مساء جاء (راجي) محملاً بنتائج الأشعة، طلب منها إبلاغ صديقتها بالموعد الجديد، كانت أنفاسه تلهب وجهها وصوته يثير الرعشة في أطرافها، لحقت به وهو يغادر غرفة شقيقته٠ نزعت الغطاء عن وجهها تأملها وهي تشرح معاناتها أمام الباب الخارجي للشقة٠
قال القرد (إن كان الأمر هناك يمشى بالخيلاء والمحاكاة واللعب واللهو والرقص عند ضرب الدف والطبول فأنا لها).
أسرعت إلى الهاتف، تبلغ فاطمة بنتائج الأشعة والموعد الجديد، لمست منها إعجابها براجي، أخذت تضحك .
دعاهم (راجي) للعشاء في مطعم للأكلات الأجنبية، لم يطل بثلاثتهم المقام في العودة، لم تتوقف فاطمة عن إبداء إعجابها.
قال التنين: (أن ملوك بني آدم يحبون الجوارح من البزاة والصقور والشواهين وغيرها ويكرمونها ويعظمونها ويحملونها على أيديهم ويمسحونها بأكمامهم).

قالت فاطمة والاثنتان في حفل زفاف صديقة مشتركة: هل تم نقل راجي من مكتبه، تبسمت، عرفت أن (راجي) زرع في طريق فاطمة أحد موظفيه.
قالت فاطمة: جاءت ممرضة لعمل أشعة جديدة فلم تتقن عملها وبحثت عن (راجي) فلم أجده، هناك آخر سيطر على الأمر، وأخذ الأشعة، لا أدري كيف وافقت.
تبسمت كان الآخر ابنها من زوجها الأول، جاء يعمل في وقت الصيف.
قالت فاطمة: عرف رقم هاتفي، أتصل منذ دقائق يخبرني بالموعد الجديد لمراجعة الطبيب. أقبلت أخرى وجلست بين الاثنتين، أختلط الحفل.
قال الدب: (الخنزير ليس من الأنعام بل هو من السباع ألا ترى أن له أنيابا ويأكل الجيف).
عندما عادت أخر الليل، كانت حقيبة يد فاطمة في صالة الجلوس وزوجها ممدد في فراشه، ابنها في غرفة الضيوف نائم بملابسة الداخلية. أخذت تقلب محتويات الحقيبة، لم يكن بها سوى قلم أحمر الشفاه، وعلبة بودرة صغيرة للوجه، ومناديل جيب ورقية، وألفي ريال فئات مختلفة أخذت ألفا، أغلقت الحقيبة وتركتها في مكان بارز، غيرت ملابسها وتمددت في الفراش .
قال التنين (وانصرفت الجن من هناك خجلين منكسين رؤوسهم وغوغاء الأنس يطقطقون في أثرهم) .
قالت فاطمة عبر الهاتف: نسيت حقيبتي في حفل البارحة، لا أدري ماذا حدث.
قالت لها: مؤكد فقدت شعورك حتى إني افتقدتك أثناء العشاء.
قالت فاطمة: من أحاديث مريم ومنال لولا حضور زوج منال لكان أمر، تصدقين أن مريم دعتني للجلوس وحدنا، فجأة نزلت علينا صديقة لمريم.
قالت: لابد أنك نسيت حقيبتك في المكان الذي أخذتك إليه مريم.
قالت فاطمة: هذه مصيبة وأغلقت السماعة .
قالت الخرشة (ثم أن البواشق والشواهين تصطاد العصافير والقبابر)
قال ابن عرس: (إن كان الأمر يمشى باللصوصية والتجسس والاختفاء والسرقة فأنا لها).
قالت أم عريط: (لقد كان عباس على قدر الطموح إذ استطاع إشراك أحد أصدقائه تلك الليلة)
قالت فاطمة: لقد وجدت الحقيبة لكن الفلوس ناقصة، كانت الاثنتان مع أطفالهن يفترشن الأرض في منتزه الردف، تناثر الأولاد والبنات بين المراجيح وبائعي المثلجات.
قامت فاطمة، سحبتها من يدها في جولة على أطراف المنتزه جاءت فاطمة أطول وأرشق، رغم كبر سنها، لها في العمل كمعلمة وإدارية.. أكثر من عشرين عاماً.
شعرت بشيء من الثقل والخور فتثاقلت خطاها متأخرة، التفتت فاطمة وهمست: يا عجوز نشطي خطاك، شوفي الرجال الذين في السيارة البيضاء، تلفتت حولها، هناك أكثر من سيارة بيضاء.
قالت فاطمة: قدامك على طول (فزي) حتى تكون صورتنا حلوة ، ضحكت الاثنتان .&&

---

* أبن عرس و التنين مشاهد من رسالة (تداعي الحيوان على الإنسان) لإخوان الصفا

اللقاء

وقف في الطابور وأخذ يتلفت حوله، يعرف كل الوجوه التي انحشرت عنوة داخل صالة الاستقبال الرحبة يتذكر كيف جاء، عرج مصادفة على مكتب صديقه إسماعيل، فطلب منه مشاركته مشوارا هاما، أخذه الارتباك الذي تقمص استعداد إسماعيل

- *سوف نلاقي شخصية هامة..*
- أين؟..
- ونشارك في حب الخشوم التي.. نطالعها كل يوم.
- نعم..
- سوف نتأخر..

لم يفد التحذير، وصل الاثنان إلى القصر الكبير، الأضواء تتوهج رجال الشرطة في كل مكان، وآخرون يحدقون في كل قادم بقسوة.

الثبات وارد، أخرج إسماعيل من لفافة ملقاة على المقعد الخلفي للسيارة مشلحا آخر، طلب منه أن يرتديه؛ الحفل رسمي، ارتدى المشلح وأخذ يتعثر في خطواته.

الصالة مليئة بالحضور، كلهم يعرفهم من تكرار مشاهدته لهم وهم يقبلون الطرف الأيمن للمشلح، أو ينحنون للثم الكف المبسوطة، في المناسبات المذاعة عبر شاشة التلفاز٠

الساعة السادسة، الوقت يمر ببطيء، الساعة السابعة٠٠ صوت مؤذن يعلن عن دخول وقت صلات المغرب، لا أحد يتلفت. لا أحد ينهض٠

قامت مجموعة صغيرة من الصف الأول، افترش كل واحد (مشلحه)، تقدمهم رجل ملتح كبر لصلاة المغرب، انضم آخرون من باقي الصفوف، عاد المصلون إلى مقاعدهم، وأن كان نصفها قد احتل بوافدين جدد٠

الساعة الثامنة، بدت طلائع حركة، تناول معظم الجالسين القهوة، توزع في القاعة بعض رجال الشرطة، وآخرون من ذوي المهام الخاصة.

دخل صاحب القصر وهو يحادث آخر يسير خلفه بخطوات شبه منحن، يحمل بين يديه ملفا برزت من أطرافه أوراق ملونة، نهض الجميع، أشار صاحب القصر للآخر بالانصراف، انشغل الآخر بترتيب أوراق الملف وقد واجه الحائط.

اصطف الحضور في خط للسلام، جاء دوره، مد يده لمس اليد الممدودة، شد عليها كما هي عادته في المصافحة، افتر ثغره عن ابتسامة صغيرة وهو يتأمل الوجه عن قرب، تحرك بعد أن لمس تذمر من يقف خلفه،

لم يلاحظ سطوة صاحب القصر، شعر بأن الأشياء مألوفة لا يوجد ذلك الانبهار، الذي يشاهده كل مساء على شاشة التلفاز.

حاول العودة إلى مكانه، فقد التركيز، لم يجد المقعد، كما فقد الطريق إلى إسماعيل الذي مازال في الصف ينتظر دوره.

العطـــر

في الرابعة من العمر، كلف والدي بالعمل في السفارة في دمشق، وبعد عشر سنوات عدت بعد أن عثر عليه ميتا في سيارته بمواقف سيارات تلك السفارة.
بمعونة من جدي اشترت أمي منزلا في حي متوسط بمدينة الرياض، وفي العام الثالث أقنع جدي والدتي بالزواج، فكان أن تركتني وأختي في كنفه، ولما تخرجت من الجامعة تزوجت ابنة عمي، التي طلبت الطلاق في نهاية العام الأول.
نمت في داخلي حاجتي إلى الحرية، أخذت إجازة من العمل، سافرت بالسيارة في رحلة داخلية غادرت فيها الرياض، ولما وصلت إلى مكة المكرمة أديت مناسك العمرة وبقيت ثلاثة أيام، ومن جدة شحنت السيارة إلى الرياض، وركبت الطائرة إلي أوروبا ثم أمريكا.
طالت رحلتي بعد أن تمكنت من الحصول على قبول في الجامعة لأخذ دبلوم في الحاسب ودرجة الماجستير، سبع سنوات استمرت الرحلة كان فيها عمي قد توفي في حادث سير وجدي مقعد في دار رعاية المسنين، أمي طلقت من زوجها واحتفظت بابنها منه.
انشغلت بتأسيس وكالة لتوزيع أجهزة الحاسب ذات مساء تلقيت اتصالا هاتفيا من موظف في جهة حكومية يطلب مقابلتي، كان سؤال الموظف عن قصدي الذي أخفيه في نص إبداعي نشرته مجلة أدبية في القاهرة، وبين حوار الأسئلة تم سجني أشهر، أغلقت فيها الوكالة، وأخذ أحد التجار شركة الحاسب، وخسرت الضمانات المالية، بدعوى الإهمال .
أمي تزوجت برجل يصغرها كثيرا، فهجرت الدار وأقمت في استراحة أعددتها كمستودع لمشروعي، على أرض جاءت كمنحة من الدولة توسط فيها جدي أيام غيابي.
عاودت نشاطي التجاري بمشروع صغير، بعد غروب يوم كان علي مقابلة وكيل شركة الحاسب، اصطدمت بمؤخرة سيارة وقفت فجاءه أمامي حتى يترجل من بداخلها، نزل السائق لم تكن هناك تلف أو آثر.
طلب الشرطي الذي انبثق فجاءه رخصة القيادة وبطاقة السيارة وطلب مني مراجعة إدارة المرور، لاحظت أنه تجاوزني وأخذ يتابع من يترجل من العربة الأخرى وهو يبادل السائق الحديث .
أخذت رقم العربة ورقم لوحة سيارة شرطي السير، أوقفت عربتي في مكان مناسب حتى أنجز عملي، راجعت إدارة المرور لم أعثر على أوراقي، طلبت من القائد تزويدي بورقة سير مؤقتة حتى لا يعترض طريقي شرطي أخر، تكررت زياراتي لمركز الشرطة، أخذت أبحث عن سيارة الشرطي، وطلبت من صديق معرفة صاحب السيارة الأخرى، عثرت على سيارة الشرطة مع أخر، كانت رخصة القيادة وبطاقة سيارتي في درج السيارة .
بعد أيام أخبرني صديقي أن السيارة التي أبحث عنها تعود لمسئول هام تردد في البوح باسمه، نسيت الأمر لانشغالي بأعمالي طلبت إحدى المدارس الأهلية تجهيزها بالحاسب، أثناء العمل تعرفت على مديرة قسم البنات ومساعدتها، كانت المساعدة عانس أغرتني المديرة بها زوجة.
أخذت زوجتي تنقل عمل المدرسة للدار، بين كشوف الأسماء عثرت على اسم المسئول الهام من خلال وجود ثلاث من بناته في مراحل مختلفة، عرفت أن هناك ابنة رابعة تركت الدراسة وعادت من الخارج تحمل الدكتوراه . تعثر زواجها أكثر من مرة.
في السنة الثانية جاء أسامة ومعه كان الطلاق، عدت للاستراحة أبحث عن السكينة من خلال تكثيف البوح والكتابة، كتاباتي في الصحف تطورت إلى مناقشة أمور المجتمع وسلبيات الأداء الحكومي، لم يعد للمكتب نصيب في الأعمال الحكومية وتوقف البيع على الأفراد.
أمي طلقت زوجها الشاب، تعرض محلي التجاري للسرقة، أقمت مع والدتي بعض الوقت. ذات مساء وأنا أقلب العدد الجديد من المجلة التي تنشر ما أكتب، جاء الموضوع الرئيس دراسة

لكتاب أصدرته ابنة المسئول الهام، تطرق الكاتب لأهمية الكتاب وأثره على الساحة الفكرية، وحاجة المكتبة لمثل هذا العمل.
بحثت عن الكتاب في المكتبات فلم أعثر عليه، طلبته من محرر المجلة التي تنشر كتاباتي فوعدني خيرا، جاء الكتاب مع مراسل خاص، كان المراسل السائق الذي اصطدمت بسيارته لم يذكرني دعوته لشرب الشاي، في تلك الدقائق دفعته للحديث عن الدكتورة واهتماماتها الثقافية وسفرها المستمر، أخذت أقلب الكتاب فوجدته مجموعة مقالات انتهى وقتها وأخرى لاتهم الشريحة الكبيرة من القراء قدمت دراسة مناقضة، المجلة رفضت نشرها.
كنت أتأخر في مكتبي لإنجاز بعض الأوراق، ولما لم يكن شيء يلزمني أعود لمسكني قبل غروب الشمس، مع ارتفاع نداء الإقامة لصلاة العشاء رن جرس الباب، كان السائق ومعه رجلين، أستنشق أنفي عطر نسائي، دخلت تتهدل عباءتها على جانبيها، تلبس سروال (جنز) وقميص ملون بمثلثات ومربعات، جلست على أقرب مقعد، سألتني عما كتبت عن كتابها، تأخرت في الرد، رمت بأوراق أخذتها من السائق أمامي على الأرض، انحنيت أجمعها لفت نظري حذاؤها الرياضي، بعد جمع الأوراق تجاوزت المفاجأة دعوتها لدخول مكتبتي أخذت تطالع رفوف الكتب، أخرجت كتاب يتناول أسرتها بالذم قلبت صفحاته.
لما جلست خلف المكتب خرجت لإحضار مشروب من المطبخ، غادرت الغرفة والكتاب معها على وجهها ابتسامة صغيرة، طلبت إعارتها الكتاب، في المساء صوتها انسل مناقشا ما جاء في مقالي وفي بعض الكتب التي وجدتها في مكتبتي الصغيرة.
في التاسعة من صباح يوم خميس وأنا أجلس في مكتبي بمتجري، شممت عطرها وقد وقف أمامي زائر بثوب رجالي ناصع البياض وغترة حمراء وعقال، ركزت نظري كانت هي جلست على المقعد المقابل،
خرجنا من المكتب، لفتت نظري سيارتها التي تقف في المواقف، غادرنا المدينة إلى الاستراحة، ترجلت من السيارة تجولت على طرف المسبح جلست، نثرت بين يديها المتوفر من الشراب، تخلت عن العقال والغترة انساب شعرها القصير، خلعت الحذاء أنزلت قدميها في الماء تحدثت عن كتاب جديد لها في المطابع، في السادسة ونحن في طريق العودة، طلبت مني مراجعة المطبعة التي تطبع الكتاب حتى آخذ نسخة للمراجعة قبل خروجه للقراء.
أخبرتني أمي أن زوجتي تزوجت وأنها طلبت منها رعاية أسامة، بعد خروج الكتاب كثر النقاش حوله، مقالي عنه سبب في عودتي للسجن أشهر جديدة، لما خرجت اعتزلت في خلوة داخل الاستراحة، جمعت فيها بعض مقالاتي، أرسلتها مع مندوب مبيعات إلى بيروت لتخرج في كتاب.
زوجتي طلقت، وجاء صوت المديرة يدعوني لأمر هام، حدثتني عن حاجة زوجتي لي ناقشتها في عيوب زوجتي الخلقية، بعد ساعة نهضت معلنة انتهاء المقابلة.
كما هي عادتي وأنا أدخل المبنى التجاري الذي فيه محلي، آخذ مجموعة من الصحف أتركها على المكتب حتى أتفقد العمل، جلست على المكتب أخذت أقلب الجريدة الأولى صدم نظري نعي متوفاة يحتل صفحة كاملة، كانت الدكتورة تكرر النعي في الجرائد الأخرى محتلا أغلب الصفحات غادرت المكتب أخذتني عربتي لمنزل والدها المسئول الهام، دقق رجال الأمن في هويتي، وطرحت أسئلة عن سبب حضوري،
سمع جدالنا أحد موظفي القصر، كان السائق سهل دخولي القصر، أخبرني أن الوالد مسافر، دخلت قاعة الاستقبال عرفني على أكبر إخوانها وأبنها الوحيد من زواجها الأول تقبل الجميع العزاء أثناء خروجي من القاعة، لحق بي شقيقها الأكبر أمر أحد الخدم إحضار مظروف من مكتبه، قدمه لي حسب رغبة المرحومة وأنا أدير محرك العربة عرفت أنه فتح.
رن هاتفي الجوال كانت أمي، تصرخ في بأن الحق منزلي الذي يحترق، لما وصلت كانت النار قد التهمت كل شيء، ورجال المطافئ والشرطة يعدون محضر بالحريق اقتربت من المسئول عرفته بنفسي، طلب توقيعي.

أبو سعيد

طفولتي في مدرسة دار الأيتام، ولما بلغت الثامنة عشر دخلت المدرسة العسكرية فتنمى عملي وتدرجت وظيفتي ٠في الثلاثين تزوجت من شيماء ابنة فلسطيني يعمل مترجم في دائرتي، في السنة الأولى جاء سعيد وفى السنة الرابعة سماح ٠
بعد تقاعد والد زوجتي وحصوله على الجنسية فتح مدرسة أهلية للبنين و البنات ، غدت شيماء مديرة القسم الأنثوي ، وهو مشرف عام و مديرا لقسم الذكور .
طبيعة عملي التنقل و مشاركة الوفود المسافرة و القادمة اجتماعاتهم وجولاتهم وكنت استعين بوالد زوجتي في بعض المهام، غير أني شعرت بالحرج وهو يمارس ضغوطه علي حتى أضاعف المكافأة. و يتدخل حتى أرفض طلبات من يعرف ٠
مع الوقت أصبحت شيماء وهي ترى سعيد فتى و سماح عروس تتجاهل وجودي فكانت تهمل رأي في أمور المنزل وحاجة الأسرة٠
وقد ورثت المدرسة بعد والدها الذي وجد مقتولاً داخل ورشة مهجورة لإصلاح السيارات في شارع معارض السيارات حيث يكثر العاملين في هذه الورش من الفلسطينيين و جاليات أخرى من شرق آسيا
اعتنت شيماء بوالدتها فأشرفت على زواج شقيقاتها الثلاث وابتعاث أخويها لدراسة الطب في إحدى دول شرق أوربا .
سعيد التحق بكلية الاقتصاد و الإدارة و سماح وهي في السنة الثالثة ثانوي خطبت و قبل ظهور نتائج اختبار الثانوية العامة كان زواجها من ابن زميل في العمل .
في جولة تفقدية على أحد المواقع الحدودية تعطلت بنا السيارة، كان السائق معي فقط لم يشعر أحد بتأخرنا ولم نكن مستعدين لهذه الحالة ٠
البرد القارص يلدغ جسمي ، والهواء الذي يحمل ذرات الرمل يصفع سيارة الجيب ومسام الغطاء تصدر أصوات متناغمة ٠لأ أدري كيف غفيت ٠
صحوت على ثغاء أغنام وهرج أشخاص لا أعرفهم السائق ميت، تلفت حولي الأشخاص و الماشية يبتعدون وقد خلت العربة من كل شيء، نقلت السائق إلى صحن السيارة وأدرت المحرك ٠
وصلت إلى الإدارة وهناك اتهمني أقارب السائق بقتله ٠ سبب موته كان لدغة أفعى عثر عليها الأطباء ميتة في سرواله .
اهتزت معنوياتي و شعرت بالإرهاق و العجز ٠
دخلت المستشفى فأحتار الأطباء في علتي حدثت الأخصائي النفسي عن طفولتي
و مدرسة الأيتام وعرفت أن لي آخ ٠أيضا دخل معي المدرسة ولا أدري مصيره
تذكرت مقتل والد شيماء سألني الأخصائي عن عماد٠ أنكرت معرفتي وفي أثناء الحديث عرفت آن عماد شقيق شيماء رفض العودة وشكل فصيل فلسطيني لمقاومة اليهود في دمشق و أبحاثه و مقالاته المنشورة في الصحف والكتب تتهم وطني بالعمالة و الخيانة شعرت بحاجتي للنوم . .
أحلم في صحوي والمنام آني أمص الحليب من ثدي امرأة سترت وجهها بغطاء أسود شفاف ، وأن أخرى كانت تأخذني إذا شبعت ، تذكرت أخي الذي كان بكاؤه يملأ الدار وغرف مدرسة الأيتام و تسابقنا على الدرس و النجاح وحرص العاملين في المدرسة على أن نشعر بأننا في يد أمينة .
قالت شيماء الرجل جن كانت تحادث أمها وقد أغلقت علي باب غرفة النوم

سماح تأتي لزيارتي كلما سمحت الظروف لزوجها . سعيد رغم وجوده معنا في الدار نادراً ما يدخل الغرفة آلتي أجد في داخلها السكون والأمن، فكنت أتناول طعامي الذي تحضره شيماء عندما تكون في الدار٠ وان كانت الخادمة هي التي تقوم، بذلك لم تنقطع زيارتي إلى المستشفى ٠

أصبح عملي بعد أن ترفعت مسئولاً عن قطاع الإنتاج في مصانع الدائرة التي تجمعها رقعة واحدة على بعد مائة كيلو عن الرياض ، فضلت الإقامة في بيت الضيافة الذي يستقبل الزوار و القيادات العليا ٠

انقطعت صلتي بشيماء حتى وصلني استدعاء من المحكمة لطلب الانفصال ادعت إني لم أعد قادرا على أداء واجبي كزوج ٠نسيت ذلك وأمام إصرارها على تحويلي لطبيب للكشف كان الطلاق حتى لا نخرج عن نطاق غرفة القاضي ٠

بعد هذه الصدمة سافرت في مهمة عمل إلى بلد عربي وراجعت الأطباء عرفت أني فعلاً وصلت إلى هذه الحالة ٠

طلب مني زيارة طبيب نفساني لأن ما أعانيه ليس مرض جسدي، أستقر في ذهني وقد تجاوزت الخمسين الاستقالة، غير آن الإدارة رفضت ذلك فأخذت إجازة سافرت فيها إلى جدة ٠

أشعرت فرع إدارتي بالمدينة بمكاني وعلمت أن الرئيس سوف يزور الفرع فكنت من المستقبلين ، ولما اختلى بي عرف رغبتي في الإقامة في هذه المدينة و تكوين حياة جديدة ٠بعد أيام قدم لي أحد المراسلين مضر وف مغلق بداخلة صك تملك إحدى الوحدات السكنية آلتي تمنح لكبار المسئولين ، وصك أخر لقطعة أرض بمساحة أكبر هدية شخصية من أملاك الرئيس في المدينة . أقمت عليها أسواق تجارية وهجرت المسكن إلى شقة في عمارة بجوار السوق .

تذكرت مدرسة الأيتام التي أدخلني بها خالي أخذت أسال عن مصير المدرسة و ملفاتها حتى وصلت إلى بداية الخيط ٠

سافرت إلى الرياض حيث تكدست الأوراق تعاطف أحد موظفي الأرشيف معي عثرت على بعض أوراق ملفي عرفت أن خالي كان زوج أمي تخلص مني ومن أخي بعد أن التحق جندي بالأمن في مكة المكرمة ، ومن الكشوف عرفت أن أخي هرب من المدرسة

سافرت إلى قرية أمي و زوجها ، لم أجد من يعرفني وان كان اسم أمي و عائلتها دليلي وعرفت أن أبى أحد عمال مزرعة والدها ، اختفى و تزوجت ابن خالتها .

عدت إلى شقتي خائباً ووجدت معالم زيارة سعيد و سماح لا أدري كيف استدلا على عنواني غير أن المسئول عن أحد المحلات أخبرني أن سيدة زارت المحل وأخذت فاتورة بما شرت ولما ذكر اسمي سالت عني وكأنها تعرفني تكررت زيارتها للمحل

ترددت في الاتصال برقم الهاتف الذي دونته في دفتر على مكتبي الأول هاتفا ثابت في الطائف ٠

والآخر نقال جربت الأول لم يرد أحد و استعملت الآخر فجاء صوت توهمت أني اعرفه فعرفت نفسي بأبي سعيد ٠

أنها تما ضر أخت شيماء عرفت أمري مصادفة ٠ تقيم في الطائف منذ خمس سنوات حتى الآن لم ترزق بأبناء رغم مرور عشر سنوات على زواجها.

شيماء تزوجت بآخر ، أسرته من قرية والدها التي احتلها اليهود عام ١٩٤٨من فلسطيني الشتات .

شقتي في الدور الأرضي نوافذها تطل على مساحة صغيرة من الأرض قمت بزرعها ببعض الزهور، ويعتني بنظافتها عاملة حبشية تحضر يوم بعد يوم تغسل ملابسي وتنظف الشقة ٠.

جاءت تما ضر، رن جرس الباب لما فتحته العاملة الحبشية وزعت نظراتها بيننا واختفت ٠

أخذت تحدثني عن حياتها ، وان أخاها عماد عاد مع العائدين إلى فلسطين برفقة المنظمة كمسئول إعلام وأخاها عبد الله التحق بمدرسة شيماء الأهلية بعد تخرجه من الجامعة ، أما أختها الثالثة فقد رزقت بعدد من الأولاد وهي تقيم مع زوجها في الدمام ٠سعيد تقدم للعمل مدرساً في مدرسة نائية في قلب الصحراء ٠بعد آن شربت الشاي نهضت ، دعتني لزيارتها والتعرف على زوجها الذي يعمل في البنك الأمريكي .

تبدل حال العاملة الحبشية بعد زيارة تما ضر ، أخذة تعتني بشكلها وتهتم بتوزيع الأثاث داخل الشقة والحرص على إبراز ذوقها في العناية بالستائر واللوحات الفنية والصور المعلقة على الجدران ، كما قامت بإبدال الكرسي الذي اعتدت التمدد عليه في غرفة الجلوس ، وأنا أستسلم لأناملها التي تتلمس ألم مزمن في كتفي الأيمن يشتد حتى يصل أسفل ظهري ، وقررت النوم في غرفة الضيوف حتى أجد الإفطار وكأس الحليب ٠

ذات ليلة وأنامل العاملة تمارس طقوسها في ملاحقة أوجاع ضهري ، رن الهاتف كانت تما ضر تتحدث عن مشروعها الحلم فأخذت أضحك ، تجاوز التدليك الأماكن المعتادة تغلغل فسرى خدر في أعماقي فنملت أطرافي ، لا أدري متى نمت وكيف تركت غرفة الجلوس ، تلفت حولي غطيت جسدي العاري ، باب الغرفة مشرع ،

صوت العاملة ينساب رخيما بأغنية تسكن أعماقي، وجدتها في المطبخ بادلتني تحية الصباح، تناولت كأس الحليب والإفطار، وصلت مكتبي متأخر ٠

عدت في المساء وجدت باقي الإفطار مكانه في غرفة الجلوس تجولت في الشقة لا أحد حملت أطباق الإفطار إلي المطبخ، بدلت ملابسي.

أعددت كوب شاي، جلست أمام التلفزيون أتابع ما يعرض حتى نعست، تأخر قدوم العاملة الحبشية حتى شعرت برائحة الغبار ٠طلبت من أحد العاملين إحضار أخرى

اعتدت النوم حتى الظهر في أيام الخميس٠ حيث أسهر مع مجموعة من الأصدقاء إلى ساعة متأخرة نلعب البلوت و نتعشى في أحد شاليهات البحر ونمارس السباحة عندما يكون القمر في كبد السماء .

جرس الباب يرن كنت أحلم تكرر ، نهضت بقميص البيجاما وسروالي القصير

كانت تما ضر لما شاهدت٠ ملابسي ضحكت ٠

خلعت عباءتها تهدل شعرها ٠فتحت حقيبة يدها وأخرجت مجموعة أوراق نثرتها على الطاولة أخذت تحدثني عن مشروع مشغل الخياطة.

دخلت الحمام غسلت وجهي وغطيت جسدي، لم تكن في غرفة الجلوس سمعت صوتها وحركتها في المطبخ عادت تحمل الشاي وقنينة ماء أخذت أقلب أوراقها ٠

رن هاتفها الجوال قامت تاركة الأوراق قالت وهي تفتح باب الشقة أنها سوف تعود بعد غروب الشمس ٠

ارتفع أذان العشاء وإذا بالباب يقرع كانت تما ضر انهارت باكية على أحد مقاعد الجلوس عرفت أن سائق عربتها اصطدم بسيارة أخرى وتم حجز السائق، تركت رأسها ينام على صدري ٠سرت ابتسامة خفيفة على وجهها أخذت أمازحها.

أحد الأصدقاء أحضر عاملة إندونيسية تعمل في مشغل خياطة تديره زوجته.

زارتني ابنتي سماح و جاء سعيد لقضاء أيام من إجازة نهاية العام الدراسي قبل سفره إلى الخارج، بعد سفر سماح ناقشته في عمله أخذ يبكي على كتفي تذكرته طفلاً عندما أعاقبه كانت دموعه تنهار وهو يلتصق بي تركته يبكي حتى نام ٠

جهزت الخادمة، الإفطار جلسنا حول طاولة الأكل تحدث عن حياته وشعوره باليتم تحدث عن المدرسة وكيف أنه كان يعرف بين أصدقاءه بسعيد الفلسطيني، عرفته على عمال المحلات التجارية ذكرته بطفولته وكيف كان يبكي كثيراً٠

جلسنا حتى ساعة متأخرة من الليل على البحر، عرفته على الأصدقاء في منتزه بحري عاتبه البعض على انقطاعه سافر غير أنه عاد بعد أيام٠توسط له بالنقل فكان أن جاء اسمه في قرار خاص.

تما ضر وهي تقوم بشراء ما يحتاجه مشغلها همست أني تلك الليلة كنت الإنسان الكامل تذكرت شيماء و عجزي.

خطبت لسعيد ابنة أحد الأصدقاء ٠جهزت سكنه بما لم يحلم به حضرت شيماء حفل الزواج كانت أكبر من سنها ٠

قالت شيماء ونحن نجلس على طاولة في منتزه بحري ضمت سعيد وزوجته وتماضر٠انها تنوي شراء شقة حتى تكون بجوار ابنها ،

قام سعيد أخذ زوجته حتى يركب معها أحد الزوارق لم أعلق على الأمر.

الغيـــاب

لا أدري متى كان مولدي وأين ولمن أنتمي٠ تواردت هذه الخواطر وأنا أقف خلف المنبر حتى أقوم بإلقاء قصيدة شعر كتبتها للمسابقة الأدبيه٠
أخذت أعد الحضور، فإضافة عدد مواز لكل رقم أصله لأعرف كم عينا ترمقني هذه اللحظة في الصالة، متجاوزا تلك التي تتابع المسابقة عبر شاشات التلفاز. اعتذرت عن إلقاء القصيدة وغادرت الصالة، تصفيق حاد يلاحقني تجاوزت سيارتي، اخترقت طرقا تعرفها طفولتي حتى وصلت الدار،
لم يكن هناك أحد، الجميع تركني ورحل، تمددت في الفراش بملابسي، الظلام يحيط بي٠
أخرجت القصيدة من جيب الثوب، ارتفع صوتي مرتلا أبياتها، هناك من يدعوني لإعادة بعض المقاطع.
في المكتب طالبني الزملاء بمشروب وإفطار دسم على حسابي، لقد فازت قصيدتي بالمركز الأول٠ جلست خلف مكتبي بعثرت محتويات جيبي على سطح المكتب٠ بطاقات، أسماء، قصاصات تحمل أرقام هواتف وفواتير المغسلة حيث تربض ثيابي دائما٠
الشيء الذي افتقدته أوراق القصيدة ٠خرجت من المكتب عدوت إلى الدار قلبت المخدات وكتبي المتناثرة على الأرض٠
تذكرت النادي الأدبي والحفل، غادرت الدار لم أهتم بمنبهات سيارات الأجرة وإشارات قائدي بعض السيارات التي تشاركني الطريق٠
باب النادي مغلق، اتجهت إلى سيارتي فتحت بابها جلست خلف المقود، أدرت المحرك وأخذت أمزق أوراقا وجدتها على المقعد تحمل نصا شعرياً، نثرت القصاصات على رصيف وإسفلت الشارع ٠
قادتني السيارة إلى خارج المدينة ٠ شعرت بالعطش والجوع، توقفت بجوار مقهى ركاب متهالك سبقني إلى احتلال بعض زواياه مسافرون ران عليهم الصمت٠٠٠٠

الفأر

دخل الدار في الثالثة صباحاً، توضأ وصلى ركعتي السنة، وأخذ يبتهل كما أعتاد قبل الرقاد.
خلع ثوبه واستلقى في الفراش الممتد على الأرض في غرفة الجلوس، بعد أن أطفأ الضوء.
انقلب على جانبه الأيمن. شعر بخدر في ذراعه الأيسر، حيث كانت الكف تحت صدغه.
أعتدل، ثم نام على بطنه بعد أن دفن رأسه في الوسادة. سمع حركة حوله. أنصت إلى
أعماقه، بينما فأر يدب أيقرض قدمه ويلتهم أصابعه، أدغم في ظلمة دامسة.
جاء صوت قرع على الباب الخارجي مختلطاً بصوت دقائق الساعة. تنبه تأمل الساعة. شيء
يحجبها عنه. جلس في الفراش. تلفت حوله، كانت عقارب الساعة تشير إلى الخامسة.
الفأر مازال يقرضه. تمدد مجددا. أغمض عينه وشبك ذراعيه على جبهته ورحل.

انبجاس

تشكلت الأحداث، نمى الموقف الإيهامي حتى نزح ارتهان البياض إلى مساحة من السواد طفحت إلى السطح، وهو يرى الانتفاخ يكبر.
لفت نظره زميل في العمل عندما تحدث عن تضخم بطنه لم يهتم، أمام نظرات زوجته تسرب قلق إلى أعماقه، زار الطبيب فكانت الفحوصات إيجابية لم توضح الأشعة أسباب غير طبيعية للانتفاخ.
قرر السفر إلى القاهرة للعلاج، في الطائرة شعر بآلام شديدة في أسفل البطن أسرع إلى الحمام لاحظت المضيفة حبات العرق على جبينه.
أستقل سيارة أجرة، أخذه السائق إلى فندق ثلاثة نجوم، كانت موظفة الاستقبال لبقة وأنيقة حمل أحد العمال حقيبته إلى غرفته.
تمدد على الفراش، عاودته الآلام اتصل بالاستقبال، كانت هي من أسرع إليه جلست إلى جواره.
: إنه المخاض..
: ماذا..
جلس في الفراش ممدداً ساقيه شعر أنه يتبول رغم أنفه الألم يزيد، أخذت تسري عنه وتدلك كتفيه تمسح بمنديل ورق عرقه.
هدأ ساعدته على التمدد أغمض عينيه، سمع صراخ وليد يتردد في جنبات الغرفة الظلام يحيط به وصوت يقول..إنه ولد.
غادر الفراش، دخل الحمام تخلص من ملابسه، بقع الدم هنا وهناك. أنسكب الماء على جسمه باب الغرفة يفتح كانت موظفة الاستقبال.
قال: هل أعرفك..
هزت رأسها نفيا ومع ذلك قالت: نعم
جلس في مكان اختاره بعناية في مدخل الفندق، ينتظر بروز وجهها وراء طاولة الاستقبال، عرف أنها ذهبت لتناول الغداء، قعد بجواره شخص ضاعت معالم وجهه همس.
: إنها تحبك..
: من
التفت كان المكان فارغاً.
دخلت الفندق امرأة وخلفها طفلين، توقفت المرأة عن الحركة عندما التقت نظراتها به، كانت تنسل إلى غرفته في منزل الأسرة عندما يختفي الجميع، وفي مساء اليوم الذي تجيء فيه يحلم بأن هناك من يغتصبه كان ذلك قبل سنوات اختفت فيها.
ركض الأصغر نحوه مد يده نحو الطفل يداعبه، كانت تبتسم مشرقة.
أحدهم يربت على كتفه فتح عينيه كانت هي نهض لحق بها في المصعد، سبقته في الدخول إلى غرفته.
أرتفع صوت المنبه، جاءه صوت زوجته يحثه على القيام، نداء اعتاد عليه وصل المكتب متأخراً سلم على من سبقه، تلفت حوله دخل غرفة الخدمة أشعل الموقد.

مريم

بعد عام من الحديث الليلي عبر الهاتف، وأوقات حرجة فيها زوجي وأولادي الخمسة؛ ثلاثة أولاد وبنتان بحاجة إلي. قررت مريم التي لا أعرف سوى أسمها أن نلتقي. بكت هددت بالانتحار إن لم استجب لرغبتها.
كان علي أن أقف على الرصيف المحاذي لمحلات الذهب في السوق. هي تعرفني وقد استطاعت بواسطة دموعها معرفة كل شيء، علامتها علبة حلوى حمراء اللون تضمها إلى صدرها مربوطة بشريط أبيض.
ترجلت من عربة زوجي وجلة، دخلت ممرات السوق وهدأت شيئاً، عدت إلى الرصيف المحاذي لمحلات الذهب.
كان يقف يرمق الفضاء ببصره، العلبة الحمراء ذات الشريط الأبيض يضمها إلى صدره بيده اليمنى، تجاوزته بعد أن تأكدت من وضع العباءة والنقاب، دخلت السوق، وعدت مازال في مكانه.
هل انتحرت.. وجاء بدلاً منها.. هل أرسلته وهي الآن هناك.. عدت ووقفت بجواره
قلت بصوت مرتفع:أين مريم ؟.
قال بصوت متهدج : اتبعيني
تحرك والعلبة مازالت ترقد على صدره، دخل باحة السيارات توقف بجانب عربة بيضاء اللون فتح الباب الأمامي للراكب.
قال: أركبي
أجلس بجوار رجل لا أعرفه، وضع العلبة على المقعد الخلفي، غادرنا السوق شيء من الثبات كسبته، لكن صوتي لم يسعفني.وقف أمام بوابة عمارة من عدة أدوار،
قال وهو يغادر العربة.. وصلنا
سبقني إلى المصعد، سرت خلفه لا يوجد أحد في المدخل، كان الدور السادس، فتح بابا بجوار المصعد، ترك لي مجالا للدخول
قال: بصوت مرتعش: تفضلي..
صوتي يتردد داخل الشقة حولي عدد من باقات الورود. وقف قبالتي..
قال وهو ينزع الغطاء عن وجهي: أنا مريم

وهم

الذي أعرف إنها شقيقه حنان تقيم مع طفليها في سكن خاص على غير وفاق مع زوجها الذي يهجرها أشهر ثم يطل لزيارة طفليه ومساعدتها على مصروف البيت.

تعمل معلمة في مدرسة ابتدائية تمارس بين وقت وأخر الكتابة الصحفية في جريدة يومية تشغل وقتها بالعمل وزيارات الصديقات أو مساعدة والدتها.
حنان تهرب أليها من رقابة أمها . فكانت تشاركنا لقاءاتنا، قليلاً ما كانت تمنحنا فرصة الجلوس لوحدنا.
ذات مساء أوصلنا حنان إلى المنزل كانت تجلس مع طفليها في المقعد الخلفي وفي طريقنا إلى سكنها طلبت مني الوقوف أمام البقالة التي في بداية الشارع .
عادت لتجلس في المقعد الأمامي وطلبت مني البحث عن بقاله أخرى، طال تجوالنا لم تكن تريد شيء إنما تبحث عن مساحة أكبر لنبقى وحيدين .
ذات ليلة في منتزه الردف، وحنان تواصل حديثها عن كل شئ قالت:
- تقدم أحدهم٠٠ طلب يدي٠!
مفاجأة اكبر من اللحظة التي نحن فيها
- رجل صاحب منصب ومستعد لمنحي فرصة إكمال دراستي.
عواطف ترجح اصغر طفليها والأخر يترجح في اللعبة الأخرى، ترصد حركتنا وتحاول فهم ما نقول رغم العتمة والمسافة التي تفصلنا٠
- أمي موافقة ..!
عرفت انه مساء أمس قرأ الفاتحة مع آبيها في مسجد ابن عباس ،كان وفق طموحات أسرتها وتطلعاتها٠

(٢)

جاء صوت عواطف عبر الهاتف تسعى لإدخال أبنتها المدرسة لا ادري كيف استجبت للنداء، تكررت الطلبات كتب أقلام وأشياء أخرى، هذه المرة الأولى التي ادخل فيها مسكنها.
كانت المفاجأة قيامها بتغطية وجهها، أخرجت من جيبي عشرة ريالات أمرت الخادمة بأخذ الطفلين وشراء حلوى لهم .

(٣)

حنان تسال عن حياتي بعدها، تتحدث عن معاناتها، انقطاعها عن الدراسة بسبب الحمل، انتقال عمل زوجها إلى مدن مختلفة، دعتني لحضور زواج أختها الثالثة٠
قمت بشراء دار جديدة وأثناء أعدادها للسكنى جاء صوت عواطف تسعى للنقل من مدرستها وعلي مساعدتها.
تتحدث عن سوء أخلاق مديرتها، ولم تلاحظ وقوفي أمام الدار حتى دخلنا الفناء، رفضت النزول من السيارة فتحت الباب وحملتها تعلقت برقبتي٠
أخذت تبكي .
قلت: أعرف أن سامية تزوجت
سامية تشاركها شذوذها وسهرها ، تزوجت متأخره بعد فشل زواجها الأول، وأنتقلت لمدينة أخرى .
وأنا في مكتبي ذات صباح جاء

_ الأستاذ فيصل
_ نعم
_ أنا أبو سعد ٠٠٠ صالح الطيب
لم أعرف الرجل ولا اذكر الاسم دعوته للجلوس حتى أنجز ما جاء من اجله، التفت نحوه
ـ أمرك
كان زوج عواطف هكذا عرفت منه، حرص على مقابلتي بعد وفاتها بسبب جرعة زائدة من مخدر٠
وجد صور لي وبعض قصاصات جرائد في خزانتها الخاصة، قدم الأشياء داخل مغلف أخذت أراقبه وهو يغادر المكتب كل شيء فيه يشعرني بأنه يعرف عني ما لم اعرفه ٠

الأستاذ

قالت أجرب كتابة الشعر فقد تلمس الأستاذ في كتاباتي المنوعة التي جمعتها في دفتر أني شاعرة. أخذ يتصل الساعة الواحدة ليلاً وهو يقلب صفحات الدفتر المدرسي ناقداً ومصححاً حتى كتب أربعين نصاً شعراً من خلال محاولاتي.
ذات مساء وجدته أمامي في مطعم الأكلات الأجنبية كان يجلس مع زوجته فطلبت من أختي وزوجي أن نجلس في الطاولة المحاذية.
كان الحاجز الخشبي يفصلنا صوته الخافت يصلني تعمدت رفع صوتي ونحن نتحدث كنت اختلس النظر عبر فتحات الحاجز الصغيرة، صوتي لم يؤثر فيه، تماديت في الجدل وأخذت أختي تحدق في باندهاش، عندها شعرت بأني وصلت إليه.
بعد العشاء سافرت مع زوجي الذي حضر كما هي عادته كل أسبوعين، بعد أن كلف بالعمل منذ أشهر في مدينة أخرى، أخذت إجازة خمسة أيام من عملي، كانت المفاجأة مشاهدتي لقصيدة في صفحة الثقافة تحمل اسمي عدت إلى المعتاد، كان مساء يوم السبت صوته المتهدج يملأ فضاء حجرتي، همست في أذن شقيقتي بأني مدعوة للعشاء.
ينتظرني بعربته في مدخل شارعنا تلفت حولي لم أهتم بدخول المركز التجاري زيادة في الحذر، إنما اتجهت إليه رأسا، لم يفتح الباب صعدت إلى العربة مرت دقائق حتى قلنا في صوت واحد مساء الخير.
دفتري المدرسي يقبع على المقعد أخذت أقلبه، توقف أمام أحد الفنادق متريثاً ثم دخل الفناء.اخترنا طاولة جانبية في المطعم طلب مني رفع الغطاء عن وجهي
- إنه أنت ..
- أنا ..
- أجل تلك الليلة في المطعم..!
أخذت أضحك كثيراً تحدث عن تجربته الطويلة وإحجامه عن النشر رغم وجود أعمال كثيرة مخطوطة منها ما تسرب للصحف.
حاولت أن أحاسب عن العشاء رفض سبقني، إلى المغسلة أخذت أتابع حركته ببصري فيه عرج خفيف، أمسك بيدي حتى خرجنا من مطعم الفندق، أوقف العربة أمام مدخل العمارة، وقفت في المدخل حتى تحرك.
تمددت في فراشي اقلب الدفتر وجدت أربعين قصيدة هي مجمل كتاباتي ورسومي القصيدة المنشورة من ضمنهم أخذت أضحك.
زاد قلقي وأنا أنتظر صوت الأستاذ الذي تأخر.. اتصلت به في الصحيفة التي يعمل بها بحثت عن عنوانه ورقم هاتفه في الدليل، أعرف اسمه الأول ولقبه
هناك عدد من الأسماء تحمل لقبه، أخذت أتابع الأرقام في الدليل جاء الرابع يعرفه.
: انه أخي
: أين..
: تعرض لمرض وسافر للعلاج.
شيء في داخلي تحرك، اخترت نصاً حزينًا نشرته ونشرت آخر مع الحروف الأولى من اسمه.
ذات مساء جاء صوت يطالبني بالتوقف عن نشر القصائد لأنها للأستاذ.. سألت عنه
: انه في السجن.
عرفت أن زوجته ادعت عليه بمحاولة دهسها بالعربة عندما أنزلها أمام باب المدرسة التي تعمل بها .

: إنـه شعري
: الجميل إنـه نشر باسم مستعار
: كيف
: لو نشر باسمك لاتـهمك بالسرقة

كان يبتز الآخرين بوهم الشاعر وهاجس الكتابـة أقفلت الـهاتف، جاء زوجي متـأخراً طلب إعداد حقيبة سفره،

وأنا في مكتبي أقلب ملفات الموظفين، فتح الباب بهدوء كانت أختي جاءت لزيارتي بعد أن أنـهت موعدا مع الطبيب الذي يتابع حملها، نـهضت معها حتى الباب. لحظت الواقف في الممر، أخذت أتبعها بنظري حتى اختفت أغلقت البـاب ثم فتحتـه، الرجل فـي مكانـه تحركت نحوه. كان الأستاذ وقد جفت الحياة في كيانـه، ارتديت العباءة أمسكت بيده غادرنا المبنى.

أولاده كان نزيف دمه لا يعنيهم، فبحث عن اسم يضم تحت أحرفه ما لفظه زمن جريح.
أراد ربط الاسم بالواقع، تبسم عندما أصطدم بصره بالقمر الذي اكتمل، شعر بلدغه البرد، ألقى التحية على صاحب الوجه الذي أخذ يعتاده في مدخل المقهى.

المسجد

وقف عند فتحة الباب ، تنقلت نظراته بين إسفلت الشارع الذي تراكم عليه التراب ، وكوم المخلفات في الأرض المحاذية للمسجد الجديد المقابل لمنزله ، وقد تأخر افتتاحه بسبب عدم وفاء فاعل الخير الذي تبرع بوعده فأخذ أهالي الحي يساهمون في إنجاز ما تبقى .
مد أحدهم الكهرباء وساهم آخر بالماء وتوسط ثالث لدى شركة من أجل زفتت الممرات حول المسجد .
باب المسجد مفتوح وصبيان الحي يتراكضون للدخول ٠ تذكر أن جاره قال قبل يومين: سوف نصلي المغرب يوم الخميس بالمسجد أغلق الباب واتجه إلى المسجد ٠
عندما حاذى النوافذ سمع المصلين يقولون "آمين" ، مد الخطى ودخل٠ لحق الإمام راكعاً ، أكمل ما فاته من الصلاة٠ تلفت حوله كان المصلي الوحيد .

الرحـــلة

بعد ألف عام عاد، أخذ سيارة أجرة، يعرف أين تقيم أسرته، الشوارع تحمل أسماء جديدة، السائق غير عربي تفاهم معه من خلال الإنجليزية.
تذكر أنه سافر منذ عشرين عاما لإكمال دراسته الجامعية في مجال الطب، بين مقاعد المكتبة، وغرف وقاعات الجامعة ارتبط بها، أخذته إلى أسرتها تعرف على أمها ووالدها، أخذ يشجع النادي الرياضي الذي تشجعه.
ذات صباح عرف أنها حامل، شعر بالذنب وقرر الزواج منها ، أندغم في الدراسة حصل على الدكتوراه استقطبه مركز البحث العلمي في الجامعة ، جاء مولوده الثاني ثم الثالث .
تذكر أسرته عندما جاء وفد من الوطن لعقد اتفاقية علمية مع الجامعة، تحدث معهم بعربية خجلى زرعت في داخله هاجس زيارة أهله ، أخذ إجازة من العمل أوصلته زوجته إلى المطار .

توقفت سيارة الأجرة أمام بوابة لازالت كما هي، قرع الباب٠ لا أحد هناك، زاد في ضرب الباب٠ ترجل السائق أخذ يساعده ، جاء آخر من فم الشارع يركض، وقف بين الاثنين كان من جنسية السائق عرف أن الدار تحولت إلى مستودع، وأن صاحبها يقيم في نهاية الحي .
فتح الباب، كانت عاملة غير عربية عرفت اسمه، أخذت تنادي من بالداخل، خرج شاب عرف أنه شقيقه الأصغر من خلال شجه يعرف أسبابها في وجهه، تعانقا٠ أخذت أمه تبكي، جاء والده من محله التجاري غير مصدق، استعاد ذاكرته.
بعد أيام قرر العودة لإحضار زوجته وأولاده في مناسبة أخرى، وأن إجازته انتهت، ويخشى أن يفصل من عمله.
أخذه والده لمحله التجاري لإقناعه بالبقاء، في المساء كانت سيارة إسعاف تقف أمام الدار انطلقت وهو بداخلها إلى مستشفى الصحة النفسية بعد أن تشاجر مع الجميع لم يصدق الأطباء أنه يملك قدرته العقلية ، الإحباط طوقه من كل مكان .
أخذ يعيد ترتيب أفكاره، لا شيء يساعده على الخروج، تقرب إلى أحد العاملين بالمستشفى طلب منه إيصال رسالة كتبها لزوجته٠ البريد طال انتظاره وكرر المحاولة بعد شهر.
شعر بشيء يعتمل في داخله وهو يرى إدارة المستشفى والعاملين يتراكضون في جنبات المستشفى ، دس أحدهم في يده ورقة صغيرة ، ابتعد كانت رسالة من زوجته تشعره بأنها في عداد الوفد وسوف تدبر خروجه٠
بعد ثلاثة أيام كان خارج أسوار المستشفى في عربة الشركة التي تؤمن الأكل للمرضى مع عمال الشركة داخل صندوق السيارة وقد ارتدى ملابس الشركة حتى لا يمنع رجال الأمن خروجه.
أمام باب الشركة كانت تنتظره سيارة أحد موظفي سفارة بلدها وبداخلها زوجته٠ اندس في العربة٠ وفي منزل الموظف بدل ملابسه وحلق شعرة واستحم، أصدرت السفارة جوازا باسمه الجديد وأخذته السيارة مع زوجته إلى المطار .

مـــدى

بينما قال زوج الأم: جاءت إلينا تبحث عن صبي يخدمها أيام الصيف فكان ناصر الطفل المناسب.
قالت الأم: هي تملك العمارة التي نسكن أحد أدوارها الثلاثة تطل كل صيف برفقة والدتها وباقي عائلتها ولما غدت وحيدة خطفت ناصر برضا مني.
قالت: تجاوزت الأربعين أستاذة بالجامعة: أخذت ناصرا لأني وجدت فيه الحلم.
قال ناصر: لم يأخذ أحد رأيي سافرت معها في نهاية الصيف كنت أدرس في الثاني متوسط.
تسكن شقة واسعة في عمارة تمتلكها من أسرة ثرية مات جميع أفرادها، ورثت مع شقيقة لها تقيم في مدينة أخرى رصيداً نقدياً، اقتنت بجزء من رصيدها هذه العمارة.
جاءت الليلة الأولى صارخة. إذ أنها مارست واجبات الأم: دخلت الحمام معي وأخذت تدعك جسدي بالصابون ومواد أخرى.
ازدحمت الأشياء في غرفتي وكانت دراستي موفقة نجحت من الصف الثاني وعند نيلي المتوسطة، أقامت حفلا لابن أختها المتفوق في دراسته وجمعت بعض زميلاتها وأولادهن

- ١

بعد الحفل التعب دفعني إلى التمدد في فراشي بثيابي ودخلت هي الحمام. لا أدري هل نمت. كانت تقف على باب الغرفة.
دخلت الثانوية واخترت القسم العلمي، زادت مهامها العملية في الجامعة إذ تجعلها تتأخر فتقدم إلى مديرة المنزل الغداء، مع الوقت اعتدت إذا عدت من المدرسة النوم حتى إذا عادت نتغذى معا.
اجتزت المرحلة الأولى بنجاح ، والدتي توفيت وزوجها نسيني أخوتي يقابلونني بتحفظ فأنا أخوهم من الأم، شعرت بحزني كنت في غرفتها هي تراجع أوراقها خلف مكتبها، وأنا أرقد في فراشها بعد أن أنجزت كتابتها أندست في الفراش أنفاسها حولي كانت تحدق في سقف الغرفة. الأرض تميد بي إنها تبكي .
في الصباح تابعت استعدادي للخروج، لما عدت من المدرسة وجدتها قد أعدت الغداء في المساء أشرفت على استذكار واجباتي ، بعد المغرب خرجت عادت متأخرة كنت أجلس وحيداً أمام التلفاز .

- ٢

حصلت على الثانوية بتفوق أهلني لدخول الجامعة، استخرجت لي جواز سفر كما حصلت على مشهد بأني محرم بصفتي ابن أختها. حتى نسافر إلى الخارج.
..عرفت أنها حامل من زيارتها للأطباء تأخرنا في العودة حتى ولدت ، أخرجنا شهادة ميلاد للطفل بأسمى واسم امرأة أخرى لقاء أجر مالي. تم اعتماد في إصدار جواز سفر للوليد، في هذه الأثناء كانت تتصل بزميلاتها ومعارفها إنها عثرت على الطفل الذي تحلم به وتسعى لتبنيه .

التحقت بالجامعة ولما تخرجت سعت إلى زواجي من ابنة زميل لها وابتعاثي عن طريق الجامعة ، بعد عام على البعثة لحقت بي كانت في إجازة تفرغ علمي ، قدمت لي مفتاح خزنة تخصها في البنك الذي تتعامل معه ، ولما اطمأنت على ذلك عادت حمل الهاتف خبر وفاتها قطعت دراستي وعدت مع زوجتي ، جاءت شقيقتها وأقارب لأول مرة ألقاهم .

٣ -

الابن الذي كان في السادسة أدخلته قبل موتها مدرسة خاصة، يدور تائها بين الحضور.

تذكرت المفتاح فأسرعت إلى مبنى البنك ، كانت وثائقها المالية وغيرها داخل ملف رتبته بعناية تامة لشعورها بالموت • دونت مجموعة من أسهم تملكها في شركات مختلفة باسمي واسم زوجتي، كما تنازلت عن أرض في مخطط جديد عن طريق المحكمة لي وحولت ملكية العمارة باسم ابنها وتركت جزءا من تركتها لشقيقتها وباقي الورثة من الأقارب .

حاول بعض الأقارب الطعن في تصرفها، غير أن صحة الوثائق وتقدير الجامعة ومعارفها لدورها الحياتي والعملي أحبط كل محاولة، رفضت زوجتي احتضاني لابن السادسة فاعتذرت عن إكمال البعثة.

قال ناصر: وها أنا بعد عشرين عاماً مع ابني ندير مؤسسة علمية تحمل اسمها •

الشـــرى

تحقق الوهم، أبرزت شاشة الصراف الآلي عند سحبه خمسمائة ريال من حسابه أن رصيده عشرون مليون ريال هذا ما أكدته الورقة التي تكشف الحساب بعد أن كرر تدقيق أرقامها، وهو يجلس في سيارته يتابع حركة الشارع بنظراته الزائغة.

في التاسعة من صباح اليوم الثالث كان يقف في طابور يتكون أمام شبابيك الصرافين جاء دوره بعد نصف ساعة خرج من غرفة مدير البنك يحتضن كيس من القماش بداخله ثمانية ملايين ريال ، اتجه إلى بنك آخر وفتح حساب جديد أودع فيه ستة ملايين ريال دس المليونين ريال الباقية في مخابئ داخل السيارة ، في المساء أنهى صفقة شراء منزل بمساحة أكبر في موقع أفضل ، خلال أيام أثثه بفرش جديد ثم انتقل إليه بأسرته ، لم يتغير سلوكه ولم ينقطع عن عمله ولم يلاحظ زملاء العمل أي تغير في تصرفاته.

بعد شهر سحب ثلاثة ملايين ريال وسافر إلى مدينته القديمة الطائف، زوجته التي لا يخفي عنها أبسط أموره أوهمها أنه في مهمة رسمية، قام بشراء منزل جديد ثم أخذ غرفة في أحد الفنادق وأخلد للنوم.

في مساء اليوم الثاني أخرج من بين أوراقه قصاصة تحمل أرقام هواتف أصدقاء قدماء بقدم نشوء المدينة جاء صوت بدريه لم تعرفه ، سعت إليه منذ عام في حل مشكلة مالية فلم يتمكن ، أستمع حتى أنهت عتابها أخبرها أنه جاء لمساعدتها، الهاتف الأخر لا يعرف صاحبته سعت إليه عن طريق أحد الأصدقاء لمساعدتها في حل مشكل حدث في العمل تردد في استدعائها جاء الصوت مختلفا، عرف أن الهاتف لأخرى بادلها الحديث طلب منها إبلاغ سامية بأهمية محادثته.

أخلد للنوم حتى سمع أذان العشاء يرتفع الظلام يخيم على الغرفة ، أرقام متعددة على هاتفه الجوال كانت زوجته تبحث عنه وابنه يحتاج نقود لتأمين مراجع للجامعة وابنته المتزوجة تطمئن عليه ، وسامية سألته عن أمره بعد أن انتهى أشكالها بمجازاتها على خطأ لم ترتكبه.

اتجه إلى وسط المدينة حيث أقام ، تجول دخل المقهى الذي أعتاد ومع صوت الشيشة ورائحة الجراك أخذت الصور تتحرك.

في التاسعة صباحا كان يعانق أحد الأصدقاء في مقر عمله القديم، ذكره بمشكلة سامية طلب ملفها ورفض مساعدته حتى يلبي دعوته للعشاء، وافق بشرط إعادة الاعتبار لها حتى تتجاوز شماتة زميلاتها.

بعد العشاء أخذ صورة من قرار إلغاء الإجراء السابق بحق سامية هاتفها طلب منها مقابلته قبل ذهابها للعمل اعتذرت بأنها ترافق إخوتها أثناء خروجهم للمدارس أقنعها بالتأخر ، انتظرته أمام متجر لا يبعد كثيرا عن مسكنها ، بادرته بخوفها من توبيخ مديرتها ، أخذ يضحك بعد تجاوز الحي نزع الغطاء عن وجهها .

انزوت في المقعد حزنت من تصرفه سهمت بنظرها بعيدا ، سألها عن مقر عملها أجابت وهي ترصد الطريق ، دس في كفها الرابضة على فخذها صورة قرار عودتها لعملها السابق لم تلتفت لحركته ، أوقف العربة أصر على أن تقرأ الورقة ،صرخت من المفاجأة أخذت تقبله .

نبهه صوت بدريه أخبرته بأخذ ورقة لمراجعة المركز الطبي ، لمحته جاءت مرتبكة غطاء وجهها الشفاف يشف عن جمالها ، بعد أن استقرت بجواره سألها عن أحوالها جاءت ردودها مقتضبة حدثته عن زميلاتها في العمل ومرض والدها الأخير ، تجاوزت الأربعين ولم تتزوج رنة صوتها الشدية فيها حزن .

أوقف العربة في ظل شجرة وسط شارع حفت جوانبه بمحلات تجارية ، سحب كفها المندسة بين ثنايا العباءة وطوق معصمها بأسورة من الذهب رفعت يدها إلى مستوى نظرها لمح ابتسامه صغيره كست وجهها.

دخل إحدى غرف مقاهي طريق الشمال ، طلب من النادل شيشة وبراد شاي أخذت تتحدث عن أمراضها التي لم يكتشفها الأطباء ، وعن معاناة والدها من تصرفات إخوانها ومع الحديث عرف أنها تدفعه لمضاجعتها تجاوز القلق بضمها ضاحكا أخذت تشاركه الضحك وانهارت مقاومتها تمدد الاثنان على فراش الغرفة .

في الفندق تناول الغداء مع صوت زوجته، في الثامنة كان يتناول العشاء مع سامية التي دعته بحضور زميلة لها إلى مطعم للأكلات الأجنبية، من خلال الفندق حجز على رحلة العاشرة ليلا،

جاء صوت بدريه تخبره بسفر والدها للعلاج ومرافقة شقيقها الأكبر أخذت تشرح كيف حول إلى المستشفى في العاصمة ورفضت أمها السفر معه، طلب منها محادثته عند العاشرة صباحا لتواجده مع أصدقاء في عشاء خاص. جاء صوت زوجته تشعره بأن الهاتف لم يتوقف عن الرنين. يبحثون عنه، تخيل ذلك وهو ممد في الفراش بعد عشاء صاخب مع ثلة من الأصدقاء.

التاسعة صباحا نهض من النوم، وهو يتناول الإفطار في مطعم الفندق جاء صوت بدرية، طلبت منه أن يحدثها عن سهرته، أخذت تحاصره بالأسئلة غير أنه تركها قلقة بضحكه من سذاجتها. خرج من الفندق تجول في الشوارع ، ومع صلاة الظهر سلم حارس مقر بدرية مغلف بداخله نقود وقلادة ذهبية تحمل تاريخ اليوم والحرف الأول من اسمها ، جاء صوتها مرتبكا دخل أحد المقاهي خارج المدينة ، طلب شيشة ومياه غازية .

في التاسعة ليلا كان في بهو الفندق سلمه موظف الاستقبال بطاقة صعود الطائرة تناول فنجان قهوة منتظرا تسديد تكاليف إقامته والسائق الذي يوصله للمطار في الواحدة صباحا دخل المنزل ، الهدوء يخيم على الجميع ، دخل في الفراش تنبهت زوجته قالت بصوت خدر وصلت، أعطته ظهرها وواصلت النوم.

(الشرى : داء يأخذ في الجلد أحمر كهيئة الدراهم)
والشرى :الحنظل

الـذئبـة

في تحركي بين وقت وآخر بحثا عن ابنتي وأختي الصغرى ٠ أجدها أمامي تركز بصرها علي٠ وإذا عرفت أني لمحتها حولت نظرها مبتسمة.
سألت مرافقتي في الحفل عنها ، أنكرت معرفتها . فأخذتها إلى حيث تجلس فلم نعثر عليها ، كان مقعدها فارغ.
انتهى حفل الزواج . وتقاطرت النساء خارجات من قاعة الأفراح على نداء الرجال عند البوابة، جاء صوت شقيقي، غادرنا الحفل، أوصلنا مرافقتي لدارها.
سيارة زوجي واقفة، فتحت باب الشقة، كان نائما في الفراش وطفلي الصغير بجواره. بعد أيام وأنا في عيادة الأسنان بالمستشفى العام، وجدتها، جلست بجوارها، لم نتبادل الحديث، كان دوري يسبقها، لما خرجت من عند الطبيب لم أجدها، كان مكانها فارغا.
زوجي داخل سيارته في مواقف المستشفى يتصفح جريدة، لم نتبادل الحديث أوصلني للدار ثم عاد لعمله، ابني نائم وكذلك طفلتي، عاملة المنزل في المطبخ تجهز متطلبات الغداء.
في البارحة أنا وزوجي وبنتي وابني، كنا نتسوق في المركز التجاري. لمحتها تدفع أمامها عربة التسوق، أخذت أدقق في تفاصيل جسدها ٠ إنها أنا ثوبها، عباءتها، وغطاء الوجه الشفاف ٠
شعرت برعشة تسري في جسمي٠ أمسكت بيد ابنتي وعدت للسيارة ، جاء زوجي يدفع عربة التسوق ، كانت تسير بجواره حاملة ابني ، فتح مخزن السيارة الخلفي، ثم فتح باب المقعد الخلفي ، تعلق ابني برقبتي من الخلف ، ابنتي نزلت تساعد والدها في ترتيب المشتريات ٠
دخل زوجي العربة، مد نحوي ورقة حساب ما تم شراؤه وهو يستوي جالسا خلف مقود العربة، لم أرفع كفي لأخذها كما هي عادتي في تدقيق فواتير الشراء.
ركز بصره علي، دس الفاتورة في كفي الرابض على فخذي ٠
شعرت بحرارته، ابنتي تجادل أخاها على علبة حلوى رفض اقتسامها معها٠ تحركت العربة. زوجي يتحدث ، تجاوزنا عدد من إشارات الطريق .
ونحن ننعطف يمنة حتى ندخل شارعنا تنبهت من خواطري، زوجي يهم بإغلاق راديو العربة ٠ ابني وجهه ملطخ بالحلوى ٠ ابنتي منزوية في ركن المقعد وقد حسر الثوب عن فخذها٠
فتحت أبواب السيارة الأربعة ٠ دخلت الدار وخلفي الجميع ٠ أسرعت عاملة المنزل إلى العربة لإنزال ما تسوقنا٠
وقفت أمام مرآة خزنة الملابس أبدل ثوبي ٠ كانت تقف بجواري ضاحكة ، حاولت تقليد ضحكتها فنبتت لي أنياب ذئبة٠ غطيت وجهي بكفي وأخذت أبكي٠

العـــون

كان علي أن اركض حتى لا يتوقـف نبض الحياة في شراييـنهم٠ وفي الصباح أسعى إلى زرع بسمة فرح داخل أسرتي الصغيرة ٠
قالت شقيقتي: إن أبن خالتي بثوبه القصير وذقنه المشذبة وعباءته الذهبية الفاخرة، حصل على سيارة فارهة، ونصف مليون ريال، عـون لتأثيث منزل أبنه المتزوج حديثا٠
قال أبني المريض، ونـحن في طريقنا للدار، التي مازالت مرهونـة في دين بسبب حالته الصحية، اليوم سوف تمطر السماء٠ حدقت فيه مشدوها ولم أعلق٠ في التاسعة ليلا وهو يقرأ أخبار نـاديه الرياضي في صحيفة صفراء لفظ أنفاسه، بينما كانت السماء تمطر في الخارج ٠

الخـادمـة

سرى قلق وحزن أسود في أعماقهن وهن يتناثرا في مدينة جديدة للعمل ، كان حزنـها أشد وطاءه من معاملة أحد رجال الشرطة ، وهو يقارن بينـها وبين صورتـها في الجواز مركزا نظرة عداء ، دفعتها للانزواء خلف أخرى ٠
جاء سيدها كانت الثالثة من ثلاث تأخر استلامهن ودعت الاثنتان في العربة وجدت سيدتها تجلس في المقعد الخلفي، التقت نظرتـها الوجلة بعيون السائق في مرآة السيارة ٠

داخل المنزل وبعد أن تخلصت المرأة من ملابسها السوداء، أخذت تتفحصها جاء من أبواب الغرف، طفل في الرابعة وبنتان تكبرانه، تعلق الطفل بها شع في داخلها فرح ٠

الصمت

تداعت الصور لمحه في باب المسجد يمسح دمعه بطرف غترته وقد غطى وجهه بطرف عباءته المذهبة، وفجاءة أطلت في الثانية عشر من عمرها، ريانة الجسد التصقت به عانقته، كفه تلامس مؤخرتها٠
تنبه من النوم أخذ يستعيد حلمه، يعرف الرجل الذي يبكي الظلام يخيم على غرفة النوم، لا يدري كم هي الساعة، زوجته مازالت أمام التلفزيون، صوتها يصله تتحدث في الهاتف، اغمض عينيه عاد للنوم ٠
جاءت والدته التي توفت منذ عشر سنوات توسد فخذها نور بهي يملأ الغرفة، أصابعها تعبث بشعره لامست أناملها أثر ورم صغير في مؤخرة رأسه، أخذت تتحسسه، غفي، سمعها تتكلم كانت الطفلة تجلس أمامه تصب القهوة لوالدته ٠
فتح باب غرفة النوم، تنبه شعر بغصة في حلقه، أخذ يغالب الاختناق، تذكر أن والدته كانت تتحدث، لكن صوتها كان غائبا وتذكر أن الطفلة لم تصب له فنجان قهوة٠
أسرع إلى براد الماء، أخذ يقاوم اختناقه بالماء المثلج، جاءت زوجته، أخذت من يده كأس الماء، سحبته إلى غرفة النوم وتركت الباب مفتوحا ٠

الأرض

توفرت وسائل النهاية، حيث لم يبقى للسلام باب، مع انتهاء العام الثاني على كف يدي عن العمل، وإيقاف راتبي بعد خروجي من السجن الذي دخلته اثر دعوى كيدية تضامن أطرافها، حتى تردعني عن المطالبة بحقوق أسرتي، الذي استباحها ثلة من التجار، فكان بناء المدرسة على أرض تم الاستيلاء عليها غيلة ٠

أخذت زوجتي معي، وتركت طفلي الذي ولد وأنا في السجن عند والدتي الأرملة، واتجهنا إلى مبنى المدرسة ٠

كان أذان العشاء يرتفع، وبعض المارة في الشارع، تمهلت حتى وازنت الباب المغلق وزدت الضغط على دواسة البنزين جمحت السيارة، توسطنا حجرات المدرسة التي بنيت على شكل حرف (يو) الإنجليزي ٠

تداخلت أصابع كفي اليمنى مع كف زوجتي اليسرى، شملنا صمت، أشعلت قداحة السجائر ٠

رغبه

جاءت الوظيفة خارج مدينتنا، في قرية تابعه لمدينة أخرى اتفقنا على السكنى معا ٠
في مساء يوم التسوق، شيء شدنا في سائق سيارة الأجرة الذي أوصلنا إلى المنزل ٠
طلبت منه التي ساعدته على ترتيب مشترياتنا في الممر أن يشاركنا العشاء ٠

ورده

تنفي إدارتنا ما ذكره السيد م ٠ ص بأنه دفع قيمة عشاء مستشار الإدارة وحرمه وشقيقته الآنسة ورده، التي أصرت أن تمضي بقية الليلة الماضية برفقته، حيث عرف المستشار بسفر زوجته للاطمئنان على صحة والدتها ٠
سعادة المستشار ذو خبرة وسيرة حسنه، تعاقد مع الإدارة منذ عشرين سنه، قدم فيها مقترحات وأراء، طور أداء الإدارة، التي حصلت على شهادة (الأيزوا) العالمية٠



تقطعت أنفاسه والعرق يتصبب بغزارة، كانت هي٠ أخذ يركض، شاهده أحدهم، لحق به، وتبعه الآخرون٠ فتح عينيه، نـهض من الفراش، وجدها في غرفة الأطفال ٠

غفــوة

تمدد في مقعده أمام شاشة التلفزيون، يتابع أحداث مباراة بين فريق النادي الذي يميل إليه وفريق ناد أخر ٠

فريقه مهزوم بهدف جاء في الدقيقة السابعة، سيطرت عليه لحظة خدر فنام ٠

شع نور من سقف المنزل، طار كما يحلق النورس، حوله صوت أطفاله الثلاثة وزوجه، أدرك أنه وصل، دفع بوابة أمامه ودخل، فانهالت عليه عيارات نارية من كل مكان، تنبه على صراخ أطفاله وزوجه ٠

كان فريق ناديه المفضل يسجل هدفه الثاني، تلفت حوله لم يكن هناك أحد ٠

الـــرابع

نجلس على حافة الطريق المؤدي إلى الثما مه ، توقفت عربة وأطل قائدها ، سلم ثم قال أكمل الرابع ٠
لم ينتظر ردنا، ترجل وجلس، أخرج من جيبه ورق اللعب ٠

الرهــان

أصر على الاعتذار ، حذره مرافقه سوف تدمرك ، لم يهتم وقف على بعد من الخيمة التي تضمها مع باقي أسرتها في منتزه والعاب الشعلة الصحراوي جاء رجل عجوز يسأله وأخر شاب ، قال ما حدث رهان مراهقين أثناء مرورنا أمام محل بيع العاب وتحف ، بالمصادفة هي الضحية التصقت بمؤخرتها وكأني أسعى للاقتراب من البائع ، أخرجت رأسها من باب الخيمة جاءت منفعلة ولما سمعت اعتذاره عادت .

قالت لزميلاتها في حافلة العمل ، كان لا يدفع عن نفسه أنهلت عليه صفعا وركلا وخلصنه الواقفات للتسوق ، تداخلت واحدة تجلس في المقعد الخلفي انه أخي ، خيم صمت حذر على الحافلة التي وصلت مقر العمل وتناثرن بين الممرات والمكاتب .

إيلاف

لما اكتشف إيلاف إن الحزن الذي مزق أيامه الأخيرة، جاء بعد إدراكه أنه لا يعرف هدفه، فقد كان يسير مقتادا من والد يدفعه للنجاح ويوفر له ما يريد وأم سريعة الغضب دائما صوتها مرتفع ٠

جلس هذا الصباح على رصيف الطريق العام الذي اعتاد وبجواره مذكراته الجامعية، وأقبلت شاحنة انتصب واقفا ولما اقتربت ألقى جسده الذي لا يملك بين عجلاتها ٠ &

البياض

تداخلت الأصوات في المذياع، حرك المؤشر، لم يهتم بالسيارة التي حاذته من أليمين، عند التوقف بسبب الضوء الأحمر ·

التقط وهو يحرك مؤشر المذياع صوتا نسائيا يتحدث عبر هاتف شعر بالملل من الزحام، فأخذ يمص إبهام يده اليمنى·

قالت المتحدثة في الهاتف (أما زلت تمص إصبعك كالرضع) مرت العبارة بدون أثر، سوى أنها عاودت ذلك وهي تنبهه (أنت ··أنت) تلفت حوله، كل العربات التي حوله ذات زجاج مجلل بالسواد، تغير لون الإشارة، تحرك ·

عاد التشويش واختلط أصوات الإذاعات أغلق المذياع، الإشارات الخضراء تتوالى أوقفه حاجز شرطه، أخرج هويته ورخصة القيادة ·

طلب منه رجل أمن مغادرة العربة، عليه أن يقطع الطريق المز فت حتى يناقش رجال الشرطة، المكومين حول عرباتهم في الجانب الأخر من الطريق ·

عند خطوته الأولى انطلقت عربة تحمل أرقاما أجنبية، مرقت كالسهم فوق جسده لطخ الدم الإسفلت الأسود ·

زرع إبهامه في فمه أطل وجه أمه باسما، هم بإخراج إصبعه من فمه غير أن انطفاء أنفاسه، جعل صورته التي أخذتها أجهزت الشرطة، بفم مفتوح وإبهام معلق في فضاء ابيض، لم يستطع محللي الصورة معرفة سببه ·

الطــائف

هبت عاصفة قوية محملة برمال الصحراء، وأشياء انفصلت عن جذورها، ففقدت الرؤية أخذت تتلمس ما حولها، التصق بها أنستها حرارة العناق قلق اللحظة ٠

غادرت المكان تتحسس طريقها إلى القافلة، دخلت الخيمة التي تضم أسرتها شاركتهم الحديث، ولم تلمس فيهم أثر العاصفة التي حاصرتها في الجبل ٠

على مشارف الطائف توقفت القافلة مرة أخرى، جلست مع مجموعة من النساء على مبعدة، خاطر دفعها للوقوف وأمام صمت مرافقاتها أنداحت في ظلمة ما بعد الغروب، خطواتها تركض بين أشجار كثة، أنفاسه تملأ المكان ٠

تنبهت على هرج مرافقاتها وهن يتدافعن، استجابة لنداء رجال القافلة، لتناول طعام العشاء ٠

انفجار

في العاشرة ليلا والمركز التجاري يعج بالمرتادين، دخل يحمل علبة مياه غازيه وجلس على أحد المقاعد ٠

تبسم لطفل في الرابعة وقدم له علبة المياه، تابع الطفل حتى عاد لمجلسه بين نسوة حولهن أكياس المشتريات ٠

غادر مكانه وركب سيارة تنتظره أمام البوابة رقم واحد بعد تجاوز إشارة المرور المحاذية للسوق دوى انفجار ٠ &

اصطفاء

عدد موظفي المؤسسة التي يقودها يتجاوز آلف وخمسمائة موظف وزع صلاحياته الإدارية والمالية، بين مد راء عاميين ورؤساء إدارات وأبقى النواحي القانونية تحت إشرافه، ومع كل هذه المشاركة كان الأمر يعود إليه، من خلال إدارة دائرية المسار
حريص على بيانات الإحصاء فكانت الإدارات تدفع المراجع إلى تقديم عشرة استرحامات حتى يصرف حقوق مالية، تعاقدت المؤسسة معه لتنفيذها لمشاريع في جزر واق ألواق، أو ربط البحار السبعة بخط حديدي ٠
ذات مساء والقائد يتناول طعام العشاء مع ثلة من الأصدقاء، لمح محاورة في برنامج تلفزيوني، تقارب اسمها مع اسم أحد حضور العشاء فكان أن اقترح تكليفها بعمل بحث، عن جدوى أسماك المياه الحلوة، تناسب المشروع مع تقاسيم وجهها، الذي يلفه غطاء أسود تبدى كدائرة بيضا ويه ناصعة ٠
أتصل بها مدير مكتبه وغدا حلقة الوصل حتى كان لقاء لشرح نقاط الدراسة، تولى مدير المكتب فيه دور الحارس ونادل العشاء، في المقر الصيفي لمكتب المؤسسة ٠
استطاعت بوعيها العلمي أن تكون مستشار غير متفرغ، لتكتشف أن جميع موظفي المكتب الخاص، ينتمون لعائلة المدير وثلاثة من البدو، دورهم الظاهر / سائق / وحامل حقيبة / ومنسق مواعيد ٠
مارست حقوقها المشروعة، في اصطفاء جانب اكتشفته بعد عشرين عام من الدراسة العلمية، وعشر سنوات من الوظيفة فقدت فيها زوجها فعادت إلى غرفتها في منزل الأسرة ٠
تهتم بابنها وتنمي أبحاثها، فكان تجاوز الآخرين المحطة التي حصرت طموحها فيها وإذا بها وحيده، جاء الاصطفاء لينقلها من وهم بدون معالم إلى حقيقة الواقع،
حصلت على أرض شيدت عليها مسكن، وساهمت في مخطط عمراني خارج مدينة الرياض حددت ربحها ومساهمتها بمجموعة من قطع الأراضي، التي سورتها لتكون مزرعة واستراحة ٠

خزنة غرفة نومها تحفظ وثائق هامة تمنحها الأمان، الذي لم تفقده حتى وهي ترعى والدتها بعد وفات والدها ورعاية ابنها، الذي وجد في جدته الحضن الدافئ الذي فقده عندها ٠
وهي في طريقها لمقر عملها، أخذت تقلب جريدتها التي تنشر مقالاتها ودراساتها كانت الصفحة الخامسة، تتحدث عن تسمم غذائي في عدد من المواقع، سياق الخبر يتجه إلى المؤسسة التي ترتبط معها بعقد عمل مستشار غير متفرغ ٠
طوت الجريدة والسائق يتوقف أمام بوابة الكلية التي تعمل بها، ترجلت تركت الجريدة على مقعد السيارة ٠

فــريج

لم أفكر في صورة المستقبل، وما سوف تكون عليه الأيام، فقط أحيا اللحظة التي تأتي من خلال معاش يومي معتاد، لا يحمل المفاجأة من عمل في دائرة حكومية ٠

تأخرت في مغادرة معهد الإدارة العامة فرع جده، الذي أتدرب فيه منذ عشرة أيام، حتى يكون وصولي للطائف متناسب مع خروجها من المدرسة٠

اعتدت هذا الأمر وكانت سمر تعرف نظام مواعيدنا فلا تحرص على مرافقتها في العودة للمنزل، إذا كان حضوري ٠

بين كوم العربات المنتظرة تداخلت عربتي، الوقت بطيء، ومعلمات وطالبات الثانوية يدلقن من بوابة المدرسة الموارب٠

جاءت كما هي تعانقت أصابعنا، أخذت طريقي إلى الخروج من آتون الموقف، لم نتبادل الحديث حتى غادرنا المكان٠

أمام باب المنزل ترجلت ، على أن نلتقي بعد غروب الشمس ، وفي المساء وأنا في مكتبي بمؤسسة العقار التجاري التي فتحتها باسم زوجتي حتى أوفر موردا أخر، جاء صوتها معتذرا ، فقد جاءت شقيقتها المقيمة في الظهران مع أطفالها وزوجها لقضاء الإجازة التي حصل عليها ، وعلي أن أحضر في العاشرة ليلا ٠

تأخرت في المكتب ، وما أن كانت العاشرة ليلا ، حتى كنت أترجل من عربتي في شارع مجاور ، اقتربت من باب المنزل الموارب ، دخلت لم يكن هناك أحد وسمعت حركة في رأس السلم ، العتمة تحيط بالمكان ، صوت مختلف تكلم توقفت عن الحركة ، هبطت الدرجات واتضحت قسمات القادمة ، كانت سمر التي تعرف أمرنا ، اعتذرت بأن ريم ذهبت مع شقيقتهما الكبرى للمستشفى لمعالجة أحد الأطفال، أنفاسها تلفحني الموقف يرفض التنازل ضم بيت الدرج عبثنا ٠

_ ريم _

انتهت مدة التدريب، وانتهى العام الدراسي وظهرت نتيجة الاختبار، كانت ريم ساقطة في مادة الأحياء، أخذت تبكي عبر الهاتف ولم تنسى فشلها والحديث عنه في كل لقاء، حتى توفر لها معلم يساعدها على استذكار درسها ومراجعة معلوماتها ٠

تباعدت مواعيدنا، وسافرت في رحلة عمل لمدة شهر إلى القاهرة، عضوا في لجنة تعاقد مع تخصصات هندسية للعمل في عدة إدارات تابعة للوزارة التي اعمل في إحدى إداراتها مدير مالي ٠

في رحلتي تزوجت ريم متخلية عن طموحها الدراسي، مددت مهمة العمل شهر أخر حتى أنجز ملفات الأشخاص المختارين وتأمين سفرهم ٠

لما عدت تداخل حزن عميق في تفكيري لم أجد له تفسير، بعد أشهر جاء صوت ريم يطلب مساعدة والدتها في استخراج صك شرعي توكل فيه أحد المحاميين متابعة حقوقها لدى وزارة المالية عن أرض استولى عليها إحدى قطاعات الدولة، كان اللقاء في باحة المحكمة ٠

مترهلة الجسم تحمل مسحة جمال وشبق امرأة، ركزت نظرها علي وهي تتبع إشارة فتى يسير بجوارها، وخلفهم رجل أسمر اللون ممتلئ الجسم ملابسه بيضاء ناصعة ٠

- فرج -

بعد أيام جاء الرجل الأسمر يبحث عن وظيفة سائق، عرفت أنه من خلال أخته التي تقيم بجوارهم، يستفيد أفراد العائلة من خدمته لامتلاكه سيارة أجره الواسطة ريم تذكرت لقاء العتمة، سألته عن سمر عرفت أنه يوصلها للمدرسة وكذلك يوصل عبد العزيز الأخ الأصغر الذي شاهدته في المحكمة، أخذت أوراقه ورقم هاتفه، طلبت منه المراجعة بعد عشرة أيام، كان مستعجلا التوظيف، جاء صوت ريم التي أنجبت منذ أيام ولدين توم يرجوني مساعدته ٠

- سمر -

اتصلت بفرج الذي تردد في قبول عمل مراسل في مكتب فرعي للإدارة خارج الطائف، قرن قبوله بوصف المؤقت حتى لا يبتعد عن أخته الأرملة نوره، كان يكذب عرفت ذلك من سمر ٠

- نوره -

أقامت نوره عشاء خاص لزوجها حظره المدير العام، الذي عانق ابنتها الوحيدة ذات السنوات العشر، وعرفت أن زوج نوره يعمل في قصر أحد الأمراء بالرياض وان أقامتها في الطائف لمجاورة والدتها المريضة ٠

- عبد العزيز -

قام فرج بدعوتي ومجموعه من الزملاء، لحفل عشاء بمناسبة نجاح عبد العزيز من الثانوية العامة، ريم التي اختفى أثرها حضرت لتشارك عزاء والدها الذي مات فجاءه تعرفت على زوجها أثناء العزاء، بعد أيام علمت من فرج أن والد ريم، أقام مصنعا للخمر في إحدى غرف الورشة التي يشرف عليها لصيانة معدات وسيارات المستشفى الذي يعمل به، يشاركه في ذلك مدير المشفى الذي أوقف عن العمل بسبب عجز مالي وسندات مزوره عثر عليها في خزنة المكتب ٠

- • • • • • -

طلبت ريم إيصال سمر إلى جده حتى تسافر إلى لندن ملتحقة بزوجها

جاء جلوسها في المقعد الخلفي، وطفل في السادسة بجواري يرافقها الطريق، وأنا أزود السيارة بالوقود انتقلت للمقعد المجاور، ونحن نلج جده اخترت طريق الكورنيش واستأجرت غرفه في فندق يطل على البحر تمددت في الفراش، الطفل خرج إلى باحة الألعاب بعد تناول العشاء في العاشرة ليلا كنا نقف أمام بوابة منزل محيطه سياج من الأشجار ٠

عدت للغرفة في الفندق، نمت بملابسي رائحة سمر تملا المكان، تحت المخدة قارورة عطرها ورباط شعر أبيض، في الصباح وأنا أستعد للعودة في أرضية السيارة مظروفا بداخله عدد من صورها العائلية، كان فيها زوجها الذي اكتشفت أني اعرفه وباقي أخوتها لم أجد ريم ولم أجد والدها، تناولت الغداء في مطعم الفندق٠&

الغـانيـة

تبذلت الحكايات ونفق الصدق، زمن جد لا يحمل هوية تراقص فيه أشباح تريد سيادة من ورق، أوراق الأشجار الجافة تتكوم فوق أرصفة منازل حي قروا الفارة المهجورة بعد أن تناثر باقي أفراد أصحابها .
وسكن ملاحقها اسر وافده لا يوقف ممارساتها أحد، وان استفاد بعض أبناء الطائف من خدماتها، ولذة مسروقة تمارس في غياب الرقيب .
قالت: وهي تحدث الصمت، ولدت في منزل من منازل قروا الفارعة، والدي الأسمر أحد خدم أمير عجوز أتخذ الطائف مصيفا، رشيقة يلاحقني الجميع بنظراتهم وهمسهم، مكانة أبى الخاصة تفرض وجودي في أنحاء المنزل الذي نسكن أحد ملاحقه، وأمي السوداء إحدى عبيد القصر.
تفتح جسدي الأسمر بعيدا عن عيون أمي واهتمام والدي، على يد سائق هندي، مارس طقوسه معي عندما ينشغل الجميع عنا.
في صباح يوم خميس وأنا في الثانية عشر، طلبت مني إحدى سيدات المنزل إحضار صندوق حليها من مخدعها، كان الأمير في الفراش تنبه لوجودي، فجر طفولتي وبهرته تفاصيل جسدي.
علمت أمي وهمست بذلك في إذن والدي الذي لا يدري ماذا يفعل، وسافر الجميع لم يبقى سوانا وجاء أبي متجللا بعد قلق؛ يحمل تنازل الأمير عن المنزل لوالدي، وصك عتق والدتي، وأمر بموجبه تزوجت أحد حاشية الأمير الذي أقام في أسبانيا لظروفه الصحية، وسافرت إلى زوجي بعد عشر سنوات عدت لرعاية أمي بعد وفات والدي .
لم يعد المنزل كما كان، فقد تداعى الترف مارست حقي في إعادة الحياة لجناته رعيت دراسة أختي، وعرفني أخي على أسرة فتى يمني اعتدت مشاهدته كان أخي يرعى طلبات أسرة الفتى، من خلال توثق علاقته بالأب الذي يتعاطى المخدرات .
صديق آخى جاء باكيا عصر يوم قبضت فيه الشرطة على والده، احتضنته مواسيه أنفاسه تلفح صدري سكن روعه، قالت أمي بحده، الرجل يستحق السجن جاء أخي وخرج الاثنان .
مات الأمير وتفرقت حاشيته، عاد زوجي وطلب مني السفر معه إلى الرياض للعمل في منزل اكبر أبناء الأمير، كان منزلنا في طرف الحي الذي يتوسطه قصر الأمير.
احتفظ برشاقة ورخامة في الصوت ومرح ماجن، ذات ليلة قالت زوجة الأمير وأنا أساعدها على تبديل ملابسها بعد حفل موسيقي في القصر غنيت فيه مع الفرقة أني راقصة ماهرة
زوجي استثمر إعجاب الجميع بي لمنافع خاصة، أطفالي تنمو مطالبهم ويتدرجون في التعليم بنجاح مع إهمال متزايد وجهل من والدهم بعد حصول الأمير الصغير على الثانوية سافر لأمريكا للدراسة ولحق به ابني.
ذات ليلة طرق أحدهم بابنا، صوته أخافني وزرع في جسدي رعشة الطفولة، كان السائق الهندي عرفت انه حصل على الجنسية وأصبح صاحب شركة مقاولات هامة، جاء من الطائف يسأل عن رسالة بريدية تأخر وصولها من مكتب الأمير .
بعد هذه الزيارة، وافق زوجي على عودتنا للطائف والسكن مع أسرتي، أسرة اليماني صديق شقيقي بينهم فتاة عانس تحرص إذا تأخرت والدتها في الجلوس عندنا على الرقاد في فراشي ولبس منامتي .

بعد حفل زواج أقيم في صالة أفراح أحيته فرقتي النسائية التي شكلتها، أخذني قائد السيارة التي ركبت إلى فناء منزل مهجور في قروا، كان الحارس ينتظرنا داخلي ارتبك والسائق يأمرني بالنزول جرني إلى غرفة معتمة، اخذ يلعق رقبتي استسلمت لشبقه الحارس الأسمر الممتلئ الجسم يقف بالباب مضطربا؛ أخذت أضحك دفع السائق والتحم بي رائحته تزكم انفي ووجدت معه لذة فقدتها، في الثامنة صباحا كنت أدخل الدار الهاجعة.
حول مائدة الغداء تبادلنا الحديث المعتاد، رن الهاتف بادل أخي المتحدث الحوار بصمت، عاد وجلس بجواري قال بحزن أن زوجي الذي يرقد في المستشفى مات.
وجدت في أسرة (بنقاليين) شيء من رغبتي في زراعة فناء المنزل والعناية بالنظافة فتحت لها أبواب الجناح الذي ولدت فيه .
أختي الجامعية تزوجت سائق السيارة التي توصلها مع زميلاتها للعمل وهجرت المنزل صحة أمي تدهورت أخي الذي يشاركني المنزل رزق بولد من زوجته المصرية.
تذكرت السائق الهندي، أخذت سيارة أجره حتى لا يلاحظ أحد قصدي، كان منزله مغلقا وعلى الجدار إعلان للبيع .

الشيشة

تباينت الصور متهالكة فالأشياء المبهجة ظلت طريقها وغدا يومي بما فيه من وسائل لا يرتبط بي، قال مشرف برنامج التدريب الذي دخل علينا في أخر محاضرة إن علينا مراجعة العلاقات العامة في المركز حتى نستلم سندات اشتراكنا في البرنامج، فتوزعنا في جنيات المطعم لتناول الوجبة الأخيرة، تعددت الدوائر حول الطاولات دائرتي تناثر أفرادها بسرعة أستمريت جالسا.

غادرت فناء مركز التدريب إلى مقر السكن حيث تقبع سيارتي الوانيت، التي جاءت منذ أيام مع مبلغ نقدي كدفعة أولى من ثمن أرض بعتها وأنا أستعد لبرنامج التدريب الذي رشحني له رئيس القسم الذي اعمل فيه.

مع ارتفاع آذان المغرب غادرت السكن، توقفت عند عدد من إشارات السير، وأمام مطعم شعبي اعتدت تناول العشاء فيه، جاء سألني عن موقف السيارات المغادرة للطائف، قدم من مصر للعمل معلما في مدرسة لتحفيظ القرآن، رحب بدعوتي مشاركة الطريق ودعوته لمشاركتي العشاء، مشى معي حتى السيارة، دخل عمارة متعددة الطوابق وخرج حاملا حقيبة وبجواره امرأة، دخلت وجلس بجوار الباب، عرفت إنها شقيقته وتعمل ممرضة في مستشفى خاص بالطائف منذ سنوات عشر.

لم ألاحظ إني أثناء تغيير سرعة السيارة كانت كفي تلامس جسدها، لما دخلنا الطائف ذكرت اسم فندق رخيص، اعترضت ودعوتهم للرقاد في منزلي الذي لم يبقى به أحد سواي.

أسرع الرجل إلى الحمام وأرشدتها إلى غرفة الضيوف والمطبخ، اعتدت النوم في الظلام، ألاحق صور أفراد آسرتي ولدي الوحيد يدرس في الجامعة بالرياض وابنتي الوحيدة مع زوجها في الدمام، زوجتي طلقتني لما عاد ابن عمتها من غربة تجاوزت السنوات العشر ليأخذها مخلفا في داخلي بقعة سوداء.

باب الغرفة يفتح فجرت سكوني وخدري غرزت أظافرها في جسدي، تأخرت في النوم صوت مؤذن المسجد المجاور أعادني للحياة، في الثانية عشر ظهرا قرع الباب كانت هي دونت عودتها للعمل وأوصلت شقيقها للإدارة التي تعاقد معها حتى يكمل أوراقه.

في المكتب عرفت إن البرنامج التدريبي لن يحقق هدفه كما جاء في اجتماع رؤساء الإدارات، إذا لم يتم تجديد أجهزت الحاسب، بعد أيام كنت أبيع سيارة الونيت، طلب مني كاتب عقود البيع بعد توقيع المبايعة اخذ أغراضي من الونيت أدخلت كفي تحت المقعد جمعت الأشياء في كيس من البلاستيك، وآخذت سيارة أجره إلى مكتب عقارات أشارك في إدارته.

وأنا في المنزل أتابع فلم أجنبي في إحدى قنوات التلفزيون تمدد الكيس بجواري اقلب محتوياته داخل مظروف مغلق عثرت على قصاصات ورق بها خطوط ورموز غريبة ونوتة أرقام هواتف تخص الممرضة.

بعد انتصاف العام الدراسي جاء المعلم يدعوني لحفل شاي بمناسبة حصوله على جائزة في مسابقة لتحفيظ القرآن على مستوى المحافظة، وأنا أغادر الحفل أخبرتها بأن لدي أوراق تخصها.

وانشغلت بأموري المعتادة، سافرت لزيارة ابني وقمت بأغراء ابنتي وزوجها بالنقل من الدمام إلى الرياض بشراء منزل حتى تعتني بأخيها.

أنجزت بيع عمارة من عدة طوابق لرجل متقاعد من عائلة شريكي في المكتب، الممرضة تسكن إحدى شقق الدور الأرضي، أستلم المشتري العمارة وأحتل مع آسرته الكبيرة الدور الثالث، شريك مكتب العقار خطب ابنة الرجل المطلقة ٠

وأنا اخرج استمارة السيارة ذات ظهيرة لشرطي سير في نقطة تفتيش لمحت أوراق الممرضة التي تقبع منذ زمن في درج السيارة، أخرجتها وواصلت طريقي لتسليمها لها، أخذت الأوراق عرفت أن شقيقها مسافر في رحلة مدرسيه قرع الباب كانت ابنة صاحب العمارة،

رن الهاتف يطلب حضورها لغياب الممرض المناوب، وهي تخرج على صوت منبه سيارة المستشفى لمزتني تدعوني للبقاء، مع القطرة الأخيرة من كأس المشروب كنت أعانق الفتاه ولم أتوقف حتى اقتحمت أعماقها لملمت ملابسها واختفت ٠

الغي عقد المعلم بعد اكتشاف تزوير في إجابات بعض الطلاب، استقبلت ابني وابنتي لقضاء بعض أيام الصيف، شريكي في مكتب العقار تزوج وسافر مع عروسه لباريس، أقمت حفل عشاء لولدي وابنتي، عرفت آن أم أولادي عادت بعد وفات زوجها من الغربة ٠

قمت بشراء مزرعة صغيره جاء صاحبها للمكتب يعرضها للبيع، قال مراسل المكتب السوداني أن زوج أخته مزارع في أحد القصور، قرر المزارع العمل معي ونقل كفالته إذا تمكنت من ضم زوجته التي قدمت للحج في إقامته ٠

بعد سفر لتفقد ابنتي التي جاءت ولادتها الرابعة متعسرة، وجدت مكتب العقار مغلق، شريكي انتقل عمله إلى جده ويقترح إغلاق المكتب ٠

في المساء وزوجة المزارع تقدم الغداء، أخبرتني إن زوجها وشقيقها خارج الطائف لزيارة قريب تعرض لحادث إطلاق نار أثناء رعيه أغنام في البر، دعوتها وابنتها ذات السنوات الأربع للجلوس، أعدت الشاي ورأس الشيشة لا ادري كيف تمكنت من إتقان حشوه بالجراك الذي احرص على اختياره وخلطه، مددت يدي وسحبتها طبعت قبلة على خدها، تخلصت محتجة واختفت ٠

سافرت في مهمة عمل لمدة شهرين، فكرت في العودة لزوجتي فلم ترحب ابنتي بذلك، الممرضة استقالت من عملها أقمت لها حفل عشاء توديعي في المزرعة حضره لفيف من زملائها ٠

زوجة المزارع تجلس علي أحد مقاعد المدخل على محياها الأسمر بسمة، الأبواب مشرعة الطفلة في كرسي مرجحة تضلها من الشمس شجرة عملاقة، السكون يعم المكان ٠

تذكرت الحفل لا أذكر شيء لمحت خلف باب المدخل شنطه يد نسائية فتحتها وجدت قصاصات الأوراق ذات الخطوط والرموز الغريبة وبعض النقود، جاءت أخذت الأوراق والشنطة شممت رائحة حريق كانت الشنطة والأوراق تلتهب فوق شعلة موقد الغاز ٠&

الشريط

اعتادت مشاركتي بمشاهدة (أشرطة الفيديو) التي تتبادلها مع زميلاتها في المدرسة ومن خلال صداقاتها الخاصة، والدتها حذرتها من التمادي في ذلك بينما أختيها الأكبر يناقشنها في ردود الفعل عندي ٠
بعد زواجها ورحيلها بعامين جاء (صوت أختها أمينة) يبحث عن شريط يسجل جزء من حفل خاص، يتبارى فيه مجموعه من الفتيان الملثمين في الرقص على أنغام الموسيقى، تكرر اتصالها عن الشريط وادعت انه يعود لزوجها الذي سأل بقلق عنه٠
هذا الحرص دفعني للبحث في مكتبتي عن (الشريط) ومشاهدته لفت نظري إبداع الفتيان الملثمين في الرقص وتركيز المصور على مؤخراتهم التي تهتز مع نقرات الإيقاع٠
توقف التصوير وانشغلت بإشعال سيجارة ورشف ما تبقى في براد الشاي ليعود التصوير أطفال ونساء يقترب المصور من الوجوه في حركة استفزازية تواجه بصراخ وشتائم بين ضحك وهزل اسري أخذت ادقق في الوجوه (هي) غير موجودة بينما أمها وأخواتها وآخرين تتنقل مشاهدهم٠
يعتم الشريط ثم تعود ألصوره باهتة (وصوت خافت يردد بعد ٠٠بعد٠٠بعدين) تكشف ظهر امرأة ترفع سروالها يقترب المصور من عجيزتها وينتهي الشريط، قمت بإعادة المشهد لمعرفة الهمس وتحديد معالم المرآة ٠
أخبرت (أمينة) لما اتصلت بعثوري على الشريط فرحت سألتها عن الحفل ومناسبته تحدثت كثيرا عن زوجها، وأبكاها فقدان والدها الذي مات منذ عام ومرض أمها وعدم استقرارها ٠
تنتظرني بعد الثامنة ليلا عند الباب الخارجي للمنزل القديم المكون من ثلاثة ادوار دفعت الباب الموارب المكان معتم سمعت حفيفا في الدرج جاءت مدت يدها مسلمه همست تسأل عن الشريط٠
وصلتنا حركة وأصوات من الدور العلوي ووقع خطوات هابطه انحنت تلقط شيئا (كانت حزمة مفاتيح) عالجت بسرعة باب الدور الأرضي ودفعتني للداخل، أشعلت النور المكان رغم عدم وضوحه متكامل التجهيزات (كان سكن زوجة والدها المصرية) التي رجعت لبلدها بعد أكمال العدة، جلسنا بين يديها الشريط ترتدي ثوبا فضفاض قصير ٠
قلت: في (الفلم) لقطه أزعجتني لا اعرف كيف صورت (لم ترد على كلامي) فواصلت (البزران) رقصهم حلو أحسن من البنات (أغمضت عينيها) واحد فيهم كأنه بنت٠
وقفت شد انتباهي (صدرها الصغير وسمنتها) توجهت نحو الباب الأصوات تتواصل ألصقت خدها بالباب تستمع للحديث اقتربت (ملتصقا بمؤخرتها) أشاركها التصنت٠
قالت: (بصوت خافت) أخي وجارنا جاء يخطب أختنا الصغرى ٠
عدنا للداخل نترقب رحيلهم وتردد صدى شيئا يقع في المدخل تقدمت إلى الباب فتحته بحذر، وأنا أدخل عربتي التي أوقفتها على مبعدة أكتشف أن الشريط معي٠&

محمد المزعل

لم يكن مصدري في تكوين صورة مرتبكة عن أسرتها مرتبطا بتلك اللحظة التي شاهدت فيها والدتها التي أوصلتها بناء لطلب منها إلى منزل في حي بجنوب المدينة توبخ بصفات مقذعة أخرى على تقصير بدر منها، ولم تقنعها الأعذار المقدمة ولا بكاء طفلة رضيعه أزعجها تعالي الأصوات حولها٠
ولم يكن من خلال شقيقتها التي اقتحمت لحظة فراغ في داخلي في عامنا الأول فضمنا فراشها ذات صباح بعد تفرق الجميع بين مدارسهم ومراكز أعمالهم وقد أوهمتني وأنا في العمل بأنها تحمل رسالة ترغب مني الحضور لأخذها، بينما تجربني ضمن محاولتها الحذرة لأن تكون أما ٠
ولم يأتي من مشاهدتها في محل تجاري أمرتني بالوقوف على مدخله حتى تأخذ فانلة شتوية شاهدتها على إحدى زميلاتها في المدرسة رخيصة الثمن، تتابع حديث البائع بسكينة وهدوء وهو يحدق في وجهها المكشوف بشغف حتى تحصل على مبتغاها من المتجر بالسعر الذي حددته٠
أو ارتباط أخيها الأصغر الطالب في المرحلة المتوسطة بشاب اسود البشرة من الجيران يقضي وقته معه ومن خلاله تجد وأسرتها في الشاب سائق المهام الخاصة، وتوفر شقيقة الشاب المتزوجة من رجل في حاشية أمير عجوز الحماية من ثورة والدها ٠
هذه الصور لم تزحزحها من مكانها الثاوي في أعماقي لفنانة داخلها طموح نوراني يحقق السعادة فيمن حوله، ولم تمحي لحظات الوجد التي رعشناها ما يزيد عن سنوات خمس رسمت خيوطها في أول لقاء حتى تسلم صورة رسمتها للمشاركة بها في مسابقة أعلنها النادي الأدبي، حتى كان زواجها وسفرها مع زوجها إلى أمريكا منذ ثلاثة أعوام ٠
إنما كان بسبب الشاب الأسمر الذي توظف أخيرا في إدارتنا ولما عرف موقعي داخل الإدارة سعى لأن يكون في المكتب الذي أديره بدعوتي للعشاء مع مجموعة من موظفي مكتبه استقبلتني شقيقته التي أدهشتني حيويتها ورشاقتها رغم السنين، عرفت أن الأمير الذي يعمل زوجها عنده توفى وهي بحاجة لعون شقيقها الذي تتحقق بوجوده في مكتبي، من تلك اللحظة تداخلت ألوان الصورة٠
ذات مساء رن هاتف المنزل وتحدثت لم تكن هي، نبرة الصوت مختلفة ومخارج الحروف التي اعتدتها غائبة وان جاء الاتصال في الموعد الذي اعتدناه تذكرني بالأسماء السرية التي تحملها ومناسبة الأخير (محمد المزعل) الذي جاء في رسائلها البريدية، تسألني عن حياتي الخاصة وأفراد أسرتي وحالي المعاشي٠
بعد ثلاث ليال من المكالمة الهاتفية وفي العاشرة ليلا اقتحم مجلسنا في المقهى الذي أحتل مع ثلة من الأصدقاء لشرب الشاي وتدخين الشيشة وتبادل الحديث، فتى ابيض اللون جميل الملامح يرتدي ثوب صوف داكن مكشوف الرأس، سلم على الجميع وناولني مغلفا مغلق ثم غادرنا بين تساؤل الجميع لفقت جوابا رغم حيرتي فأنا لم ألتقي الفتى من قبل وإن جاءت ملامحه مألوفة، قال أحدنا: انه يسكن في حيهم ووالده رجل أمن متقاعد٠
في داخل المغلف رسالة عشق تتذكر فيه لحظات لن تنسى بتوقيع (محمد المزعل) الاسم البريدي الذي اختارته لمراسلتي في العام الذي رحلت فيه لما غبت في مهمة عمل خارج المدينة لمدة شهر، وشريط فديو يحوي أغان وموسيقى كنا نرددها عبر الهاتف وفي اللقاء الذي نرتب مرتبك التصوير وفي أوقات مختلفة، جاءت المشاهدة متقطعة٠

توقفت الموسيقى وجاء عويل طفل وصوت صرير باب يفتح ولغط نسائي الصورة ثابتة وضلال تتحرك لتقف أمام مراءاة كبيرة عكست صورتها وأخرى ممتلئة الجسد تساعدها على خلع ثوبها سروالها الداخلي القصير (شورت) يصل إلى أعلى الساق احمر اللون سميك وحابسة النهود صغيرة بحجم الصدر الصغير ساعدتها المرآة التي لم تتضح معالمها على ارتداء فستان حفل الزواج الأبيض ودخلت والدتها، مررت كفها على الثوب وتناقش الجميع حوله وخلعته لتحمله الخياطة، اختفى الجميع ٠
هناك من تدندن بأغنية وعادت للوقوف أمام المراءاة مازالت بملابسها ألداخليه تتحسس معالم جسدها النحيل المائل للسمرة الشامخ بالطول بخلاف باقي أسرتها، خاصة أن والدتها بيضاء اللون تميل للشقرة سمينة وقصيرة سمع أزيز الباب يفتح، وصوت أمها يحثها على ارتداء ملابسها ٠
جاءت الخياطة اقتربت منها تمرر كفها على الظهر العاري وتساعدها على أكمال ارتداء ملابسها ثم التصقت بها عاد أزيز فتح الباب وارتفع صوت أمها مناديا، ليتعالى لغط انتهى بخروج الجميع من نطاق الصورة٠
وعاد التصوير العشوائي للأغاني وعرض أزياء خارجي في برنامج تلفزيوني ومشهد إخباري قديم يتضمن تعليقا عن فوز فريق النصر الرياضي بكأس فرق أندية الدوري الممتاز يكمل ما تبقى في الشريط٠
تذكرت إنها تزوجت منذ سنوات ثلاث وغادرت البلاد، من حينه ارتبك تواصلي بأسرتها ولم أعد اعرف شيء عنها محتفظا بصورها ورسائلها بين أوراقي في المكتب بعد انتقال الجميع لمدينة أخرى (بعد وفات والدها) ، والمنزل المكون من أدوار ثلاثة مغلق تتراكم حوله النفايات٠
أرهق التفكير فيها جسدي (بعد مشاهدتها في الشريط) وذات عشاء وأنا في الطريق للمقهى توقفت كما هي عادتي أمام مبنى البريد لتفقد صندوق الرسائل، مررت بهاتف العملة المنتصب على جدار المدخل تستعمله أمرآة متدثرة بعباءة سوداء بينما تقف حذوها عربة بيضاء اللون يدور محركها، لما تجاوزت المرآة والهاتف لامس صوتها أذني فأقشعر بدني ٠
دخلت لغرفة صناديق البريد ولما عدت تمهلت، يقف بجوارها رجل اسمر اللون يرتدي ثوبا ابيض وغتره شماغ حمراء عليها عقال سميك، الأطفال المنتظرين في العربة ضاعت معالمهم بسبب العتمة توجهت لعربتي أدرت المحرك وتحركت، عدت من طريق التفافي إلى بوابة مبنى البريد لم أجد المرآة ولم أجد العربة البيضاء٠
رجل الأمن يتلفع بدثار ثقيل (بالطو) من البرد ينزوي خلف المدخل الزجاجي تجاوزت المبنى، أمام إشارة السير الضوئية التي يقبع وراءها المقهى عدد من العربات البيضاء المتوقفة لما اقتربت اشتعل الضوء الأخضر ٠&

فقر

أين تكمن الحقيقة، وقد سرى العفن في جذوع الأشجار فيبس ورقها وتقصفت أغصانها وأنا أعيد النظر في الأيام السابقة، جاء كتابي فارغا لا شيء فيه.

تنفست دخان الشيشة فتلوى كما حية ازدردت التراب، تكرر المشهد الذي انتشلني منه نادل المقهى بحديثه عن المطر المنهمر. &

صفـاء

جاء اسمي من الصفاء مع أن لـون بـشرتي أسـود، فـي ليـلة غفـي عنـها الزمـان لمحتـه يجلس وحيدا ويسطع بياضا في فضاء المكـان أخـذ يتحلل فـي جسدي، مـع شقشقة الـصباح سـألتني أختي بفزع عن تغير لون بشرتي٠&

جيرة

عرفته ونحن في عامنا الثاني، يأخذ أشيائي ويعترض طريقي وتخرجنا من المرحلة الابتدائية ودرسنا فصلا واحدا في المرحلة المتوسطة٠
وبعد أربعين عاما وجدته أمامي تبسم وهو يحدق في سبحة بين أصابعي اقتنيتها منذ أيام، بهدوء سلمتها له وخرجت من المكان٠&

أنفاس الرحيل

*** جاء اتقاني واجبات العمل في صالحي؛ مما خلق تواصلا ايجابيا مع رئيس القسم الذي اعمل به، وثقه في المراجعين أنتجها تعاملي الطبيعي المبني على أداء مهامي بيسر، وحل ما يعترض واجباتي ألعمليه بشفافية، هذا الأمر ولد تصورا سحريا عني فيمن حولي نميته بدون قصد بعد إصرار مراجع يعتبرني ابنا له على دعوتي للعشاء، علم مدير الإدارة بالعشاء فدعاني لمكتبه وحذرني من استغلال عملي في أمور خاصة، لم أفكر كثيرا في النصيحة التي تعاملت معها بهدوء .

ذات ليلة بعد منتصف الليل وفي أثناء مناوبتي العمل دخل مدير الإدارة المكتب مرتبكا وطلب مني إعداد كشف بالمراجعين، دقق فيه ثم بعد تردد حذر طلب حفظ أوراق احدهم حتى الصباح وعرضها عليه بسريه ومباشرة وخرج، سرت معه حتى ركب السيارة .

تحول عملي إلى الفترة المسائية في محاولة يائس للحصول على شهادة الثانوية العامة التي وقفت عنها بعد فشل عامين في اجتياز المرحلة الثانية، هنا اكتشفت أن في البناء المقابل للمكتب امرأة تنتظر خروجي وتراقب تحركي أمام المخرج فتسللت ذات يوم وراءها.

أيضا عرف مدير الإدارة بأني في ليلة سابقه دخلت البناء المقابل، لم أجادله خشية أمر لا أدريه، وفي موعد اختبارات المرحلة الثانية من الدراسة طلبت منحي إجازة من العمل للاستذكار وافق رئيس القسم وأبدى استعداده لمساعدتي، وبما إنني مصمم على النجاح فقد تحقق مطلبي واكتشفت عند عودتي للعمل إن امرأة البناء المقابل غادرت الحي .

قال بواب البناء المقابل وأنا ألاطفه باحثا عن سكن لي وقد شعرت إني بحاجه إلى الاستقلال وأهجر منزل شقيقتي الذي ضمني عاما كاملا تنفيذا لرغبة والدتي وعدم مبالاة من والدي الذي وأد أحلامه في كبديل ليقاوم خلالي زمنا تأمر عليه، طلب إمهاله وسألته عن ساكن الشقة رقم ستة فعرفت أنه قام بشراء منزل في شمال المدينة انتقل إليه.

سألني مدير الإدارة عن سعيي للسكن بعيدا عن أقاربي ودافعه، شرحت له أمنياتي بمواصلة الدراسة وعملي وبعد منزل أختي فقد انبثق المطلب بعد تجاوزي المرحلة الثانية واني لا أملك سيارة تقلني، ضحك ونصحني بتعلم القيادة حتى يسلمني إحدى سيارات المكتب ثم دعاني لمشاركته فرحة عقد قران ابنته البكر في حفل عائلي ..بعد نهاية الحفل أمر سائقة الخاص بإيصالي إلى منزل شقيقتي أثناء الطريق عرفت أن العريس رجل أعمال وان العروس تخرجت من الجامعة وتعمل معلمة وان البنت الأخرى سوف تسافر لدراسة الطب حيث يقيم أخوها الذي يدرس منذ عامين بعد فشلة في الالتحاق بالجامعة لتدني درجاته.

تعرض المدير العام لوعكة صحية أدخلته المستشفى وهناك قابلت زوجته وابنته، ولما زرته في المنزل الابنة هي من فتح الباب لي شدت على كفي ضاحكة لم اهتم بحركتها وان فكرت وأنا أتناول صحن أبريق الشاي من خادمة سمراء لمـ لم تفتح الخادمة الباب، عرفت أن زوجته تزور أمها المريضة وسوف تعود في ساعة متأخرة من الليل، بسبب مادة اللغة الإنجليزية لم انجح في الثانوية العامة أخبرني المدير العام أن ابنه الذي يدرس في الخارج لغته جيدة وبإمكانية الاستفادة منه.

صباح يوم عمل طلب المدير إحضار أوراق نسيها في المنزل فتح الباب الخادمة، لتطل المرآة التي بهرني جمالها ورشاقتها وقد لفت جسدها بثوب نوم احمر اللون ودثار من الحرير ربطت وسطها النحيل بحزامه تحمل ملف الأوراق وأنا أتناوله منها هنأتني بالنجاح وان ابنها وابنتها اتصلا من لندن حتى تبلغني فرحهم بنجاحي .

تخيلت المدير وهو يعاتبني على تأخري بعد أخذه للملف وتقديمه لرجل يجلس قبالته أنه يعرف السبب، تركت الاثنين لأجد في المكتب بواب البناية المقابلة بلغني أن جناحا صغير في

المبنى يحقق تطلعي ولن يعترض السكان على تأجيره، خاصة أن صاحب البناء يحتل الدور الثالث الذي يضم الشقة الصغيرة التي كانت ملحقة بسكنه ثم فصلها بعد زواج أخر بناته وانتقال أبنائه الكبار لمدن أخرى للعمل ولم يبقـ معه سوى زوجته وابن في المرحلة الدراسية المتوسطة وابنة في المرحلة الابتدائية.

بعد مغرب يوم وأنا ألج مدخل مسكني الجديد الذي اعتدت فيه استعمال الدرج وجدتها تقف أمام المصعد المرآة التي وافقت انكساري منذ عامين دخلت معها المصعد عرفت أنها ابنة صاحب البناء من زوجته الاولى المتوفاة، وان زوجها رجل امن في مهمة خارج المدينة.

نمت طويلا وعلى نداء أذان الظهر شعرت بالحركة حولي تذكرت أني أخذت إجازة من عملي لزيارة أسرتي والتعرف على أهل الفتاة التي اختارتها أمي زوجا لي، ارتديت ملابسي وغادرت المبنى مضى شهر الإجازة سريعا ورتبت طلب نقل عملي إلى مدينتي القديمة أعترض الزملاء وقررت زيارة المدير العام ألموقوف عن العمل منذ ستة أشهر، احتفى بي واخبرني انه سوف يلحق بابنه وابنته وبارك انتقالي .

جاءت الموافقة على انتقالي لمدينتي القديمة صباح يوم الأربعاء وفي الطريق المتجه غربا الذي اعتدت منذ كنت طفلا وبعد تجاوز نصفه، توقفت لتزويد السيارة بالبنزين وتناول العشاء في مطعم ومقهى للمسافرين، كانت العاشرة ليلا لما واصلت سيري وبعد مسافة لا ادري كم هي انفجر احد دواليب العربة ولم استطع التحكم في المقود فانقلبت بي السيارة وسحق جسمي بين الهيكل المهشم، انساب دمي على إسفلت الطريق وأخذ نفسي يخفت بينما هناك حراك حولي وناس يستعجلون إخراجي حتى لا تلتهمني النيران، ولم اعد اشعر بشيء وأحدهم يقول بسكينة وهدوء: مات الولد لا إله إلا الله. &

لفت نظري طوله وصوته الرخيم، أمي تحثني على إنهاء الحوار خوفا من التأخر قال: سوف أوصلكم وطلب من خادمه صرف سيارة الأجرة التي جئنا بها، وأنا أترجل من العربة عرفت أنه اكتشف كذبي وهو يقرأ اسم والدي بمحاذاة باب الدار. &

التعب

وأنا انتظر عودتهم أنساني التعب بدر ابن الثالثة الذي اعتاد النوم في حضني قبل حمله لغرفته، ركضت ابحث عنه في أرجاء المنزل الكبير ووجدته يرقد في فراشي تمددت بجواره٠&

الردف

يجلس على مقعد خشبي تجاوزته وطفلها الذي أركبته لعبة السلالم المزروعة مع ألعاب أخرى في المكان ولما اندمج مع الآخرين، جاءت وجلست بجواره بادرته الحديث سألته عن ابنه أجاب انه هناك وهو يرمق السماء، أمسكت بكفه مشى بجوارها وعند محاذاته للعبة انفلت الطفل من رفاقه وتعلق به &٠

شارع المنذر

شارع المنذر فرعي يتجه من الغرب حيث يتكي على صدر شارع ابوبكر الصديق متجها للشرق ليصطدم بسور مقبرة صغيرة أوقف دفن الجثامين بها منذ ثلاثة عقود ومن جانبي سور المقبرة الجنوبي والشمالي يلتحم المارين بالشارع بعابري شارع عكاظ.
في جزء من الشارع احتلت بدرية منزلا من الطين في جانب من الفناء المترب سلم خشبي يصل إلى السطح المبلط بالأسمنت، كما احتلت رقية منزلا أخر وكذلك خديجة، الأولى زوجة لرجل توقفت مهابته عند ضخامة جسمه وكثرة أولاده وبناته مع وهم سرى بين سكان الشارع أنه رجل مباحث، والثانية عقيم وزوج لرجل عجوز يجهل الجميع تاريخه ولكنهم يحترمون صمته وحرصه على عدم الاختلاط بهم، والثالثة زوج عسكري في الجيش انتقل عملة منذ سنوات ثلاث من مدينة عسكريه في الشمال ليكون قائدا لمدرسة عسكرية بالطائف فقام بشراء منزل إسمنتي من دورين في زاوية الشارع.
في الصباح يخلو الشارع من الأطفال لانشغالهم بالدراسة، وتقل الحركة فيه إلى حد النضوب ويبقى صوت بائع الأقمشة الجوال وسقاة المنازل، ويلتقي النساء في جلسات توادد وحديث ضحى.
في غفلة من الجميع سكن عامر مع والدته وأخته في منزل مهجور بشارع عبادة الموازي لشارع المنذر من الشمال يقبع المنزل المتداعي خلف منزل بدرية فأخذت تقص على الأخريات ما تشاهده عندما تقوم بنشر الملابس المغسولة على الحبل الممتد في السطوح حيث تطل من فتحات ساتر السطح على ماحولها.
قالت خديجة أن عامر وأمه من جماعتها وقد سعى زوجها في إلحاقه بالمدرسة العسكرية كفت بدرية عن الحديث عن مشاهداتها بعد أن تسلق عامر السور ذات صباح فتأخرت في مغادرة السطح، فجاءها الأمر ولم تقاوم رغبته في الحديث عن مشاعره كان يدقق في كلماته ويلمح اثر ذلك فيها فلما عرف انه سيطر عليها قام بمضاجعتها وتركها بين ثيابها المبللة تحت حبل الغسيل.
منزل رقية الملاصق لدار بدرية حوافه متقاربة مع الدور الأخرى وكان الرجل العجوز عندما يخرج يقوم بغلق الباب بالمفتاح في نهاية الأسبوع وبعد مغادرة العجوز للشارع يترجل احدهم من سيارة تقف في طرف الشارع يقوم بدفع الباب الموارب والدخول ثم يخرج بعد ساعة من عودة العجوز قالت رقية انه أخيها يأتي من المدينة المجاورة ولم يقتنع احد جوابها إنما طريقة حياتها الانعزالية دفعت الاخرين للصمت.
تخرج عامر من المدرسة العسكرية وعين في مدينة أخرى بقيت أمه وأخته تحت رعاية وحدب زوج خديجة الذي شعر أن داخله ينجذب نحو البنت التي بداء تشكل أنوثتها عرفت خديجة الأمر من بدرية فخاصمت زوجها وأخذت أطفالها وأقامت عند أخيها في جنوب المدينة وتعرفت على جارته قائدة فرقة غناء نسائية فأخذت تحضر حفلاتها كمرافقة وتقضي وقتها في زيارتها التي استساغت فيها أخذ جرعات من الخمر.
ذات صباح فجع الشارع بوفاة زوج بدرية المفاجي قيل انه مات مسموما ولما جاءت خديجة مواسيه عادت لبيتها وبسبب مرض الرجل العجوز غادرت رقية الشارع لتكون بجواره في منزل شقيقة وجاء عامر معزيا صوته يصل سمع بدريه وهو يواسي في الميت ترقبت صعوده للسطح ولكنه رحل بأمه وأخته.

زوج خديجة منح رتبة عسكريه ونقل لمدينته السابقة في الشمال نقل عامر إلى مكتبه وقام بشراء منزل ليكون مهرا لعروسه الصغيرة وأمها علمت خديجة بالأمر وهي تعد للحاق به فتوقفت وفضلت البقاء مع أبناءها في منزلها ٠

بدرية ذات صباح فتحت الباب لتجد بائع القماش المتجول أدخلته غرفة الجلوس، تحدثت عن حاجتها لملابس جديدة والانكسار في وجهها لم تقاوم لمساته وهو يعرض ما لديه شعرت بالانتشاء وكفه تعري ساقيها نامت فوق قطع القماش، خديجة تجرعت ما تبقى من خمر في كأسها وسارت خلف صديقتها ألمغنيه استسلمت للمداعبة الجسدية تنبهت وهي تتمدد في الفراش إلى وجود رجل يجلس على مقعد في الغرفة، رقية في زيارة مجاملة لنساء الشارع قالت أنها شرت بيت في طرف الحارة بنصيبها من تركت زوجها العجوز وأنها تزوجت عامر٠

ارتعاش الرمل

قال: طائر هزار لفراشة كتان حطت بجواره صباح يوم في شهر شباط غطى الغيم شأبيب الشمس، تشرنقت الحروف وبداءت معالم الطريق تلوح، الغربة

تتفجر في داخله من ظلم حاق به فتدمر حلمه مع الكبوة الأولى في مسار التعلم فهرع إلى طريق الوظيفة، نموذجه حلم يمارس معه عندما يدخل الحمام العادة السرية، وذات مساء كان يركب مع سيدة يعرفها سيارة أجره متجها إلى مدينته القديمة تبادله الحديث وتحدق فيه عبر خمارها وبين وقت وأخر تربض كفها السمراء المتعرقة على فخذه.

معرفته بالمرآة كونها من صور المجلات التي يقرأ ونساء أفلام السينما التي تعرضها صالات بدائية غير مرخصة في الطائف تغلقها ألشرطه ويداهمها بين وقت وأخر أفراد هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

في استراحة مسافرين تحف بها أشجار وحشائش نصفها محترق بسبب زحف كثبان الرمال وتحرك المكان أمن لمرافقته غرفة شاركتها فيه أخرى عائدة لزوجها برفقة والدها جلس مع الرجل في مقهى الاستراحة أشعل الرجل سيجارته وطلب أبريق شاي وسأل النادل عن نوع الطعام، قام بحمل صحن الطعام إلى غرفة مرافقته العجوز تناولت المرآة الأخرى الصحن وقبل أن يتركه لها سقط الخمار من على وجهها بهره جمالها وبياضها انحنى معها وهو ممسكا بحافة الصحن لوضعه على ارض الغرفة.

لما عاد للسيارة لمواصلة الطريق جلست المرآة في المقعد الخلفي بينه وبين مرافقته بينما عاد والدها لمكانه في مقعد السائق مع الراكب الذي كان يجلس بجواره، تتبادل المرأتان الحديث وهو يرمق الفضاء ينادم البوح الذي عصفت به الرياح أطرافه النحيلة ترتجف وغثيان الطريق يتكوم في داخلة قوائم من الحبر الأسود، قطع تأمله كف ربتت على فخذه تلمسها طرية وغضه تركها تمارس عبثها انه بحاجة لخلوة يستمني فيها على صورة امرأة كونها خياله الكف تزحف كما الأخبطوط.

لم ينقطع الحديث بين المرأتين ولم يتوقف الرجل العجوز عن التدخين ولم ينتهي الراكب الأخر من قصته التي يسردها للسائق حتى يساعده على البقاء متنبها لمخاطر الطريق، مع تباشير الصباح ولجت السيارة شوارع الطائف، طلب الرجل العجوز من السائق إيصاله لمنزل زوج ابنته وهي تترجل همست في إذنه بأنها تنتظره عند الظهر لما تحركت السيارة.

قالت: مرافقته ماذا تريد لم يرد وطلب من السائق إيصالهم لدار أسرته.

نام في غرفة أمه قلقا راوده حلم معه تلذذ بلحظة تدفق تنبه هلعا ركض للحمام ملابسه الداخلية مبللة، تناول الإفطار بين حدب أمه وعلى صوت مرافقته التي

تنتظر ابنها المقيم في إحدى الضواحي، مع دقات الساعة الكبيرة المعلقة في صالة الجلوس تذكر الموعد بدل ثوبه وخرج اخترق الطرق التي يعرف، الطيوف تتخطف أمام ناظره شعر بالتعب والخوف إنها المرة الأولى التي يركض من اجل لقاء مع امرأة حقيقية متذكرا لحظات انجذاب عذري مع بنات من الجيران ومعاكسة لطالبات المدرسة المتوسطة وهن يتناثرن من حافلتهن في شارع المنزل.

فتحت الباب بكامل أنوثتها في ثوب نوم طويل يشف عن جسد ممشوق شعرها ينسدل بدون رباط على جبينها مدت كفها مسلمة لم تنبس بكلمة حلقه بئر ناشفة، أغلقت الباب بحذر الصمت يعم الدار دخل خلفها غرفة ستائرها مسدلة الخوف عمق العتمة التي زادت والباب يغلق بالمفتاح.

بانت معالم فراش تناثرت أغطيته أمرته بالجلوس أنفاسها تلفحه تشعل في داخله النار اخذ يحدق في ما حوله صورته وصورتها في المراءاة الكبيرة المقابلة للفراش، أخذت غترته وطاقيته ووضعتها على علاقة الملابس فكت أزرار ثوبه كفها تثير غرائزه الصور التي يحتفظ بها للنساء تمر بذاكرته وهي تقبل فمه عرف أنه شاهدها في فلم سينمائي لم تكتمل أحداثه بسبب مداهمة ألشرطه اكتشفت أنه بكر لا يعرف شيء.

ارتفع رنين جرس الباب وهي تخرج من الغرفة طلبت منه ارتداء ملابسه، وصله صوت الرجل العجوز وأخر جاءت سحبته تذكر غترتة وطاقيته ساعدته على إغلاق ازرة ثوبه فتحت الباب الخارجي دفعته، أستنشق الهواء عاد من طريق أخر وجد أمه وأخواته ينتظرونه جاء والده من العمل فالتف الجميع حول سفرة الغداء.

نام في غرفته السابقة زارته في المنام اخذ يهذي قال أخيه وهو ينبهه من هي تذكر انه لا يعرف لها اسم. &

الغرفة الثالثة

الشعور بالألم أخذ يخالط أيامي الجديدة، فضاء المكان لم يعد يتسع حرقة الأسئلة المسربلة بالتردد وانمحاء المعالم، انتقلت منذ أشهر مع زوجتي وابنتي إلى مسكن جديد شقة في الدور الأرضي من عمارة يقيم في دورها الثاني صاحبها، وفي الدور الأول شقيق زوجة صاحب الدار وجئت أنا محتلا مكانا شاغرا في فضاء شارع يرتبط بتكون اعتدته عابرا قبل زواجي العام الماضي في الطريق إلى الأصدقاء لقضاء وقت غفي عنه الزمان بالحديث عن (فائقة) التي رحلت وتركت لنا خلق الحكايات .

تعرضت ابنتي لوعكة صحية قبل حضورها مواسية ومغاضبة لزوجها حتى ترتب أمر سفرها إلى حيث تقيم ابنتها، زوجتي وابنتها في منزل والدها ضيفتي تنام في الغرفة الثالثة من الشقة على فراش قطن تمدد فوق الأرض، وأنا اجلس في غرفتي بين النوم والصحو والساعة تشير إلى الخامسة مساء .

باب الشقة يقرع نبهني من غفوتي إصرار الطارق زوج ضيفتي تحدث عن رغبته في مصالحتها، أدخلته غرفة الجلوس وسعيت إليها كانت في نومها العميق تجر أنفاسها شعرها الذهبي القصير يتناثر مغطيا جبينها وجانب من وجهها فتحت ثوبها الواسعة تشف عن صدرها الكبير تهدل ثدييها فانبثقت شهوة ملامستها كما انحسر الثوب عن ساقيها حتى برزت أجزاء من الفخذ وتعالى تقويس ردفها، ناديت باسمها منبها تمطت لم تهتم بتغطية عريها شعرت إني احلق في أجوائها مانعت لقاء زوجها زرعت كفي على ظهرها دافعا وأنا أواصل الحديث عن اعتذاره وشعوره بالذنب أنفاسها تلفحني، سارت أمامي إلى غرفة الجلوس وهي تدعك عينيها وعدت إلى مكاني .

لم اهتم بالوقت وإذا بها تقتحم خلوتي شرحت وهي واقفة بالباب اقتناعها بعذره وريبتها من تصرفه كان اصغر سنا يميل إلى ألسمره بينما جاءت ناصعة البياض مكتنزة الجسد، هو زوجها الثالث كما قالت اقترنت به منذ عام كانت خصاما تهم تطوق علاقتهم فاعتادت هذيانه ووجدت فيه شيء شكلته بما يتفق مع طاقتها .

لحقت بها إلى الغرفة الثالثة شعرت بي، عرفت انه سوف يأتي في الثامنة لأخذها منظر تهدل ثدييها يتكرر أمامي كما شريط سينمائي غابت كلماتها وأنا أتخيلها عروس بحر أتلذذ بتفحص تلالها، نبهتني كفها التي اصطدمت بكتفي وهي تشرح سبب خصامهم الأخير وانحنت حتى تريني أثر أصابعه على ظهرها، مررت أناملي متلمسا وجعها رائحتها تمزق تجلدي غمغمت وأنا الصق فمي بالشفة المزممة وقفنا من جلوسنا المتقابل على الأرض دفنت وجهي في صدرها تنهدت دقات قلبها تصافح جدران الغرفة، شيء في داخلي يركض ويعبث بصمتي قاومت عنف اقتحامي مجاهلها توسلت أن اخفف حراكي كل شيء ينهار ويختفي أمواج البحر تصطخب وشلالات الماء تطمس المكان، الفراش يطير بنا كما بساط الريح وفضاء

الغرفة يتسع لمعركة أشعلت نيرانها انهارت الجدران أمام التدفق الثنائي قالت وهي تلحس جراحها أني الأعنف بين من عرفتهم .
في ألثامنة خرجت صوت زوجها المبتهج يتقاطع مع ضحكها العاهر الذي عج في الشارع وفي العاشرة ليلا عدت وحيدا بعد أن تلمست رغبة زوجتي البقاء في دار والدها خلعت ثوبي ونمت بسروالي الداخلي وفانلة علاقة سمعت الباب يقرع كان احد أطفال صاحب البناية قال إن والدته تبحث عني هممت بإغلاق الباب وجلا من سطوتها عندما جاء صوتها عبر الدرج خرجت فلما لمحتني غطت وجهها بخمارها الأسود سألتني عن ضيفتي غاب عن ذهني إنه منذ شهر أقامت عندي ثلاثة أيام، تنكرت وجودها فأرتفع صوتها هددتني بالطرد من المسكن إذا لم أخرجها زادت حدتي في الرد بسبب انفعالي هبطت ودفعتني دخلت الشقة تبحث عن المرأة الموبوءة التي احمي .
لاحقتها وهي تتجول بين الغرف شمت رائحتها فتوجهت رأسا للغرفة الثالثة فراش القطن بمخداته ولحافه يتوسط الغرفة التي خلت من الأثاث، الغطاء يشف عن وجهها الذي أحدق فيه رغم انفي متابعا كلماتها وخصامها حتى اعرف سبب ثورتها عند باب الشقة منعتها من الخروج تراجعت غمغمت بكلمات غير مفهومة ثم أجهشت باكية جاءت مقاومتها إصرار من قبلي على أن انهي احتجاج واهي وأنا أجابه تعديها على خصوصياتي، أخبرتها أن ضيفتي إحدى قريبات والدتي وعرفت أن ضيفتي كانت زوجا سابق لصاحب الدار كما عرفت إنها تقاوم حتى لا ينهار بيتها الذي تدافع عنه منذ دخل زوجها السجن في قضية مالية وسندات بيع سيارات مسروقة تأخر البت فيها زوج ضيفتي أحد اطرافها .
لملمت نفسها دخلت المطبخ وأحضرت قنينة ماء تجرعت الماء من فمها تناولت القنينة وشربت الباقي سرت ابتسامة صغيرة على محياها تركتني في مكاني سمعت الباب يغلق .
وصلت مقر العمل متأخرا لاحظ مدير المكتب قلقي وتشتت فكري من خطاء غير اعتيادي في إجراء اتخذته على معاملة مراجع تأخرت أوراقه عندي أمرني بالعودة للمنزل أذنا لي في بقية ساعات الدوام .
قالت زوجتي وهي تمد سفرة الغداء إن الطبيب طلب منها مراجعته لمتابعة حالة ابنتي الصحية حدقت فيها كانت تقاسيم وجهها تشبه وجه ضيفتي مجللا بالسواد ولما عادت تحمل دمية تشبه طفلتنا تغيرت تقاسيم الوجه فإذا بها جارتي التي تسكن الدور الثاني وقد تعرت فتخلقت فراشة تبحث عن كوة نور .
أطل وجه أمي شعر رأسها يتلوى كما ثعابين وقد تطاولت أنيابها وجحظت عينيها تغرز أنيابها في عنقي تمص دمي وصوتها الهادر يتسبب في تحطم الأشياء فتتكوم قطعا حول جسدي الذي شله الخوف فأتمدد علي الأرض معميا علي، الصمت يحيط بي والظلام يملا المكان وأزحف على بطني ابحث عن مفتاح النور .&

المحطة الأخيرة

في اليوم الرابع على موتها تجمع الأبناء والبنات، حول التلفزيون حديثهم متقطع ومنهم من يتابع أحداث مباراة في كرة القدم بين فريق نادي النصر الرياضي وفريق النادي الأهلي الساعة التاسعة ليلا والمباراة في الدقيقة العشرين من الشوط الأول والنصر متقدما بهدف سجل في الدقيقة الثامنة.

رن جرس الهاتف تناولت عواطف الابنة البكر للمتوفاة سماعة الهاتف من ابن أختها الذي لم يتجاوز الرابعة تقبلت المواساة في والدتها من المتحدثة التي لم تعرف نفسها، أربكها حرص المتصلة على وجود الجميع / حنان / توفيق / عبد العظيم / أمينة / جاء ترتيب الأسماء حسب الأعمار .

بعد صلاة الظهر وقد أخر توفيق سفره وأجلت حنان رحلتها مع طفليها بالطائرة أربع وعشرين ساعة واستمهلت أمينة زوجها الذي أقام عند شقيقه وتركها مع أطفالها الثلاثة تشارك إخوتها مراسم العزاء حتى بعد صلاة الجمعة بينما كانت عواطف تملك وقتها فهي منذ دخلت والدتها المستشفى في إجازة مفتوحة من العمل ومن زوجها وابنتها الوحيدة لتكون بجوار والدتها وهاجس الموت، عبد العظيم يقيم مع المتوفاة منذ عامين بعد أن طلقته زوجته وتخلت عن ابنها فقام بالعناية به، كانت المتحدثة ممرضة بالمستشفى الذي توفت فيه أمهم تعرف الجميع من خلال متابعتهم حال أمهم الصحية.

قالت: تقديرا لوصيه المرحومة وأنا محرجة جئت أسلمكم أمانة أودعتها الوالدة عندي طالبة مني تسليمها لبنتها عواطف في حضور الجميع.

بعد خروج الضيفة انتصب على الطاولة التي تتوسط الغرفة علبة بيضاء صغيرة الحجم يلتف حولها شريط أحمر اللون، ترددت عواطف في فتح ألعلبه وقام توفيق بفك الرباط في العلبة أساور ذهبية وخواتم فضية ذات فصوص من الحجر الكريم وصورة فوتوغرافيه لرجل يعرفه الجميع ينعتونه بالعم متجاهلين اسمه وقرابته، ورسالة بخط مرتبك يعرفون إن أمهم أميه لا تعرف الكتابة وترهقهم بشرح ما يعرضه التلفزيون من أفلام اجنبية.

تخطفت أيديهم الحلي وبقيت الرسالة بين يدي عواطف مع الصورة التي تثنت أطرافها نسي الجميع أمر الرسالة وانشغل كل واحد بإعداد أهاب

سفره، أول المغادرين توفيق لمواصلة غربته وركبت أمينة عربة زوجها بين شغب أطفالها واستعجاله، عواطف رتبت سفرها في رحلة حنان.
في المطار وقد غادرت حنان الطائرة شعرت بالوحدة مستعيدة الأيام الأخيرة لأمها مع صراع المرض ولاح أبيها الذي رحل منذ عشر سنوات في حادث سير أثناء زيارة عمل لقريته في أقصى الجنوب متابعا أعمال بناء منزل للعائلة في جزء من ارض زراعية تمكن بعد صراع مع أفراد من أسرته وبعض أكابر جماعته من تملكها.
يعلن المذيع الداخلي بأن الرحلة سوف تتأخر بسبب سوء الأحوال الجوية في محطتها الأخيرة ترددت في مغادرة الطائرة عدلت وضع مسند المقعد ونامت جاءتها أمها في المنام تسألها عن نصيبها في الحلي.
قالت:إخوتي وهم يتخطفون العلبة لم يتبقى شيء
تنبهت متذكرة العلبة نهضت فتحت درج الحقائب الذي يعلو مقعدها أخرجت العلبة حدقت في الصورة تعرف الرجل يسكن في بدروم مبنى مجاور لمنزل الأسرة معتل الصحة والدها يعطف عليه ويتبع حالته الصحية وتقوم أمها بغسل ملابسه وإشراكه في الأكل حيث ترسل احدهم بما تجهز.
قالت: الممرضة إنها من إملاء المريضة، الرسالة في صفحتين من دفتر مدرسي بقلم مرتبك وحروف تآكلت اطرافها.
أولادي وبناتي
كان أبيكم رحمة الله عليه بارا بي وحريصا على علاقتي به في البداية توهمت انه يعزني ولكن الوقت كشف لي انه حاقد ويريد تدمير من حوله وخاصة جماعته وأهله لم اصدق عندما قال أبي انه زوجني بسعيد الذي يعرف إن شيخ قريتنا خالي حجزني لولده صالح كما تقول أمي، كان صالح طوع أبيه ويده اليمنى حتى فقد عقله عندما (طاح) ذات يوم في بئر من ابيار مزرعتنا ولم تنجح محاولات أبيه في علاجه من البكم والصرع الذي ينتابه بسبب الجنية التي دخلته.
بعد ستة أشهر جاء سعيد وتزوجته وتقطعت حبال المودة بين والدي وجماعتنا سافرت مع زوجي لمقر عمله في الشرطة بوابا في المحكمة الشرعية بالطائف وكنت اخدم في منزل رئيس المحكمة، عندما يكون عنده ضيوف ويضحك الحريم من لهجتي فأتحمل (عشان) سعيد الذي خطط لشراء بيت أفضل وأوسع من الذي نستأجر.
تأخر حملي وقلق سعيد ووصلت شكواه للقاضي الذي أعطاه أوراق محو آيات من القرءان وأدعية كتبت بماء الزعفران عسى أحمل وصار

النصيب الذي عطلني عن الخدمة في بيت القاضي وشعرت إن زوجة القاضي تكرهني وأمها تقول إني (خربانة) فانقطعت عن الناس حتى ولدت وجاءت أمي ومعها الشيخ وولده المريض، دخل صالح المستشفى ولما خرج قام سعيد برعايته بدعوى مواعيد المستشفى أستأجر له غرفة في شارعنا وأصبح الشيخ يرسل فلوس وحب وفواكه لولده عن طريق سعيد كان المريض يقضي وقته عندنا في الدار وشاركت سعيد في رعايته اغسل ثيابه وأعطيه من أكلنا عرفت انه يفرح (ويصح) إذا شافني لاحظ سعيد ذلك فأستغل الوضع فكان يمنع المريض من (شوفي)
فيتهيج ويركض في الشوارع وتمسكه ألشرطه وتدخله المستشفى
فيأتي والده ويقوم سعيد بإخراجه ويتعهد برعايته ويطلب فلوس زيادة، خطط سعيد على طرد إخوانه من نصيبهم في مزرعة ألديره وشهد الشيخ معه .
صالح اشتد عليه المرض فضعف جسمه، زاد نحوله وطال شعر رأسه ولحيته في يوم دخل الحمام يستحم أغمي عليه سمعته (يطيح) على الأرض لم يكن في الدار احد دخلت وحملته تمدد في غرفة الجلوس وفتح عينيه شعرت انه يريد قول شيء قصصت شعر رأسه وشذبت لحيته أخذ يبكي وهو يقبل يدي شيء مسني حرارة سرت في عروقي مسحت دموعه، قدمت له الأكل أمتنع بدأت اللقمة كان يضحك مثل الصغار وقام بتأكيلي وعندما خرج سلم علىرأسي.
لاحظ سعيد التغير ولكن لم يسأل فقد فتح بقاله ومكتب عقار يأخذ وقته ويجهز لبناء دار في مزرعة القرية، عرفت إن صالح يحبني وبطيبة خاطر أصبح رجلي يعرف سري ويشاركني همي في الصباح افطره
(نسو لف) ونتابع مسلسلات التلفزيون وأرقد معاه في بعض الأيام وعند الظهر يذهب للمسجد ويقوم بفرش سجادة صغيره قدام باب غرفته يجلس عليها حتى العشاء ثم يدخل وفي الصبح بعد خروج سعيد يدق الباب.
انه أبوكم الحقيقي الذي معه شعرت بالأمان، وأنا تذكرت ريح أهلي بيت الحجر والذرة والقصب والبقر تحرث الأرض وتسقي الزرع والقربة التي ادلف بها الماء ولما مات سعيد زادت رعايتي، حتى جاءت أخته التي لم يرزقها الله بأولاد قبل عامين فأخذته للديرة بعد موت زوجها عارضتها في البداية وكان صامتا لم يتفوه بكلمه بكى وهمهم ببعض الكلمات لم يصرع ولم يركض في الشوارع كما هي عادته عندما يغضب، الحلي والصورة أعطاني يوم سافر.

تنبهت عواطف على حركة داخل الطائرة الركاب يعودون والمضيفين والمضيفات يقومون بأعمالهم تريثت حتى أقلعت الطائرة أخذت تدقق النظر في ألصوره، قالت المضيفة وهي تقدم لها كوب ماء طلبته: زوجك ٠٠! هزت رأسها بالإيجاب٠&

أوراق من دفتر سعدا

١ـ
وأنا في الثامنة من العمر توفيت أمي وبعد شهر انتقلنا من مكة المكرمة إلى الطائف أنا وأبي، الذي هده فقدها فشعر بحاجته إلى باقي الأسرة في الطائف ٠
أقتني والدي منزلا من دور واحد في حي الشرقية يفصلنا عن الحي الذي يقيم فيه غالبية جماعتنا شارع عكاظ الذي يضم مطاعم ومتاجر تتوفر بها كل ما نحتاج ٠
البيت رغم قدمه كان مسكن أمان لي ولوالدي، تقاسمت الغرف شئوننا ٠
أقضي وقتي بزيارة أصدقاء والدي ومرافقته إلى السوق، والصعود إلى سطح المنزل لاكتشاف الحي والجيران ٠
٢ـ
بعد عام تزوج والدي (خديجة) امرأة أرمل لا يوجد لديها أبناء، شملني حبها وفي سفر والدي لمتابعة أعماله، أنام في فراشها ٠
٣ـ
ذات ليلة صائفة شاركت خديجة الغناء والرقص مع فرقة طرب نسائية تحي الأفراح، في حفل زفاف قريب لها، وتطورت مشاركاتها حتى غدت عضوا في الفرقة وشجعتني على الغناء والرقص ٠
٤ـ
توطدت علاقتي بزوج أبي وتفتحت مشاعري ومكنوناتي الجسدية على عواطفها ٠
عرفت من عضوه في الفرقة جذبها شكلي، إن لخديجة عشيق تلاقيه سرا لم اهتم فهي تحدب علي وترعى شئوني كما إنها أمي ٠

ـ ٥
أخبرني والدي بأن (مبروك) أبن عم خديجة تقدم طالبا يدي، جاء العريس مكملا للحظات تكون جديد، فجر طاقاتي، وغرس في أعماقي ترف غريب ٠

٦ـ
جاء مولودي الأول ولدا أنكر زوجي أبوته اتهمني بأنه ثمرة علاقة بشاب من جيراننا كنت الجاء إلى والدته في حل مشاكلي ولما تمادى في رفضه طلبت الطلاق؛ زوجة أبي شاركتني أحزاني وأفراحي وكرست وقتي لتنمية قدرتي كمطربه ٠
٧ـ
وافقت على الاقتران (بسعيد) شقيق صاحبت في الفرقة يشرف على مشاركاتنا ويقود سيارة الفرقة في تنقلاتها ٠
٨ـ
زوجي وهو يرافقنا تكون في داخلة الخوف الذي تطور إلى قلق نفسي ٠
ذات ليلة كنت احي مع فتيات الفرقة حفل خاص لم يبرح المكان، جلس مع الخدم وعمال المنزل في غرفتهم بفناء الدار لما انتهت السهرة افتقدته، قام سائق صاحب الدعوة إيصالنا ومرافقاتي للمنزل ٠

-٩

طال غياب سعيد مما أربك حياتي، عيون من حولي تتهمني، عاودت البحث عنه في المستشفيات وأقسام الشرطة.

قال صحفي يهتم بأخباري وأغني شيء من أشعاره، أن زوجي فقد عقلة وأنه يهيم على وجهه في باحة الحرم المكي، لم اصدق ذلك، حتى رافقته ذات ليلة كان زوجي يسند ظهره إلى أحد أعمدت الحرم جلست بجواره، وجهه يشع نورا ويرتدي ملابس بيضاء، نهض تابعته بنظري حتى اختفى.

-١٠

في العام الثالث على غياب زوجي جاء طلاقي، حتى أتزوج سرا أحد موظفي المحكمة الشرعية، أخفى والدي قبل وفاته عنده وثيقة المنزل التي همش عليها بعد زواجي الأول بأني شريت نصف البيت، أثمر الزواج طفلة فأعلن حامد زواجنا.

نظمت وقتي بين نشاطي الفني ورعاية زوجي مع الاحتفاظ بخديجة لدورها في رعايتي كأم عوضتني اليتم ومودة الأقارب وتجاوز نظرة الدونية فيمن يعرفني من الأقارب، وتنمي في داخلي الثقة بقدراتي وما أقوم به من حقي الشخصي، وان نبوغي جاء بعناية حارس خفي.

-١١

الصحفي بعد إفلاسه الشعري ونجاحي في غناء قصائد لشاعر جديد ضمها شريط اكتسح السوق، هاجم نجاح الأغاني وهاجم صوتي وتطرق لبعض خصوصياتي.

-١٢

تخرج ابني البكر من الجامعة والتحق بالعمل الحكومي، خديجة طلبت مني إدخالها دار المسنين بعد أن قاطعها أهلها وشعرت إن دورها انتهى قاومت رغبتها ولكن أمام إصرارها استسلمت، أقوم بزيارتها بين وقت وأخر، واحرص على حضورها منا سباتنا الخاصة وبعض أيام الجمع.

- ١٣

في ليلة غناء بصالة داخل فندق مسرة، لمحته يقف مع مرافقه في بهو الفندق، شعرت أنه يسيطر علي، توجهت نحوه ولما حاذيته تحرك تابعته بنظري حتى مقهى الفندق، لحقت به دخلت وجلست على الطاولة القريبة منه، الملامح اعرفها والصوت حركة الكفين، وثوبه الأبيض الناصع.

بعد شرب فنجان قهوة نهض، قفزت من مكاني أمسكت بذراعه، وهو يحدق في ردد بصوت واهن سعدا..سعدا

الاختناق

تكونت صورته السياسية من ثقافة زملائه المعلمين في المدرسة، لم تكن له تطلعات وأراء بقدر فرحه بالعمل والدخل الجديد الذي يأتي أخر الشهر، مازال الراتب يأتي ومازال وحيدا يتنقل بين المدن، قدم من قرية في أقصى الشمال إلى مكة المكرمة للدراسة، ولما تخرج عين معلما في مدرسة محدثة بالطائف المأنوس.

كان المعلم الوطني الوحيد بين جنسيات عربيه مختلفة، توطدت علاقته بالمعلم عبد الرءوف فلسطيني من غزه جاء وزوجته، ومصريين من القاهرة ومدن أخرى فكانت تجمعهم نقطة حوار في نهاية الأسبوع للنقاش، استفاد مع الوقت سياسيا وزادت معارفه بما يقرأ من كتب يحضرها المعلمين معهم في عودتهم من إجازة نهاية العام الدراسي.

في عام ١٩٥٦م جاء العدوان الثلاثي على مصر، يتذكر أن الحوار احتد حول القيام بإضراب والتظاهر، تناقل معلمي المدارس المصريين في اليوم التالي الفكرة فكان الإضراب معتصمين في المنازل، شارك في الاعتصام وتمت مسألته وحسم ثلاثة أيام من راتبه.

في جلسات الحوار بعضهم يصر على سماع برنامج إذاعي يقدح في أمانة بعض الزعماء العرب ويخونهم، ويطالب الجماهير العربية بالاحتشاد لطرد اليهود من فلسطين، بعده يحتد الحوار ويعود كل واحد لمسكنه.

ذات مساء أقلقه اتهام تردي الفكر وضحالة التكون السياسي، الذي جاء من معلم مصري جديد انضم للمدرسة، تحدث عن تأميم القناة، وأحضر معه كتاب يتحدث عن الثورة المصريه وبعض الصحف التي تناولت بعض مقالاتها الخيانات العربيه.

أصبح اللقاء ندوة سياسية، لجماعة تباينت أفكارها وأهدافها نهاية الأسبوع وتشارك فيه الزوجات وان كن فقط ثلاث، هو سادس معلمي المدرسة، وقرر إعداد عشاء وطني كبسة رز بلحم جمل، احتج بعضهم فكانت الكبسة بلحم غنم، إحداهن بعد العشاء الفاخر توددت له عرف إنها وجدت فيه شيء، فخرج من المدرسة صباحا، كانت تنتظره.

عرفت زوجة معلم أخر بما حدث ناقشته لم ينكر، وتوسطت في زواجه من ابنة فراش المدرسة العم محمد، كانت فاطمة مصدر الهام الجميع، وشعلة نبض قريحة الشعر بين طلاب ومعلمي المدرسة.

جاءت فاطمة مع حزمة مطر في الأيام الأخيرة من شهر شباط، يجدها الجميع طفلة تركض في الشارع حتى نصح نساء الحي أمها بحجبها، وافق العم محمد وتم الزواج احتفلت المدرسة به، تباينت همومه السياسية وارثه الاجتماعي، وهواجس هوس خطاب سياسي يحمله ملتقى نهاية الأسبوع.

بين هذه التباينات عرف إن فاطمة تبيح جسدها لرجل من الشرطة العسكرية، فك والدها من السجن لتأخره في دفع إيجار المنزل الذي يقيمون فيه، ضربها وغادر الدار مقررا تطليقها.

مع نهاية العام الدراسي أكمل مسوغات نقل عمله إلى مدينة أخرى، لم يحدد وهو يوقع نماذج طلبات النقل قرر نفي ذاته، في حفل عشاء أخير لمنسوبي المدرسة جاءت فاطمة شعر انه فقدها، وطوقه حزن اسود انفض السامر وتلفت حوله الأشياء بدون معالم، وصوت رعد قادم ولمع برق يمزق السماء، تجول في الشوارع قادته قدماه إلى منزل العم محمد البرد يلدغ جسده النحيل، وقوفه لفت نظر رجل ألعس الليلي اقترب منه، لما عرفه بادله الحديث سار الاثنان مخترقين الشوارع الفارغة.

شده الضوء المنبثق من منزل المعلم عبد الرءوف، توقف عن المشي اقترب فتحت الزوجة الباب، لوحت بكفها للعاس الذي تبسم وهو يهم بمواصلة تجواله، فأطلق صافرته. &

الرفقة

ترافقت رحلتي إلى جدة مع هطول الأمطار المصحوبة برياح قوية تكنس الأشياء٠
قال: (مرافقي زميل في العمل) لابد من تنظيم الوقت فمساحة رحلتنا أربعا وعشرين ساعة٠
لم أعترض لمعرفتي بدقته وتحكمه في برنامجه اليومي، لما وصلنا بعد المغرب لم نجد أخي؛ فجلسنا على مقاعد مقهى متهالك في وسط حي فقير أعتدت الانزواء فيه عندما اقتحم جده٠
جاء أخي في العاشرة ليلا أخذنا لمسكنه، ضاقت الشوارع وتعرجت يلطخها الظلام والصمت، بين خطوة وأخرى يتسرب بكاء طفل عبر جدران الصفيح والطوب المتداعي ويقطع حديثنا نباح كلاب ومواء قطط، ولما اقتربنا كان باب المسكن مشرعا، طلب منا التريث، عرفنا ونحن ندخل إنها جارته جاءت بالعشاء ٠
قال: (مرافقي وهو ينام في الفراش وقبل أن يرتفع شخيره) إن يومنا مرهق٠
حملت فراشي إلى فناء الدار، أخي وجارته يتبادلان الحديث لما شاهدتني تبسمت ودعتني للجلوس، وقرع الباب نهضت جاءت معها أخرى أمرتها بتسليتي، بينما كنت في زحام الإنعتاق لمحت أخي وجارته يراقباننا عبر نافذة الغرفة التي اندسا فيها، شعرت بالانكسار٠
قالت: (الفتاة همسا وقد لحظت انكماشي) اعتادت ذلك معي٠٠!
قال: (مرافقي وهو يقلب ورقة منزوعة من دفتر مدرسي وقد عدنا) لم أجد الكتب التي طلبتها شقيقتي٠٠!
سحبت الورقة الكتب متوفرة في مكتبتي الخاصة، لما وصلنا الدار أخرجتها، أخذها لبث لحظات يحدق في ثم مشى مبتعدا٠&

انكسار

* قبل مغيب الشمس طرقت باب سكني الصغير مع ابنتها ذات السنة الواحدة متشحة بعباءتها، دخلت ولما التقطت أنفاسها طلبت مني السماح لها بان تستخدم الهاتف.
تركتها في الصالة أمام التلفزيون ودخلت غرفة الاستقبال، بعد دقائق ظننتها الدهر، شممت عطرها جلست على المقعد المقابل .
قالت: الشرطة أمسكت بزوجي..!
عرفت انه تقاتل مع بائع تلفظ عليه بكلمات نابية في سوق الخضار، وأعرف أنه محدود الذكاء يتصرف بحمق وانفعال، قاس في مزاحه ويضحك الأصدقاء من قوته الجسدية فيتجنبون مواجهته.
بكت أرتفع نشيجها واندست الطفلة في حضنها، أخرجت من حقيبة يدها منديلا ورقي وأدخلت كفها تحت الحجاب تمسح دموعها.
قامت من مجلسها، انحنت تحمل طفلتها، فأنكشف وجهها تخلت عن الطفلة حتى تصلح الغطاء، قارنت بين ملامح وجهها التي تكونت في لحظة من الزمن ووجه الصغيرة، تعامدت نظراتنا تخيلتها تبتسم، ذاب جليدالمجاملات.
قالت: (وهي تقف بالباب) سوف يأتي أخي في طائرة الصباح..!
رائحتها في ملابسي وفي فضاء المكان، خفت من قدوم زوجتي فتكشف ما حدث، غادرت الشقة.
في اليوم الثاني وأنا أتوجه لصلاة المغرب وجدت زوجها تبادلنا الحديث، حدق في ونحن ندخل المسجد، اخترت مكانا بعيد وتأخرت في الخروج.&

الشخير

بين تصفيق الحضور ووقوف راعي الحفل ملوحا بيده، جاء صمتي الذي شاركني الم الفقد منذ وعيت الحياة، هذه اللحظة بالنسبة لي تاريخية، فأنا ضمن زمرة المدعوين وسوف أتشرف حسب فقرات الحفل بمصافحة الرجل.

في الحافلة جلس صمتي بجواري، فقد تهت عن رفاقي وهذه الحافلة الأخيرة في الموكب نصف مقاعدها فارغ، بعد انطلاق الحافلة بدقائق أرتفع شخير نائم، تجاوز تحاور المتناثرين على المقاعد، رمقني بعضهم بنظره فتبادلنا ابتسامة صغيرة.

تسرب الملل إلى أعماقي قلبت الدليل الإعلامي للحفل وكتاب عن الثروة الحيوانية أصدرته الشركة لأحد باحثيها، تمطيت وأنا أراقب أعمدة النور والسيارات التي نتجاوزها في مدخل الرياض، استقرت كفي اليمنى على المقعد المجاور توقف الشخير.&

انثيال بوح

بعد أن قلبنا البوم الصور اخترنا ثلاث صور لثلاث الصور تنبي عن تميزهن، ثم طالبنا الرجل الأسمر الأصلع صاحب الكرش والبنطال الأسود والجزمة اللامعة ذات الرباط بعرض بضاعته من النساء، كشباب مازلنا عزاب ونبحث عن اللذة.
فنحن في برنامج عمل خارج مدينتنا الصغيرة المندسة في ثنايا الجبال، حسب طلب إدارتنا لتطوير قدراتنا العملية يستغرق أيام خمسه، والاكتشاف يجعلنا نتجول بدون وعي في الشوارع الفارعة والأسواق التي تعج بالمرتادين من كل الأجناس ثم نجلس في مقهى خارج المدينة الكبيرة التي لا تنام، حتى ساعة متأخرة من الليل.
جاءت خيار الأول فلحق بها، وتأخر خيار الثاني فوجد البديل بيضاء البشرة في حمرة ناعمة الشعر ردفها لا يتوقف عن الاهتزاز، تبقيت ارتقب لتدخل طفلة في العاشرة على حظ عظيم من الجمال، شيء شدني فيها وأنا أتفحص جسدها الممتلي، تناثر شعرها الأشقر القصير على جبينها، صدرها غض وذراعيها العاريين يلمعان بياضا، عنقها طويل زرقاء العينين، ثوبها القصير لا يغطي ركبتيها، عرف الرجل من صمتي وهو يكتشف بحدسه إنها خطوتي الأولى الحقيقية وإنها اختياري فغادر الغرفة.
قربت مني وأمسكت بكفي ساحبة جسدي النحيل، قاومتها وأنا اضحك، زمت شفتيها، نامت كفي على رأسها تتداخل أصابعي مع نعومة الشعر، قربت وجهها حتى لامس فمي شفتيها، تبسمت وأخذت تبادلني التقبيل كمشهد في شريط سينمائي، أجلستها في حضني أنفاسها تلفحني، قامت وأمسكت كفي مشيت منقادا خلفها.
لما دخلنا غرفة أخرى، تخالطت بين الخوف والتصرف ألخاطئ أغلقت الباب بالمفتاح، جلست على طرف الفراش تنتظر أمري، ساعدتها على نزع ثوبها، ثدييها الصغيرين انتصبت زاد تناثر شعرها، لما انحنت تخلع سروالها برز تكور مؤخرتها، طوقتها بذراعي تدافعت حتى تمددت فوق صدري أخذت أمص شفتيها شعرها يتناثر على وجهي وكفي تحتضن مؤخرتها.
العرق يبلل جسدي ألاحق حركتها المتلوية كما حية تنساب بين الرمال وهي تلهث، توقفنا عن الحركة ساقها تنام على جسدي، شعرت إنها اقرب أكثر، تقاطع ضحكها وأنا العق رقبتها مع قرع خفيف على الباب، شدتني بعنف وقوة قبل أن تنهض، فتحت الباب وأختفت.
ونحن في مطعم الفندق الذي نقيم فيه ويستضيف ندوات مؤسسة التدريب تحدث مرافقي عن تجربتنا، بعد انتهاء جلسة الصباح في اليوم الثالث اتفقنا على معاودة مغامرة اليوم الأول، وفكرنا في إشكالية لقاء الرجل.
توقف قلقنا ونحن نجده يتحرك ضمن فريق العمل الذي ينسق برنامج زيارة منشأة صناعية، أنكر معرفتنا فلحق به أحدنا إلى سيارته وأقنعه برغبتنا في تجربة جديدة تتفق مع نهاية البرنامج وتكون احتفالية للعودة للمعتاد.
اصريت بسذاجة وعناد على لقاء فتاة الموعد السابق ورفضت كل الحلول، فجلست وحيدا في صالة الاستقبال في الفندق امضي الوقت في متابعة الوجوه والإنصات لحديث خاطف بين بعض الجلوس ونداء لا يشكل أي معرفة.
في العاشرة ليلا لمحتها تدخل من باب الفندق طفلتي الشهية، تلفتت حولها ولما شاهدتني سارت غير مبالية بالآخرين، نهضت مرتبكا والعرق ينضح من مسامي، وجاء الرجل تتبعاني بنظرهم وأنا ادخل المصعد.
لم يمر وقت حتى كان الباب يقرع كان الاثنان لما دخلت اختفى الرجل في الممر، حملتها بين ذراعي اقبل وجهها وعنقها، لما حان موعد الجلسات الصباحية تركتها نائمة.

قال أحد مرافقي أنه نام في فراش امرأة تقيم في غرفة تجاور غرفته، وجدها لما عاد في الساعة الحادية عشر ليلا تعالج باب غرفتها فساعدها على فتح الباب، وعرف أن زوجها المريض حصل على أمر حكومي للعلاج فرافقته مستأذنه من عملها وتركت أطفالها عند والدتها، يراجع الطبيب منذ يومين وهو الآن يرقد بالمستشفى لإكمال الفحوص٠
لما عدت للغرفة بعد الظهر وجدتها تجلس أمام التلفزيون، أخذت أراقبها وهي تستحم لففتها بالمنشفة وطلبت غداء، في الخامسة غادر تني٠
وفي العاشرة ليلا انتهى البرنامج التدريبي بحفل عشاء، المرافق الثاني تغيب عن جلسة الثامنة ليلا تسلمت نيابة عنه وثيقته التي تمنحه التميز بين المشاركين ودرع من الشركة الراعية للبرنامج، ومعه تأخرت مغادرتنا للفندق حتى الرابعة صباحا ٠
انثال حديثنا في باحة قصر حفلات استأجرته بمناسبة عقد قران ابني، مجموعة من الأصدقاء والأقارب وقد تناثر الشيب فينا وسكنت الكهولة أجسامنا، عن لحظات دفنها الزمن العم حمدان مع إتقانه لعب البلوت من أرباب الخيال الجامح صاحب محل لبيع قطع غيار السيارات، زفر متنهدا وقال: حتى يقلق الصمت المخيم علينا متابعين صراع أربعة تقادم بهم الزمن، تنطلق بينهم همهمت احتجاج وضحكة انتصار عند كل جولة من اللعب، الدنيا أمامك سدح مدح وابنه الفتى يطالبه بالمغادرة فالليل انتصف، ضحكنا كان متوقد الذهن نخرت العلل جسده حكاياته طرائف ونتحرج من تلميحاته القاسية التي نثور معها في البداية ثم تتسرب ألسكينه إلى أعماقنا بسبب صمته وتحديقه المركز على وجه المنفعل وبسمة صغيره ترف على محياه بود، كانت تشاركنا في وجودها لحظات فرح وأيام حزن أسود تجاوز صفات الألم الذي اعتدناه في مدينتنا التي في الصيف تصبح أرصفتها دواوين سمر ومجالس تأمل، وكلما ضمرت الحياة فيها تنبعث فجاءه معلنة عن استمرارها، كما أنها لا تكتمل إلا إذا انبثق فيها مجنون عريق يكون له دور طريف ومؤثر في حياتها وحديث الناس، وشيخ يدعي انه سيد العارفين وقد انشغل أهلها بعلك الذاكرة٠
جاء ابن ابنتي يستحثني على القيام حتى ألج إلى قسم النساء من قصر الأفراح، لأقف بجوار خالة العريس مع باقي أفراد الأسرة، رفيقا الذاكرة يلعبا البلوت منتظرين هذه اللحظة، نهض احدهم لاحقا بي فقد كانت العروس إبنته٠&&

العنقاء

١ ـ

صالح ٠٠ اكبر الأبناء عرف بصمته وغموضه، والقيم على منا شط والده الزراعية والتجارية، كما انه كاتب رئيس المركز الذي اتخذ من القرية النائمة في حضن الصحراء وبين جبال بركانية تطامنت قممها حتى تتفجر ينابيع المياه وتكثر المزارع وأحراش المراعي مملكة خاصة، تزوج صالح ابنة عمه شيخ القبيلة التي تنتسب لها أسرته معيدا العلاقة المنقطعة داخل الأسرة إلى تلاحمها، بينما كانت زوجة والده الأخيرة تنمي حس المواجهة في أولادها الجيل الثالث في الأسرة لمقاومة سيطرة صالح على مقدرات العائلة٠

بينما الجيل الثاني انشغل بتكوين ذاته بعيدا عن سطوة ألأسره وقيم الجماعة وبقي صالح ممثل الجيل الأول مكشوفا أمام مطالب زوجات والده وحاجات إخوانه وأمهاتهم وقد تم تزويج شقيقته لقريب يقيم خارج القرية، كما إن زوجته لم تحمل رغم مرور عشر سنوات على اقترانه بها لم يترك خلالها عرافا أو طبيبا وامتلأ المنزل بالرقى، وعوضت العقم بان وجهته بمساعدة والدها إلى تولى مهام هامة خارج الأسرة وعند أهل القرية ٠

٢ ـ

حسناء ٠٠ بدوية تعلمت من الصحراء حركتها وأخذت من الرمال اللون الذهبي ومن والدتها وأهل خيام الشعر من البدو الرحل بحثا عن الماء والكلأ، كيف تزرع البهجة فيمن حولها ولما توقفت السماء عن إنزال المطر اقتربت الخيام من القرية وتوزع الرجال للعمل في المزارع والأسواق فالتحق والدها بالمزرعة الكبيرة التي يملكها والد صالح يشرف على طلمبات المياه ويوصل منتج المزرعة من الحليب والخضار للمنزل٠

في حفل عشاء نهاية الشهر الذي معه يتم صرف رواتب العمال ومعرفة حاجات المزرعة التقى صالح حسناء؛ كانت تمرض والدتها، لفت نظره جمالها وطلب نقل المريضة إلى مستوصف القرية وهناك اقترب أكثر منها بعد قيام الطبيب بتحويل المريضة إلى المستشفى في الدوادمي لمزيد من الفحوص٠

وفي غداء خاص بمناسبة شفاء المريضة خطب صالح حسناء مما اغضب زوجته التي هجرة الدار ولم يعترض والده عندما عرف بالأمر، إنما شجعه وقدم له مساعدة جزلة أثناء حفل الزواج عبارة عن سكن مستقل وتنازل له عن دخل محلات تجاريه في سوق القرية٠

لما حملت حسناء رحل صالح إلى مدينة الدوادمي حتى تكون بجوار المستشفى وترك القرية بما فيها للآخرين؛ ولحقت به زوجته الأولى بعد وفاة والدها وتقاتل إخوتها الذكور على التركة فكان أن قام صالح بطلب المساعدة من والده الذي دعمه ماليا حتى اشترى منزلا واسعا وعوضه عن المحلات التجارية في القرية بمبلغ مجز معه بدأ صالح تجارته الجديدة في مجال الأثاث المنزلي بناء على نصيحة والد حسناء ٠

٣ ـ

أنا٠٠ سهج تخلقت في بطن أمي بهدوء وسكينة، لم يغب يوما صوت أبي عن سمعي حتى وأمي تفحص حملها في العيادة الخاصة بقسم النساء في مستشفى الدوادمي، وأنا في الثامنة من عمري توفيت والدتي٠

عثرت عليها زوجة أبي ميتة في الفراش؛ كنت في المدرسة ووالدي مسافر إلى الرياض لعقد صفقة تجارية جديدة، زوجة أبي جاءت وأخذتني من المدرسة، والدي قطع رحلته؛ وعاد

ارتبك الطبيب في تحديد الوفاة، وتأخر دفنها ، تدخل جدي وبعض أفراد الأسرة فتوقف البحث عن أسباب الوفاة وتم دفن أمي في اليوم العاشر على وفاتها في مقبرة القرية ،
تولت زوجة أبي شئوني فكانت تنام في فراشي إذا سافر والدي ، اعتدت أنفاسها والتصاق جسدها بجسدي ، تتدخل في اختيار ملابسي وتتابع استذكاري للدروس وتحث والدي على إحضار معلمين لمساعدتي في تعديل درجاتي لبعض الدروس ، كانت تسميني "علي " بسبب شعر رأسي القصير وشغبي ألغلامي: تقبل والدي الأمر لرغبة في داخله لم تتحقق ،
تباعدت زيارتي للقرية وكان جدي وإخوة أبي عند زيارتهم لنا يقيم لهم والدي حفلات عشاء يدعو لها الجيران والأصدقاء، ولما ينصرف الضيوف يرتفع حوارهم فأعرف أن والدي لم يعد له مكان في الأسرة ،
لما حصلت على الثانوية العامة ولرغبتي في مواصلة التعلم قدم والدي أوراقي للجامعة في الرياض وفي جده، فكان أن قبلتني جامعة جده في التخصص الذي ارغب بينما كان قبول جامعة الرياض في قسم أخر على ضوء درجاتي في بعض المواد ،
أقنعت والدي بجامعة جده وان للطلاب المغتربين سكنا أمنا ، جاء الفصل الدراسي الأول مرتبكا، معه كثر تردد والدي إلى جده، ومعها أغراه احد تجار الأدوات ألمنزليه تعرف عليه بالشراكة ، وفي حفل عشاء أقامه التاجر في منزله لوالدي للتعرف على بعض رجال الأعمال كان قرار والدي الانتقال إلى جده ،
داخل الجامعة مارست حقوقي كاملة بين الزميلات وهيئه التدريس وفي قاعات وممرات الكلية؛ في السكن بقيت أيام وحيده حتى جاءت ميسون، سمراء ممتلئة تتعرى في الغرفة غير مبالية بوجودي؛ تفتح باب الحمام وأنا استحم بدعوى اخذ منشفتها أو معجون الأسنان ،
انتقل والدي إلى جدة، وفي اليوم الثالث سافرت زوجته للقرية حتى تقنع إخوتها بإعطائها بعض النقود من تركة والدها لمساعدة أبي، أحضرنا خادمة وسائقا يقوم بتوصيلي للجامعة ،
والدي شعر بالحرية أكثر فأخذ يفكر في مستقبلي، لم تنقطع زوجة والدي عن نومها في فراشي عندما يسافر والدي ولم تهمل مناداتي باسم " علي " عندما تراني البس بيجامة رجالية مخططه داخل المنزل وعند الخروج للسوق تكون أهم مشترياتي بنطلونات جينز وشورتات ألبسها عندما نقرر قضاء بعض الوقت في شاليه على البحر قام والدي وبعض أصدقائه باستئجاره للتنزه ،
لما تخرجت من الجامعة جاء العمل معلمة في مدرسة قرية في جنوب جده تبعد مئة كيلو متر؛ رفض والدي هذا الخيار، وأمام إصراري على العمل تمكن من تبديلها بمدرسة تبعد خمسة وأربعين كيلو في الشمال ،
في المدرسة وفي الطريق الصباحي والمسائي اكتشفت أن " علي " ترسب في أعماقي وأنا أجد إحداهن تحتضن كفي في خلسة من مرافقاتنا في السيارة، ولما قمت بزيارتها بسبب غيابها أخذتني إلى غرفتها وهناك ضمتني طربه وهي تقبل عنقي ولما وقفنا حذاء المرآة أخذت تحدق في ثم زرعت قبلة طويلة على شفتي قطعها طرق الخادمة للباب تدعونا للشاي ،
قال أبي ونحن في السيارة عائدين من المستشفى الذي ترقد فيه زوجته، إن شريكه عامر يرغب الزواج مني؛ كانت المكاشفة متوقعه من أبي ولكن الوقت غير مناسب، فشريك أبي يغرقني بالهدايا كما انه يطري جمالي إذا قابلته في منا سباتنا الخاصة فوالدي يعتبره احد أفراد الأسرة ،
وتذكرت إنني عندما كنت في الثانوية أن زميلة تقرب والدي، قالت في الفصل أني لقيطة بعد شجار على أمر يخص الأسرة، لم أناقش أبي حينها وبكيت في غرفتي وأنا استعيد نظرات طالبات الفصل تأخرت في تبديل ملابسي وبين دموعي جاءت زوجة والدي؛ ضمتني إلى صدرها ومررت كفها على راسي فأخذت اشكوا لها اتهام قريبتي؛ قبلت جبيني وأغلقت فمي بكفها ،

نسيت الأمر وها أنا أتذكر ذلك وأبي يسألني رأي في طلب شريكه، وعلاقتنا المتوترة بأفراد الأسرة؛ فأبي ترك كل شيء ليتفرغ لي ويتبع نجاحي وهاهو يسعى لتثبيت الأمان في ما تبقى من طريق .
جاء زواجي من شريك أبي فخما وفي فندق فاخر في لندن جاءت ليلتنا الأولى مرهقة؛ وفي الليلة الثانية فجر خبئ مكنوناتي الأنثوية بعد أن دفعني لمشاركته الشراب حتى نشعر بلحظة الأنس أكثر كما قال ونمتع تألق التواصل بفقدان العقل. وخلال تنقلنا لإزجاء الوقت والتنزه اعتدت شرب كاس من مسكر فاخر ينتقيه زوجي بعناية.
عرفت إن زوجة زوجي التي ترقد في المستشفى منذ عام توفيت ونحن في طريق عودتنا من رحلة شهر العسل؛ ولما وصلنا، كان ابناه الفتيان في منزل خالهم بعد هجرهم لمنزل والدهم، ومع الوقت اكتشف والدي إن ثروة شريكه مصدرها أموال زوجته المتوفاة وان هناك قضية في المحكمة تطالب زوجي برد الأشياء التي استولى عليها.

٤ ـ
السامري .. بعالمه الخاص وسياقاته المعرفية؛ همس في إذني بأسمي السري " طيف " بينما كنت أتنقل كفراشة في احد المتاجر، لاختار المناسب من القماش لتفصيله لحفل نهاية العام الدراسي بالمدرسة التي اعمل بها. جاء صوته يطري نوع القماش؛ حدقت فيه وأسدلت الخمار على وجهي. تبسم كانت بسمته تيارا كهر بائيا سرت لذعته في جسدي؛ واتجه معي إلى قسم العطور اختار لي مجموعه من الروائح ثم ترك بطاقة تحمل اسمه ورقم هاتفه واختفى.
انشغلت بمرض والدي؛ ترقد البطاقة في حقيبة يدي وأنا أقف وحيدة أمام غرفة العناية ألفائقة التي يرقد فيها والدي؛ زوجي مسافر وزوجة أبي أصابها مرض والدي فمرضت، وتم ترقيدها في أحدى غرف المستشفى. في المنزل وأمام قلق الخادمتين على والدي برز الرقم أكثر؛ جاء صوته مطمئنا؛ عاتبني على تأخري في الاتصال؛ شكوت له مرض والدي فسكن قلقي.
زوجي أصبح وحيدا بسبب مرض والدي فهجر المتجر وحبس نفسه في غرفة بفناء المنزل؛ يدخن كثيرا ويتجرع مشروبه المسكر الذي لا أدري من أين يوفره؛ يراجع أوراقه وحساباته؛ كنت اجلس معه اقلب الأوراق وألطف ألمي بمشاركته الشراب كما هي عادتي منذ أول ليلة في زواجنا، ثم ادخل غرفتي للحديث بالهاتف مع سامر حتى موعد نومي.
بعد ثلاث سنوات مع القضاء والشرطة ووالدي في المستشفى تدخل أهل الخير بين زوجي وأقارب زوجته ألسابق، وجرى حل المشكلة المالية؛ نصحنا الأطباء بنقل والدي للمنزل مع تجهيز غرفة طبية، وأعارنا المستشفى ممرضه للمتابعة؛ حضر بعض أخوة أبي للمعاينة وارتفع صوتهم فطردتهم زوجة أبي. وفي تلك الليلة نمت في فراشها وشعرت أن روحها الطيبة تطوقني.
في مساء يوم وبعد مكاشفة ليلية كنت اجلس مع سامر في مقعد على البحر الممتد أمامنا نلاحق موجه المتكسر على صخور الشاطئ ونلعق الإيسكريم؛ حديثه الحالم ينزعني من همومي؛ تقاسيم وجهه تزرع الأمان وهو يضم كفي بيده اليمنى، هجرني النوم فخرجت إلى الفناء؛ لم أجد زوجي في الغرفة جلست اقلب الأوراق المتناثرة على الأرض كشف حسابات البنك يفضح التلاعب في المستندات؛ شعرت بالتعب وعرفت انه رحل؛ تركت كل شيء وعدت لغرفتي .
في منزل والدي المغلق بعد وفاته ورحيل زوجته إلى أهلها حتى يبت القضاء شكوى إخوة أبي لحصر نصيبه في الشركة ليتم توزيع الإرث؛ كان لقاء الحقيقة. مع غياب الشمس أوصلني السائق إلى السوق وجلست على مقعد انتظار في ساحة المحلات ألتجارية أتأمل تفاصيل المرتادين وأجمع تبعثري، ولما لمحته نهضت تخللت أصابعه أصابعي فتح باب السيارة ولما جلست اتجه للباب الأخر؛ طلبت منه الذهاب إلى منزل والدي .

وقف في وسط غرفة الجلوس يتفحص المقاعد والستائر المسدلة، دخلت غرفتي القديمة تكومت العباءة على الأرض؛ وقفت أمام المرآة تعريت؛ نثرت شعري وأزلت الماكياج وحمرة شفتي بمنديل ورقي بللته بلعابي؛ أخرجت من خزانة الملابس قميص أحمر موشى بزهرات عباد الشمس الصفراء قصير غطى ردفي كنت أتجدد وأنا استعيد ذاتي من خلال ذاكرتي ٠
خرجت من ألغرفه امرأة أخرى فتح فمه مندهشا؛ وقفت قبالته، نهض من مقعده؛ نزع غترته فتمددت على المقعد مع عقاله، طوقني بذراعيه قرب شفتيه من فمي؛ أندغم في داخلي؛ اختلط عرقنا مع تفجر رغائبنا المكتنزة منذ بدء الخليقة٠

ـ ٥

أمي من النور (هكذا عرفت) اعتادت التجول في أرجاء الأرض متمسكة بالتقاليد وطراز المعيشة الحرة التي معها يأنف الغجري العمل؛ فهي الحسناء التي باعت إخوتها الأربعة للشيطان حتى تفوز بقلب حبيبها فكان موتها الغريب عندما انتقل بها والدي من فضاء القرية الرحب إلى المدينة لتعيش بين جدران الأسمنت مقيده عندها فاضت روحها الراقدة لتعود إلى التحليق ٠
ومن هنا لم أجد أحد من أقاربها حولي، ولما شعرت أني سيدة نفسي اتجول كما أشاء بعد انشغال زوجي بمشاكله مع أهل زوجته السابقة وأقارب والدي؛ حضر خال والدتي الخضر الذي أصل فضاء الحرية في فكري ٠
كنت مع ثلة من الصديقات نتناول العشاء في مطعم فندق أوراق النرجس الأربع وخرير الماء ينساب مع صوت الموسيقى متجاوزا همس المرتادين، جاء يحمل دلت ألقهوة صب لي فنجانا وترك مرافقاتي؛ أخذت أتبعه بنظري وهو يتنقل بين الطاولات حتى اختفى٠
شيء في داخلي؛ تخلق معه توهمي وهو يغادر المطعم كحصان رافعا ذيله متوفزا، تركت الطاولة ولحقت به كان يجلس في صالة ألاستقبال؛ نهض لما لمحني امسك بكفي وسحبني إلى مكان منزو؛ اخرج من ثنايا ثوبه الفضفاض مظروفا أبيض تركه على الطاولة؛ تحدث كثيرا عن أمي ٠
بناء على طلبة لم أفتح المظروف حتى ندخل دار والدي؛ في السيارة جلس بجواري بالمقعد الخلفي رائحته شذيه وثوبه الفضفاض حريري الملمس عقاله الأسود السميك يلمع كلما مررنا بقرب شعلة نور ووجهه المصبوغ بالحمرة متغضن بأخاديد الزمان، سبقني إلى الداخل ليشعل الضوء جلسنا متقابلين في غرفة الجلوس؛ روح أمي تحلق في فضاء الغرفة٠ أخرج ألمظروف من حقيبة يدي وفك الرباط؛ كان بداخله أوراق ثلاث؛ الأولى عقد زواج أمي، والثانية شهادة ميلادي، والثالثة وثيقة تملك لمنزل في حي فقير باسمي ٠
عرفت انه يقيم في المنزل وطلب مني مرافقته حتى اعرف موقعه؛ أما شهادة ميلادي ووثيقة زواج والدي التي تحمل توقيع جدي ٠ مستندات تدين أقارب والدي في إخراجهم مشهدا لم يبروا فيه قسمهم في المحكمة يحصر ورثة أبي في أخوته، وانه مات ولم يخلف، وشهادة ميلادي تحدد موقعي في عشيرة أمي، واني أصبحت ملكة جماعتنا التي تناثر أفرادها بسبب زواج والدتي من غريب؛ وحتى أضلل الأرواح الشريرة التي تلاحقهم ٠&

اليماني

حتى الآن الأمور طيبة، قلت ذلك وأنا ألاحظ قلق الطبيب المشرف على حالتي الصحية، تعرضت لنوبة قلبيه، كنت راكعا أصلي العشاء متأخرا في المنزل بعد آن عدت من المقهى في العاشرة والنصف ليلا ٠

أسدلت جفني، أسترجع خليط من الصور، جار مهووس بأسرته يعيد على مسامعنا في كل لقاء يتم لجيران المسجد مقطع من تاريخهم المجيد، التفت الجار الذي التقي به كل يوم في المسجد، بعد حديثه في المجلس الأسبوعي

: أنت يماني ٠٠!

: نعم يماني من بريده ٠٠!

جدي من العقيلات رفض فتح أبواب السور بدون شروط ، وتولى الشيخ الحمد التدريس في الجامع الكبير ، كان يرصد أخبار الأسر ولما ولي القضاء كان جدي قد غادر المدينة مخلفا زوجاته الثلاث وأبنه البكر ، الزوجات الثلاث لجأن لأسرهن في الخبوب والابن البكر ترك زوجته ورحل ٠

تولى الشيخ الحمد أمر المزارع والبيوت التي هاجر أهلها ، وزوج أختي التي لم تتجاوز الثامنة ابن خالته الذيب فاستولى من خلالها على أرث جدي ٠

والدي الذي رحل للجنوب أقام حياة جديدة، الشيخ الحمد انكشف دوره في تصفية أملاك المعارضين فلم يعد المسجد الكبير مكان للدروس العلمية، فاستقال وأقام في مكة

عرف مكانة والدي فتكلف بقضاء جازان في أقصى الجنوب ، ما أن باشر العمل حتى توفى والدي تاركا زوجه وأبناء ، تولى الوصاية و زوج آمي على

أحد خدم والدي، شجعه على بيع الإرث بدعوى الصرف علينا حتى لم يبقى شيء ٠

فتحت عيني الممرضة تقوم بجس نبضي، صوت ابني في الممر يناقش حالتي الصحية، قالت الممرضة

: بابا٠٠ أنت كويس

سرت ابتسامة على وجهي ، همست حتى الآن الأمور طيبة ٠

الفهرس

- السكين
- الإسفلت
- هتاف لحظة مبهمة
- الشحاذ
- السنديانة
- هبة النسيم
- حكاية أسطورة
- السجن
- القنبرة
- اللقاء
- العطر
- ابوسعيد
- الغياب
- الفأر
- انبجاس
- مريم
- وهم
- الأستاذ
- الشتاء
- المسجد
- الرحلة
- مدى
- الشرى
- الذئبة
- العون
- الخادمة
- الصمت
- الأرض
- رغبة
- وردة
- الم
- غفوة
- الرابع
- الرهان
- إيلاف
- البياض
- الطائف
- انفجار
- اصطفاء
- فريج
- الغانية
- الشيشة
- الشريط
- محمد المزعل
- فقر
- صفاء
- جيرة
- أنفاس الرحيل
- أطلال
- التعب

- الردف
- شارع المنذر
- ارتعاش الرمل
- الغرفة الثالثة
- المحطة الأخيرة
- أوراق من دفتر سعدا
- الاختناق
- الرفقة
- انكسار
- الشخير
- انثيال بوح
- العنقاء
- اليماني

صدر للكاتب

قصص قصـيرة:

١) البحث عن ابتسامة
الناشر ناد الطائف الأدبي ـ الطائف ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م

الناشر الدار السعودية ط٢/١٩٨٥م
٢) حكاية حب سانجة
الناشر نادي الطائف الأدبي ـ الطائف ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م
الناشر الدار السعودية ـ جدة ط٢/ ١٩٨٥م
٣) مساء يوم في آذار
الناشر شركة تهامة ـ جدة١٤٠١هـ/١٩٨١م
٤) انتظار الرحلة الملغاة
الناشر نادي القصة السعودي ـ الرياض ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م
٥) الزهور الصفراء
الناشر نادي الطائف الأدبي ـ الطائف ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م
٦) قالت أنها قادمة
الناشر الدار السعودية ـ جده ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
٧) الغــريب
الناشر مجلة الثقافة ـ دمشق ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م
٨) الانحدار
الناشر نادي الطائف الأدبي ـ الطائف ١٤١٣هـ/١٩٩٣م
٩) الرجل الذي مات وهو ينتظر
الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت١٤١٥هـ/١٩٩٤م
١٠) الطيــب
الناشر مكتب الصحافة العربية ـ القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

١١) الحملة

الناشر نادي جازان الأدبي ـ جازان ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م
١٢) الغياب
الناشر / أصوات معاصرة ـ السنة ٢٦ ـ العدد ١٤٥ ـ مايو ٢٠٠٥م
شرقية ـ جمهورية مصر العربية

١٣) المحطة الأخيرة
الناشر / دار الفارابي ـ ٢٠٠٨م

شـعـــــر :

١) معاناة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م
٢) بقايا وجود ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م
٣) مقاطع من أوراق عاشق ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

مقالات :

كلمات حتى نصل (مقالات في الأدب والحياة)
الناشر / نادي أبها الأدبي ـ أبها ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م

لمراسلة الكاتب:

ص.ب ٨٦٦٢٩ الرياض ١١٦٣٢
المملكة العربية السعودية



محمد المنصور الشقحاء